حياة أميرالمؤمنين علي عليه السلام

السيد اصغر ناظم زاده القمي

المقدمة
علي (ع) وليد الكعبة
أبوه أبو طالب
دور علي (ع) في قتال المشركين
الخندق (الأحزاب)
فتح مكة
شأن علي (ع) في الآيات والأحاديث
آية السقاية
أما الأحاديث: ـ حديث الثقلين
حديث المنزلة
حديث السفينة و باب حطة
كلمة في مناقبه و..
علي (ع) و المسابقة إلى الهجرة
علي خليفة رسول الله و وصيه
علم علي (ع)
علي (ع) أعلم الصحابة
نماذج من سعة علمه
محب علي (ع) محب الله و رسوله
حب علي (ع) سعادة
علي (ع) في ليلة المعراج
علي (ع) قسيم الجنة و النار
جهاد علي (ع)
علي (ع) في القوة و الأيد
قوة إيمانه (ع)
زهد علي (ع)
صبره (ع) على النوائب
سخاءه (ع) و انفاقه
كلمة في المعجزة و الكرامة
كلمة في الإمامة
في إثبات إمامته (ع)
سياسته (ع) وجودة رأيه
عدالته (ع)
المساواة أمام القانون
سيرته (ع) مع معارضيه في الحكومة

سيرته (ع) مع أهل الذمة
سيرته (ع) مع عماله
سيرته (ع) مع التجار و أصحاب الحرف
علي (ع) و إعانة المظلوم
علي (ع) و القضاء
مظلومية علي (ع)
شهادته (ع) كلمة في تاريخ شهادته (ع) و عمره المبارك
كلمات من نور

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون). [1]

الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على خير الأنام أبي القاسم محمد و آله الطاهرين أعلام الهدى و أئمة المسلمين.

و بعد، فان الامامة أصل من اصول الدين الاسلامي الحنيف، و أمرها من تمام الدين و كمال النعمة، و هي رئاسة و ولاية عامة في امور الدين و الدنيا نيابة عن الرسول الخاتم صلى الله عليه و آله، فكل ما دل على وجوب النبوة و على ضرورتها دل في المقابل على وجوب الامامة و ضرورته، لأنها فرع من النبوة و خلافة عنها و قائمة مقامه، و لا تختلف عنها إلا بتلقي الوحي بلا واسطة.

و لأجل أن يحصل الوثوق بقول الامام، فلا بد أن يكون معصوما كالنبي عن الزلل و الخطأ.مسددا لفعل الخير و الصلاح، و ذلك ليتحقق الغرض المرجو من الامامة بكونها لطفا واجبا على الحق تعالى، من أجل تقريب العبد من فعل الطاعات، و إبعاده عن ارتكاب الخطيئات.إذن لا بد أن يكون الامام أفضل أهل زمانه في جميع مكارم الأخلاق و محامدها و في الصفات الكريمة و السجايا الحميدة، ككمال العقل و الذكاء و الفطنة و قوة الرأي و عدم السهو و الغفلة، و شرف النسب، و عدم الغلظة و الفضاضة و الظلم و السجود للأصنام و كل ما يقدح في تعظيمة و تكريمة، قال تعالى: (و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس، إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) . [2]

و لا بد أن يكون الامام أفضل الرعية مطلق، لاحتياج الكل إليه، و لو كان من هو أفضل منه في الرعية، للزم تقديم المفضول على الفاضل، و هو قبيح عقلا.

لقد أجمعت كل فرق المسلمين و علمائهم إلا من شذ منهم على وجوب الامامة كما أن شريعة الاسلام الغراء نصت على الجزئيات غير المهمة، فكيف يمكن للرسول الأعظم صلى الله عليه و آله أن يترك الأمة هملا دون أن ينص على إمام لولاية المسلمين، و ليكون خليفته على هذه الامة؟

لقد نص الرسول الأكرم و في مناسبات عدة على خليفته و وصيه من بعده، و قد حفلت كتب الحديث و التاريخ و السيرة بهذه النصوص، و نقلتها بشكل متواتر و بطرق صحيحة لا تقبل الجدل و الخلاف و

التأويل، و فيما يلي نذكر بعضها منها: ١ ـ قال صلى الله عليه و آله:«من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه». [٣]

٢ ـ و قال صلى الله عليه و آله«إن عليا مني و أنا منه، و هو ولى كل مؤمن بعدى». [٤]

٣ ـ و قال صلى الله عليه و آله مشيرا إلى علي عليه السلام«إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا». [٥]

٤ ـ و قال صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين علي عليه السلام«أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». [٦]

هذا فضلا عن الآيات النازلة في خصوص هذه المسألة التي هي من ضروريات الدين و الحياة، و كذلك النصوص و الأحاديث الأخرى المنقولة بأسانيد صحيحة لا نزاع فيه، و التي سنذكرها في كتابنا هذا إن شاء الله.

لقد تمثلت الامامة و الخلافة الحقة من بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في أمير المؤمنين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين و سيد الوصيين سيف الله الغالب علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) و في الائمة الأحد عشر من ولده عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلهم من قريش» [٧] و قال صلى الله عليه و آله:«من سره أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي، و ليوال وليه، و ليقتد بأهل بيتي من بعدي، فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، و رزقوا فهمي و علمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتى، لا أنا لهم الله شفاعتي». [٨]

هذا فضلا عن الأحاديث المتواترة لدينا و التي تنص على خصوص‌أسمائهم عليهم السلام، و قد ألف علماؤنا كتبا خاصة في هذا المجال، [٩] ناهيك عن عصمتهم و ظهور كراماتهم و معاجزهم و استجابة دعائهم و شجاعتهم و كونهم أفضل أهل زمانهم علما و تقوى و عبادة و سخاء و زهدا و حلم، و بما أن كتابنا هذا مكرس لذكر فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، فاننا نعترف بالقصور في هذا المجال، فمما لا شك فيه أنه ليس من الميسور على الباحث أن يلم بكل جوانب شخصيته عليه السلام، و لا أن يتعمق في وصف فضائله و مناقبه و مكارم أخلاقه و مقامه الأسنى، مهما جد و اجتهد و بذل ما في وسعه و طاقته، ذلك لأنه يقف أمام شخصية هي فوق الشموخ، عالية في سماء العظمة و

علياء المجد، تترفع عن أيدي المتناولين، و تسمو عن نعت الناعتين و وصف الواصفين و ثناء المادحين، يصعب عرفانها و الوصول إلى حقيقة كنهها.

فهو أعظم أعاظم العالم، و وحيد الزمان الذي عقم أن يلد مثله، و لم ير له نظير في مشرق الدنيا و مغربه، في غابر الزمان و حاضره، إلا رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو كنفس رسول الله صلى الله عليه و آله بنص التنزيل العزيز، في قوله تعالى: (تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم) [١٠] قال البغوي و غيره من المفسرين: (أبناءنا) الحسن و الحسين (و نساءنا) فاطمة (و أنفسنا) يعني نفسه و عليا. [١١]

و قال صلى الله عليه و آله لوفد بني طيعة ـ أو لبني ثقيف ـ :«لتسلمن أو لأبعثن عليكم رجلا مني ـ أو قال مثل نفسي ـ ليضربن أعناقكم، و ليسبين ذراريكم، و ليأخذن أموالكم».قال عمر:فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنصب صدري رجاء أنيقول:هو هذ، فالتفت إلى علي، فأخذ بيده، و قال:«هو هذ، هو هذا». [١٢]

و هو عليه السلام سيد الأوصياء، و إمام الأتقياء، و باب علم مدينة الرسول صلى الله عليه و آله، و هما من شجرة واحدة، لحمه كلحمه، و دمه كدمه، و حربه كحربه، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن أم سلمة، عن رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أحب عليا فقد أحبني، و من أحبني فقد أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله». [١٣] و قال صلى الله عليه و آله:«من آذى عليا فقد آذاني». [١٤] و قال صلى الله عليه و آله:«من سب عليا فقد سبني». [١٥] و قال صلى الله عليه و آله له و لفاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام:«أنا حرب لمن حاربتم، و سلم لمن سالمتم». [١٦] و قال صلى الله عليه و آله:«علي مني و أنا من علي» [١٧] و قال صلى الله عليه و آله:«الناس من شجر شتى، و أنا و علي من شجرة واحدة». [١٨]

و حب علي عليه السلام ثابت في قلوب المؤمنين، و عنوان صحيفة المؤمن، فعن أنس بن مالك، قال :و الله الذي لا إله إلا هو، لسمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب». [١٩] و ولاية علي عليه السلام قربي إلى الله تعالي، من تمسك بها فاز بالنعيم في الآخرة، و من تخلي عنها فهو الخسران المبين، و قد قال حبر الأمة ابن عباس، و هو علي فراش الموت، يودع الدنيا و يستقبل الآخرة:«اللهم إني أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب». [٢٠]

و قال محمد بن إدريس الشافعي المتوفي ٢٠٤ ه ـ .ق:

قالوا ترفضت قلت كلا ***ما الرفض ديني و لا اعتقادي

لكن توليت غير شك ***خير إمام و خير هادي

إن كان حب الولي رفضا ***فان رفضي إلى العباد [٢١]

أجل، ليس بمقدوري و لا مقدور أي كاتب أن يبحث بعمق و يستنتج و يفصل في مكارم أخلاق ذلك الامام الهمام و مناقبه و فضائله التي تسطع كضوء النهار الباهر و القمر الزاهر الذي لا يخفي على الناظر، و لذا فانني سوف اشير إلى طرف من أقوال محققي أهل السنة الذين أظهروها عن تيقن من ذلك دون تعصب أو انحياز، مبدين ما تكنه قلوبهم من احترام لمولي الموحدين و وصي خاتم المرسلين علي أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ قال ابن حجر:روي عن أحمد بن حنبل أنه قال:لم يرو لأحد من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي عليه السلام، و كذا قال النسائي و غير واحد. [٢٢]

٢ ـ و عن اسماعيل بن إسحاق القاضي و أبي علي النيشابوري:لم يرو في ٣ ـ فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب‌عليه السلام. [٢٣]

٣ ـ و قال أخطب خوارزم:ذكر فضائل أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، بل ذكر شيء منه، أو ذكر جميعه، يقصر عنه باع الاحصاء، بل ذكر أكثرها يضيق عنه نطاق الاستقصاء . [٢٤]

٤ ـ و قال ابن أبي الحديد المعتزلي:فأما فضائله عليه السلام فانها قد بلغت من العظم و الجلالة و الانتشار و الاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكره، و التصدي لتفصيله، إلى أن قال: و ما أقول في رجل أقر له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكنهم جحد مناقبه و لا كتمان فضائله؟فقد علمت أنه استولي بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الأرض و غربه، و اجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره و التحريض عليه و وضع المعايب و المثالب له، و لعنوه على جميع المنابر، و توعدوا مادحيه، بل حبسوهم و قتلوهم، و منعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكر، حتي حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعه و سمو، و كان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، و كلما كتم تضوع نشره، و كالشمس لا تستر بالراح، و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

و ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، و تنتهي إليه كل فرقة، و تتجاذبة كل طائفة؟فهو رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عذرها و سابق مضمارها و مجلي حلبته، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و علي مثاله احتذى.[٢٥]

و من هنا اهتم علماء الاسلام و غيرهم بالتأليف في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته و تاريخه و فضائله، و لأنه كان يمتلك شخصية فذة فيها من المؤهلات و مكارم الأخلاق و الصفات مما لا يتوفر في غيره، و مما يجعلها شخصية خالدة حية على طول التاريخ الانساني، هذا فضلا عن الثواب المترتب على ذكر فضائله، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال :«إن الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصي كثرة ألا فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا به، غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و من كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك المكتوب رسم، و من استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له ذنوبه التي اكتسبها بالاستماع، و من نظر إلى كتاب في فضائله غفر الله ذنوبه التي اكتسبها بالنظر .[٢٦]

و لقد كان لنا شرف المساهمة في الكتابة عن تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام و مناقبه في كتابنا (الفصول المائة في حياة أبي الائمة علي بن أبي طالب عليه السلام) و الذي يعكس صفحات فذة من حياة أمير المؤمنين عليه السلام في جوانبها المختلفة، و بمزيد من البحث و التفصيل، من طرق الشيعة و أهل السنة، و بعد أن نفدت منه طبعتان، اقترح علي بعض الأفاضل و القراء الكرام الكتابة في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام بشكل أكثر اختصار، فلبيت الطلب بعد التوكل على الله تعالى و استخارته و استلهام العون و المدد من حضرة جدنا أمير المؤمنين عليه السلام، فاقتصرت في النقل على طرق أهل السنة، في الغالب ليكون أبلغ في الحجة، و أسطح في البرهان، للاخوة المسلمين من غير الشيعة، و هو يشتمل على معظم مراحل حياته الشريفة من الولادة و مبادي الدعوة فالهجرة و الغزوات و الحروب و الحكومة حتى ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، متناولا سيرته و مكارم أخلاقه و مناقبه، في فصول شتي مرتبة وقفا لما يلي:الفصل الأول:ملامح من شخصيته عليه السلام.

الفصل الثاني: موضع علي عليه السلام في الغزوات.

الفصل الثالث: علي عليه السلام في القرآن و السنة.

الفصل الرابع: مناقبه و مكارم أخلاقه عليه السلام.

الفصل الخامس: معجزاته و إخباره بالمغيبات.

الفصل السادس: علي عليه السلام و الامامة و الحكومة.

الفصل السابع: مظلوميته و شهادته عليه السلام

الفصل الثامن: نبذة من أقواله و حكمه.

راجيا من الاخوة المحققين و القراء الافاضل أن يغضوا عما يجدوا فيه من نواقص و اشكالات، و أن يجدوا علينا باقتراحاتهم و ارشاداتهم، للنظر بها في الطبعات اللاحقة إن شاء الله.

أخيرا اقدم و افر الشكر و الامتنان للاخ الفاضل علي موسي الكعبي علي جهوده المخلصة التي بذلها في مراجعة الكتاب و تصحيحه، فلله دره و عليه أجره.

اللهم إني أسألك العون و السداد و استلهمك التوفيق و الرشاد.

السيد اصغر ناظم زاده القمى في العشرين من رمضان، سنة ١٤١٨ ه.ق.

الموافق ١٣٧٦/١٠/٢٩ ه.ش.

هوامش:

١.الأنعام، ١٥٣.

٢.البقرة، ١٢٤.

٣.مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤ و ٨٨، سنن الترمذي، ج ٥، ح ٣٧١٣، سنن ابن ماجة، ج ١، ح ١١٦ و ١٢١، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

٤.مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٣٧، سنن الترمذي، ج ٥، ح ٣٧١٢، المصنف لابن أبي شيبة، ج ٧، ح ٥٨.

٥.الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٢ الى ٦٤، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٦١، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢١٧، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١٠.

٦.مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٣ و ١٧٥، صحيح البخاري ـ كتاب الفضائل، ح ٣٥٠٣، صحيح مسلم كتاب الفضائل، ح ٢٤٠٤، المصنف لابن أبي شيبة، ج ٧، ح ١١ الى ١٥.

٧.صحيح البخاري ـ كتاب الأحكام، ح ٧٩، صحيح مسلم ـ كتاب الامارة، ح ١٨٢١، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠١، ح ٢٢٢٣.

٨.حلية الأولياء، ج ١، ص ٨٦، كنز العمال، ج ١٢، ص ١٠٣، ح ٢٤١٩٨ و غيرهما.

٩.منها مقتضب الأثر لابن عياش، و كفاية الأثر للخزاز، و إثبات الهداة للحر العاملي و غيرها كثير.

١٠.آل عمران، ٦١.

١١.معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٨٠.

١٢.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٤، ح ٣٧١٥، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٥٧١، ح ٩٦٦، الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٦، اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦.

١٣.تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

١٤.مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٨٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

١٥.مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٢٣، مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢١ و ١٢٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

١٦.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٩٩، ح ٣٨٧٠، مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٤٩، سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٢، ح ١٤٥، مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤٢.

١٧.تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٤.

١٨.الصواعق المحرقة، ص ١٢٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٦.

١٩.تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٠.

٢٠.فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٦٢، ح ١١٣٩، رياض الأبرار، ج ٣، ص ١٣٠.

٢١.ديوان الشافعي، ص ٣٥.

٢٢.تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٩.

٢٣.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٧، ترجمة علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٦٣.

٢٤.المناقب للخوارزمي، ص ١.

٢٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧.

٢٦.المناقب للخوارزمي، ص ٢، كفاية الطالب، ص ٢٥٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٩.

٢٦.المناقب للخوارزمي، ص ٢، كفاية الطالب، ص ٢٥٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٩.

الفصل الأول - ملامح من شخصيته عليه السلام

علي عليه السلام وليد الكعبة

قال الكنجي الشافعي:ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، و لم يولد قبله و لا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراما له بذلك، و إجلالا له، لمحله في التعظيم .[١]

و قال ابن الصباغ المالكي:ولد علي بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام...و لم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد سواه، و هي فضيلة خصه الله تعالي بها إجلالا له، و إعلاء لمرتبته، و إظهارا لكرامته. [٢]

و قال الحاكم النيشابوري:و قد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة. [٣]

و قال عباس محمود العقاد المصري:ولد علي عليه السلام في داخل الكعبة، و كرم الله وجهه عن السجود لأصنامه، فكأنما كان ميلاده ثمة إيذانا بعهد جديد للكعبة و للعبادة فيه، و كاد علي أن يولد مسلم، بل لقد ولد مسلما على التحقيق، إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة و الروح كأنه فتح عينيه علي الإسلام و لم يعرف قط عبادة الأصنام. [٤]

و قال العلامة أحمد بن الفضل بن محمد بالكثير الحضرمي الشافعي:«كانتولادته بالكعبة المشرفة و هو أول من ولد به، بل و لم يعلم أن غيره ولد بها». [٥]

و إليك نص الحديث في هذا المجال

١ ـ روى الحافظ الكنجي الشافعي، عن جابر بن عبد الله، قال:سألت رسول الله صلى الله عليه و آله عن ميلاد علي بن أبي طالب.فقال:لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام، إن الله تبارك و تعالي خلق عليا من نوري، و خلقني من نوره، و كلانا من نور واحد، ثم إن الله عز و جل نقلنا من صلب آدم في أصلاب طاهرة إلي أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا و نقل علي معي، فلم نزل كذلك حتي استودعني خير رحم و هي آمنة، و استودع عليا خير رحم و هي فاطمة بنت أسد.

فلما كانت الليلة التي ولد فيها على أشرقت الأرض، فخرج أبو طالب و هو يقول:أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله عز و جل. [٦]

٢ ـ و روى ابن المغازلي الشافعي و غيره بالاسناد عن زيدة بنت قريبة العجلان، عن أمها أم عمارة بنت عبادة بن نضلة الساعدي قالت:إنها كانت ذات يوم في نساء من العرب، إذا أقبل أبو طالب كئيبا حزين، فقلت له:ما شأنك يا أبا طالب؟قال:إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، ثم وضع يده على وجهه.

فبينا هو كذلك إذ أقبل محمد صلى الله عليه و آله فقال له:«ما شأنك يا عم؟فقال:إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده و جاء و هي معه، فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثم قال:اجلسي على اسم الله، قال:فطلقت طلقة فولدت غلاما مسرورا نظيفا منظفا لم أر كحسن وجهه، فسماه أبو طالب علي، و حمله النبي صلى الله عليه و آله حتى أداه إلى منزله، الحديث. [٧]

نسبه و كنيته و ألقابه

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي. [٨]

قال ابن الجوزي الحنفي:فأما كنيته فأبو الحسن و الحسين، و أبو القاسم، و أبو تراب، و أبو محمد. [٩]

قال الشيخ علاء الدين السكتواري في كنيته عليه السلام بأبي تراب:أول من كني بابي تراب علي بن أبي طالب عليه السلام كناه به رسول الله صلى الله عليه و آله حين وجده راقدا و على جنبه التراب، فقال له ملاطفا:قم يا أبا تراب، فكان أحب ألقابه. [١٠]

قال ابن الصباغ المالكي:و أما ألقابه فالمرتضى، و حيدر، و أمير المؤمنين، و الأنزع البطين . [١١]

قال ابن أبي الحديد:و من ألقابه يعسوب الدين، و يعسوب المؤمنين، هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه و آله، بلفظين مختلفين:تارة:أنت يعسوب الدين، و أخرى:أنت يعسوب المؤمنين، و الكل راجع إلي معني واحد، كأنه جعله عليه السلام، رئيس المؤمنين و سيدهم، أو جعل الدين يتبعه و يقفوا أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب، و هذا نحو قوله صلى الله عليه و آله:«و أدر الحق معه كيف دار». [١٢]

و من ألقابه الأنزع البطين و...

عن ابن المغازلي الشافعي:قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا علي، إن الله عز و جل قد غفر لك و لأهلك و لشيعتك و لمحبي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين، المنزوع من الشرك، البطين من العلم». [١٣]

قال سبط ابن الجوزي:و يسمي[علي عليه السلام]البطين لأنه كان بطينا من العلم، و كان يقول عليه السلام:لو«ثنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) حمل بعير»و يسمي الأنزع لأنه أنزع من الشرك». (١٤)

و قال أيضا:و يسمي أسد الله و أسد رسوله، و يسمي الولي، و الوصي، و التقي، و قاتل الناكثين و القاسطين، و شبيه هارون، و صاحب اللوى، و خاصف النعل، و كاشف الكرب، و أبو الريحانتين، و بيضة البلد، في ألقاب كثيرة. (١٥)

و من ألقابه أمير المؤمنين

اعلم أن هناك روايات و أخبار كثيرة عن النبي صلى الله عليه و آله و الائمة المعصومين عليهم السلام بلغت حد التواتر المعنوي علي أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد سمي بأمير المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه و آله، بل يفهم من بعضها أنه سمي بذلك اللقب قبل خلق آدم من قبل الله تعالى.

و تسميته عليه السلام بذلك قد جاءت من قبل الله تعالي، و أبلغ النبي صلى الله عليه و آله بذلك، و لم يكن هذا القلب قد عرفت به أيام خلافته، و لا كان من شخص الرسول صلى الله عليه و آله، لأنه عليه السلام صهره و ابن عمه، بل إن هذا اللقب كان من عند الله تعالي، أبلغه رسول الله صلى الله عليه و آله، و يعد من فضائله عليه السلام و مناقبه، و مما يدل على ذلك: ـ روى الموفق بن أحمد في المناقب و غيره، بالاسناد عن أنس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا أنس، اسكب لي وضوءا»ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال:«يا أنس، أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، و سيد المسلمين، و قائد الغر المحجلين، و خاتم الوصيين».

قال:قلت:اللهم اجعله رجلا من الأنصار، و كتمته، إذ جاء علي عليه السلام، فقال:«من هذا يا أنس»؟فقلت:علي.فقام مستبشرا فاعتنقه... (١٦)

٢ ـ و روى أيضا بالاسناد عن ابن عباس، قال:كان رسول الله صلى الله عليه و آله في بيته، فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام بالغداة، و كان يحب أن لا يسبقه إلى أحد، فدخل فاذا النبي صلى الله عليه و آله في صحن البيت، و إذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال : السلام عليك، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه و آله؟قال:بخير يا أخا رسول الله.

فقال علي عليه السلام:جزاك الله عنا خيرا أهل البيت.

فقال له دحية:إني لأحبك، و إن لك عندي مدحة أزفها إليك:أنت أمير المؤمنين، و قائد الغر المحجلين، و أنت سيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين و المرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزف أنت و شيعتك يوم القيامة مع محمد و حزبه إلى الجنان زفا زف، قد أفلح من تولاك، و خسر من عاداك، محبو محمد صلى الله عليه و آله محبوك، و مبغضوك لن تنالهم شفاعة محمد صلى الله عليه و آله، ادن مني صفوة الله.

فأخذ رأس النبي صلى الله عليه و آله فوضعه في حجره، و ذهب، فرفع رسول الله صلى الله عليه و آله رأسه، فقال النبي صلى الله عليه و آله:«ما هذه الهمهمة؟». [١٧]

فقال علي عليه السلام بما جرى، فقال صلى الله عليه و آله:يا علي، لم يكن دحية، و لكن كان جبرئيل، سماك باسم سماك الله به، فهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، و رهبتك فيصدور الكافرين. [١٨]

٣ ـ و روى بالاسناد عن ابن عباس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:هذا علي بن أبي طالب، لحمه لحمي، و دمه دمي، و هو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

و قال:يا أم سلمة، اشهدي و اعلمي و اسمعي، هذا علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، و سيد المسلمين، و عيبة علمي، [١٩] و بابي الذي أوتي منه، أخي في الدين، و خدني [٢٠] في الآخرة، و معي في السنام الأعلى. [٢١]

٤ ـ و روى الديلمي عن حذيفة بن اليمان، قال:لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين و آدم بين الروح و الجسد، قال الله عز و جل: (و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم علي أنفسهم ألست بربكم) [٢٢] قالت الملائكة:بلي، قال تبارك و تعالي:أنا ربكم، و محمد نبيكم، و علي أميركم. [٢٣]

و من كناه أبو تراب

لقد وقعت هذه التكنية لأمير المؤمنين عليه السلام مرارا لا مرة واحدة، كما سيأتي بيانه في بعض الأحاديث، و لا يخفي أن أعداءه من بني أمية و أتباعهم لا يطلقون عليه غير أبي تراب، و كأنهم يعيرونه عليه السلام بها مع أنها كانت موضع فخره و اعتزازه، و دعوا خطباءهم إلى أن يسبوه بها على المنابر، و جعلوها نقيصة له، فكأنما كسوه بهاالحلي و الحلل، كما أنهم كانوا لا يطلقون علي شيعته و أتباعه إلا الترابي و الترابية حتي صار لقبا لهم، قال الكميت :

و قالوا ترابي هواه و دينه ***بذلك ادعي بينهم و القب

و قال الحاكم النيشابوري:كان بنو اميه تنقص عليا عليه السلام بهذا الاسم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه و آله، و يلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدة ولايتهم، و كانوا يستهزؤون به، و إنما استهزؤوا بالذي سماه به، و قد قال الله تعالي: (قل أبا لله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤن*لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) الآية. [٢٤]

و قال سبط ابن الجوزي:و الذي ذكره الحاكم صحيح، فإنهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم، عن سعد بن أبي وقاص:أنه دخل على معاوية، فقال:ما منعك أن تسب أبا تراب؟الحديث . [٢٥]

قال ابن أبي الحديد في شرحه ما ملخصه:هو أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، الغالب عليه من كنيته عليه السلام أبو الحسن، و كان ابنه الحسن يدعوه في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله أبا الحسين، و يدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، و يدعوان رسول الله صلى الله عليه و آله أباهما.

فلما توفي النبي صلى الله عليه و آله دعواه بأبيهم، و كناه رسول الله صلى الله عليه و آله أبا تراب، وجده نائما في تراب، قد سقط عنه رداؤه، و أصاب التراب جسده، فجاء حتى جلس عند رأسه و أيقظه، و جعل يمسح التراب عن ظهره، و يقول له:«اجلس، إنما أنت أبو تراب»فكانت من أحب كناه إليه عليه السلام، و كان يفرح اذا دعي به، و كان بنو امية يرغبون خطباءهم أن يسبوه بها على المنابر، و جعلوها نقيصة له عليه السلام و وصمة [٢٦] عليه، فكأنما كسوه بها الحلي و الحلل كما قال الحسن البصري. [٢٧] قال ابن الجوزي:و أستمر، الحال إلى زمن عمر بن عبد العزيز، فجعل مكان ذلك السب (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان) فلما ولي بعده يزيد بن عبد الملك لم يتعرض لسبه، فقيل له في ذلك؟فقال :ما لنا و لهذ، و استمر الحال.و قيل:إن الوليد بن يزيد أعاد السب.و قيل:إن بعض بني امية كان يقول:اللهم صل على معاوية وحده، لقد لقينا من علي جهده. [٢٨]

في سبب هذه التكنية

١ ـ في صحيح البخاري، بالاسناد عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه:أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد، فقال:هذا فلان، لأمير المدينة، يدعو عليا عند المنبر.

قال:فيقول ماذا؟قال:يقول له أبو تراب.فضحك، قال:و الله ما سماه إلا النبي صلى الله عليه و آله، و ما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهل، و قلت له:كيف؟

قال:دخل علي على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صلى الله عليه و آله، «أين ابن عمك؟»قالت:في المسجد.فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، و خلص التراب إلي ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول:«اجلس يا أبا تراب»مرتين. [٢٩]

٢ ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن عمار بن ياسر، قال:كنت أنا و علي بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه و آله و أقام به، إذ هناك ناس من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخيل، فقال علي:«يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي هؤلاء فنظر كيف يعملون؟».قال:قلت:إن شئت.

قال:فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا و علي عليه السلامحتى اضطجعنا في صور [٣٠] من النخل و في دقعائه، فو الله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه و آله يحركنا برجله، و قد تتربنا من تلك الدقعاء [٣١] التي نمنا فيه، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام:«مالك، يا أبا تراب؟»لما يرى عليه من التراب، ثم قال:«ألا أحدثكم بأشقي الناس رجلين؟».قلنا:بلي، يا رسول الله.قال:«أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، و الذي يضربك يا علي على هذه»و وضع يده على قرنه«حتى تبتل منه هذه»و أخذ بلحيته. [٣٢]

٣ ـ و روي الطبراني و غيره، عن ابن عباس، قال:لما آخي النبي صلى الله عليه و آله بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فلم يؤاخ بين علي بن أبي طالب عليه السلام و بين أحد منهم، خرج علي عليه السلام مغضبا حتي أتى جدولا فتوسد ذراعه، فسفت عليه الريح، فطلبه النبي صلى الله عليه و آله حتى وجده، فوكزه برجله، فقال له:«قم، فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت علي حين آخيت بين المهاجرين و الأنصار، و لم اؤاخ بينك و بين أحد منهم؟!أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي؟!ألا من أحبك حف بالأمن و الإيمان، و من أبغضك أماته الله ميتة جاهلية، و حوسب بعمله في الإسلام». [٣٣]

٤ ـ و روي الجويني و ابن عساكر الشافعي، بإسنادهما عن حفص بن جميع:قال حدثني سماك بن حرب، قال :قلت لجابر:إن هؤلاء القوم يدعونني إلى شتم علي!!

قال:و ما عسيت أن تشتمه به؟

قال:اكنيه بأبي تراب.قال: (فو الله ما كانت لعلي عليه السلام كنية أحب إليه من أبي تراب) [٣٤] ، إن النبي آخى بين الناس و لم يؤاخ بينه و بين أحد، فخرج مغضبا حتى أتى كثيبا من رمل، فنام عليه،

فأتاه النبي صلى الله عليه و آله فقال:«قم يا أبا تراب»و جعل ينفض التراب عن ظهره و بردته، و يقول:«قم يا أبا تراب، أغضبت أن آخيت بين الناس و لم اؤاخ بينك و بين أحد؟» .قال:«نعم».قال:«أنت أخي، و أنا أخوك». [٣٥]

هوامش:

١.كفاية الطالب، ص .٤٠٧

٢.الفصول المهمة، ص .٣٠

٣.المستدرك، ج ٣، ص .٤٨٣

٤.عبقرية الامام علي عليه السلام، ص .٤٣

٥.وسيلة المال، ص ٢٨٢، مخطوط.

٦.كفاية الطالب، ص ٤٠٥، الباب السابع.

٧.المناقب، ص ٦، ح ٣، الفصول المهمة، ص ٣٠ الى .٣١

٨.انظر الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص .٢٦

٩.تذكرة الخواص، ص .١٥

١٠.محاضرة الأوائل، ص .١١٣

١١.الفصول المهمة، ص .١٣٠

١٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص .٢٢٤

١٣.المناقب لابن المغازلي، ص ٤٠٠، ح .٤٥٥

١٤.تذكرة الخواص، ص .١٦

١٥.نفس المصدر.

١٦.المناقب للخوارزمي، ص ٤٢، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٥، ح .١٠٩

١٧.أي الكلام الخفي.

١٨.المناقب للخوارزمي، ص .٢٣١

١٩.العيبة:وعاء من أدم و نحوه، يكون فيه المتاع، و العيبة من الرجل:موضع سره.

٢٠.الخدن:الصاحب و الرفيق و الحبيب.

٢١.المناقب للخوارزمي، ص ٨٦، نحوه في فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٩.

٢٢.الأعراف، ١٧٢.

٢٣.الفردوس، ج ٣، ص ٣٥٤، ح ٥٠٦٦.

٢٤.التوبة، ٦٥ و ٦٦.

٢٥.تذكرة الخواص، ص ١٦.

٢٦.الوصمة:العيب و العار.

٢٧.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١١.

٢٨.تذكرة الخواص، ص ١٧.

٢٩.صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨٨، ح ١٩٩.

٣٠.صور النخل:صغاره.

٣١.الدقعاء:التراب.

٣٢.المناقب لابن المغازلي، ص ٨، ح ٥، مسند أحمد، ص ٢٦٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٤/ ٣١٦.

٣٣.المعجم الكبير للطبراني، ج ١١، ص ٦٢، ح ١١٠٩٢، مناقب الخوارزمي، ص ٧.

٣٤.ما بين القوسين قد سقط من فرائد السمطين و موجود في تاريخ دمشق.

٣٥.فرائد السمطين، ج ١، ص ١١٧، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٣، ح ٣٣.

٣٥.فرائد السمطين، ج ١، ص ١١٧، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٣، ح ٣٣.

أبوه أبو طالب

قال ابن الصباغ المالكي:و اسم أبي طالب عبد مناف، و كنيته أبو طالب، و يلقب شيخ البطحاء، و كان ولد أبو طالب طالبا و لا عقب له، و عقيلا و جعفر، و عليا عليه السلام، و كل واحد أسن من الآخر بعشر سنين.و أم هاني، و اسمها فاختة، و امهم جميعا فاطمه بنت أسد. [١]

و توفى أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، و بعد خروجهم من الشعب، و عمره بضع و ثمانون سنة، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه و آله بوفاته و وفاة خديجة.فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب»و ذلك أن قريشا و صلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى إن بعضهم نثر التراب على رأسه، و بعضهم طرح عليه رحم الشاة و هو يصلي، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يخرج ذلك على العود و يقول:أي جوار هذا يا بني عبد مناف!ثم يلقيه بالطريق. [٢]

و كان للنبي صلى الله عليه و آله تعلق شديد بأبي طالب، فقد عاش في كنفه (٤٣) عاما منذ الثامنة من عمره حينما توفي عبد المطلب، و قد نشأ في حجر أبي طالب و كبر في بيته.و كان أبو طالب موحدا مؤمنا بالله و معتقدا بالإسلام أرسخ الاعتقاد، و يدل على إيمانه أشعاره التي قالها في مدح الرسول صلى الله عليه و آله و إثبات عقيدة التوحيد و الدفاع عن مبادىء الإسلام، فضلا عن ذبه و كفاحة من أجل إعلاء كلمة الاسلام و حمايةرسوله صلى الله عليه و آله و قد بقي على حاله هذه حتى وافاه الأجل، و إنما أخفى إيمانه ليتمكن أن يكون له شأن و اتصال مع كفار مكه، و ليطلع على مكائدهم و مؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقية، و كان مثله كأصحاب الكهف في قومهم و كمؤمن آل فرعون، و هو ممن آتاهم الله أجرهم مرتين:لإيمانه و تقيته.

و مما يدل على إسلامه و إيمانه جملة امور نذكر بعضا منها:

١ ـ منها أشعاره

و من تلك الأشعار على نحو الاختصار قوله:

نصرت الرسول رسول المليك ***ببيض تلألأ كلمع البروق

أذب و أحمي رسول الإله ***حماية حام عليه شفيق [٣]

ما الفرق بين الكلام المنثور و المنظوم إذا تضمنا الاقرار بالاسلام؟و شعره هذا يتضمن الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه و آله.

و من أشعاره في نصرة رسول الله صلى الله عليه و آله لما أخافته قريش:

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم ***حتى أوسد في التراب دفنيا

و عرضت دينا قد علمت بأنه ***من خير أديان البرية دينا [٤]

و مما أنشده أبو طالب، و كان كثيرا ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه و آله البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلا من منامه، و يضجع ابنه عليا مكانه، فقال له على ليلة:إني مقتول، فقال أبو طالب:

اصبرن يا بنى فالصبر أحجى ***كل حي مصيره لشعوب [٥]

قدر الله و البلاء شديد ***لفداء الحبيب و ابن الحبيب

فأجاب علي عليه السلام قائلا له:

أتامرنى بالصبر في نصر أحمد ***و و الله ما قلت الذي قلت جازعا

سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ***نبي الهدى المحمود طفلا و يافعا [٦]

و من شعره المشهور:

أنت النبي محمد ***قرم أعز مسود

لمسودين أكارم ***طابوا و طاب المولد [٧]

٢ ـ و منها إقراره بالشهادتين عند الموت

قال ابن أبي الحديد:و الخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاما خفي، فأصغى إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال:يابن أخي، و الله لقد قالها عمك، و لكنه ضعف عن أن يبلغك صوته. [٨]

و روى ابن هشام و الحلبي:أنه لما تقارب من أبي طالب الموت، نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال فأصغى إليه باذنه قال:فقال:يابن أخي، و الله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقوله، قال :فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لم أسمع». [٩]

فعدم سماعه صلى الله عليه و آله كان لضعف صوته عن أن يبلغ النبي صلى الله عليه و آله كما في الخبر المتقدم عن ابن أبي الحديد.

و روي عن علي عليه السلام أنه قال:«ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله من نفسه الرضا». [١٠]

و من أشعاره الدالة على إقراره بالشهادتين قوله:

يا شاهد الله علي فاشهد ***أني على ابن النبي أحمد

من ضل في الدين فاني مهتد [١١]

٣ ـ و منها أنه غسله أمير المؤمنين عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه و آله

روى الحلبي عن البيهقي:أن عليا عليه السلام غسل أبا طالب بأمر النبي صلى الله عليه و آله له بذلك. [١٢]

و عنه أيضا:عن علي عليه السلام:لما أخبرت النبي صلى الله عليه و آله بموت أبي طالب بكى و قال:اذهب فغسله و كفنه و واره، غفر الله له و رحمه. [١٣]

و لا ريب أنه لا يجوز للمسلم أن يتولى غسل الكافر، و لا يجوز للنبي صلى الله عليه و آله أن يأمر بغسل كافر، و لا أن يرق لكافر، و إنما كان ذلك دليلا على أن أبا طالب مات مسلما رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه.

و خلاصة القول في عدم إظهار أبي طالب لايمانه و المجاهرة به، أنه لو أظهر أيمانه لم يتهيأ له من نصرة النبي صلى الله عليه و آله ما تهيأ له، و كان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه، و لم يتمكن من نصرته و القيام دونه حينئذ، و إنما تمكن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش و إن أبطن الإسلام، فكان مثله كمثل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، رضي الله عنه و أرضاه.

أمه فاطمة بنت أسد

قال ابن عبد البر المالكي:و ام علي بن أبي طالب، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، و هي أول هاشمية ولدت لهاشمي.توفيت مسلمة قبل الهجرة، و قيل:إنها هاجرت. [١٤]

قال ابن الجوزي الحنفي:أن فاطمة أسلمت و هاجرت إلى المدينة، و توفيت بها سنة أربعة من الهجرة، و شهد رسول الله صلى الله عليه و آله جنازته، و صلى عليها و دعا له، و دفع لها قميصه فألبسها إياه عند تكفينها. [١٥]

و عنه أيضا عن ابن عباس قال:و فيها نزلت (يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) [١٦] الآية، قال:و هي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، و هي أول امرأة بايعت محمدا رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة بعد خديجة. [١٧]

قال ابن الصباغ المالكي:أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع هي و أبو طالب في هاشم، أسلمت و هاجرت مع النبي صلى الله عليه و آله، و كانت من السابقات إلى الإيمان بمنزلة الام من النبي، فلما ماتت كفنها النبي صلى الله عليه و آله بقميصه، و أمر اسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصاري و عمر بن الخطاب و غلاما أسود فحفروا قبره، فلمابلغوا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه و آله بيديه و أخرج ترابه، فلما اضطجع فيه، قال:

«الله الذي يحيي و يميت و هو حي لا يموت، اللهم اغفر لامي فاطمة بنت أسد و لقنها حجته، و وسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد و الأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين».

فقيل:يا رسول الله، رأيناك وضعت شيئا لم تكن وضعته بأحد قبلها؟

فقال:«ألبستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة، و اضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خلق الله صنعا إلي بعد أبي طالب». [١٨]

زواجه من فاطمة عليها السلام

يدور بحثناهنا حول زواج فاطمة عليها السلام من علي بن أبي طالب عليه السلام و بعض فضائل فاطمة عليها السلام اختصارا:

عمرها الشريف

اختلفت العامة و الخاصة في تاريخ ولادتها و وفاته، و في عمرها الشريف.

و المشهور بين علماء الخاصة أن ولادتها كانت في جمادي الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس و أربعين من مولد النبي صلى الله عليه و آله ـ يعني سنة خمس من المبعث ـ فأقامت فاطمة مع أبيها بمكة ثمانية سنين، و هاجرت إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و عاشت في المدينة عشر سنين، و بعد أبيها أربعين أو خمسة و سبعين أو تسعين يوم، و كان عمرها الشريف ثمان عشرة سنة و أياما.

قال ابن الصباغ المالكي، عن الشيخ كمال الدين بن طلحة:ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله قبل النبوة و البعث بخمس سنين، و قريش تبني البيت، و تزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، و دخل بها في ذى الحجة من السنة المذكورة. [١٩]

فضائلها

١ ـ روى البخاري في باب مناقب فاطمة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال :«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». [٢٠] ـ و فيه أيضا عن المسور بن مخرمة أنه قال:أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:«فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». [٢١]

٣ ـ و في صحيح مسلم و حلية الأولياء، بسندهما عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال :«إنما فاطمة ابنتي، بضعة مني، يريبني ما أرابه، و يؤذيني ما آذاها». [٢٢]

٤ ـ و روي ابن المغازلي الشافعي، باسناده عن علي عليه السلام أنه قال:«أن فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام، استأذن عليها أعمي فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه و آله لم حجبتيه، و هو لا يراك؟فقالت:يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، و هو يشم الريح.فقال النبي صلى الله عليه و آله:أشهد أنك بضعة مني». [٢٣]

٥ ـ و روى ابن الصباغ المالكي عن مجاهد، قال:خرج النبي صلى الله عليه و آله و هو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال:«من عرف هذه فقد عرفه، و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، و هي بضعة مني، و هي قلبي و روحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله». [٢٤]

٦ ـ و رواه أيض، عن أبي أيوب، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين و الآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من بطنان العرش:إن الجليل جل جلاله، يقول:نكسوا و غضوا أبصاركم، فإن هذه فاطمة بنت رسول الله تريد أن تمر على الصراط» . [٢٥]

كلمة في زواجها عليها السلام

١ ـ قال ابن عبد البر المالكي:و زوجه رسول الله صلى الله عليه و آله في سنة ثنتين من الهجرةابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ما خلا مريم، و قال لها:«زوجتك سيدا في الدنيا و الآخرة، و إنه لأول أصحابي إسلام، و أكثرهم علم، و أعظمهم حلما».

قالت أسماء بنت عميس:فرمقت رسول الله صلى الله عليه و آله حين اجتمع، جعل يدعو لهم، و لا يشرك في دعائهما أحدا غيرهم، و جعل يدعو له كما دعا لها. [٢٦]

٢ ـ و روى الحافظ أبو نعيم الاصفهاني و الخطيب البغدادي، بسندهما عن عبد الله بن مسعود، قال :أصابت فاطمة صبيحة يوم العرس رعدة، فقال لها النبي صلى الله عليه و آله:«يا فاطمة، زوجتك سيدا في الدني، و إنه في الآخرة لمن الصالحين.

يا فاطمة، لما أراد الله تعالى أن أملكك بعلي أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفا ثم خطب عليهم، فزوجتك من علي، ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي و الحلل، ثم أمرها فنشرته على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئا يومئذ أكثر مما أخذ غيره، افتخر به إلى يوم القيامة».

قالت أم سلمة:لقد كانت تفتخر على النساء، لأن أول من خطب عليها جبريل عليه السلام. [٢٧]

إخوانه و أخواته عليه السلام

جملة إخوته ثلاثة، و هم طالب و هو أكبر ولد أبي طالب و به كان يكنى، و عقيل، و جعفر الطيار .

و كان علي عليه السلام أصغرهم سن، و كان جعفر أسن منه بعشر سنين، و عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، و طالب أسن من عقيل بعشر سنين.ذكر ذلك ابن قتيبة و غيره. [٢٨]

قال ابن الجوزى:و كنية طالب أبو يزيد، و كان عالما بأنساب قريش، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله صلى الله عليه و آله كره، فلما انهزم المشركون يوم بدر، لم يوجد لا في القتلى و لا في الأسرى و لا رجع إلى مكة، و لا يدرى ما حاله و ليس له عقب.

و عقيل أخرج في بدر مكرها و أسر يومئذ و لم يكن له مال، ففداه عمه العباس...ثم رجع الى مكة فأقام بها الى سنة ثمان من الهجرة، ثم خرج مهاجرا الى المدينة فشهد غزاة موته، و قال الواقدى:و عاش الى سنة خمسين من الهجرة و توفي فيها بعد ما ذهب بصره.

و اما جعفر، فانه كان اكبر من علي عليه السلام بعشر سنين و أنه أسلم قديما و أقام بالحبشة مهاجرا حتى فتحت خيبر سنة سبع و قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله فيها فقام اليه و اعتنقه و قبله بين عينيه و قال:«ما أدرى بأيهما أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.» [٢٩]

أما أخواته فاثنتان، و هما أم هاني و اسمها فاخته و قيل هند، أسلمت يوم الفتح، و هي التي صلى النبي صلى الله عليه و آله في بيتها عام الفتح.و الاخرى جمانة، و تزوجها ابن عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و ولدت له. [٣٠]

أولاده عليه السلام

عدد أولاده ثمانية و عشرون. [٣١]

أسماؤهم:الحسن و الحسين و زينب الكبرى، و زينب الصغرى المكناة أم كلثوم عليهم السلام و السقط الذي سماه النبي صلى الله عليه و آله في حياته و هو حمل محسن، هؤلاء جميعا من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله.

و محمد المكنى أبا القاسم من خولة الحنفية، و عمر و رقية من أم حبيب، و العباس و جعفر و عثمان و عبد الله الشهداء في كربلاء مع الامام الحسين عليه السلام من أم البنين.و محمد الأصغر المكنى أبا بكر، الشهيد مع أخيه الامام الحسين عليه السلام في كربلاء، و عبيد الله الذي قتل يوم المذار [٣٢] و كان مع مصعب بن الزبير، أمهما ليلى بنت مسعود.و يحيى و عون من أسماء بنت عميس.و أم الحسن و رملة من أم مسعود.و نفيسة و زينب الصغرى و أم هاني و أم الكرام و جمانة المكناة بأم جعفر و أمامة و أم سلمة و ميمونة و خديجة و فاطمه من أمهات شتي. [٣٣]

صفته عليه السلام

كان عليه السلام ربعة [٣٤] من الرجال أدعج [٣٥] العينين عظيمهم، حسن الوجه، كأنه قمر ليلة البدر، عظيم البطن إلى السمن، عريض ما بين المنكبين، لمنكبه مشاش [٣٦] كمشاش السبع الضاري [٣٧] ، لا يبين عضده، كأن عنقه إبريق فضه، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير شعر اللحية، و كان لا يخضب، و قد جاء عنه الخضاب، و المشهور أنه كان أبيض اللحية.

و كان إذا مشى تكفأ [٣٨] ، شديد الساعد و اليد، و إذا مشى إلى الحروب هرول، ثبت الجنان، قوي، ما صارع أحدا إلا صرعه، شجاع، منصور عند من لاقاه. [٣٩]

هوامش:

١.الفصول المهمة، ص ٣٠.

٢.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٠٧، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٨٠، السيرة النبوية لإبن هشام، ج ٢، ص ٥٧، البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٢٠، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٨٤.

٣.ديوان أبي طالب، ص ٥١، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٤.

٤.ديوان أبي طالب، ص ٣٥، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٥٥.

٥.الشعوب:المنية.

٦.مستدرك ديوان أبي طالب، ص ٧٤، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٦٤.

٧.مستدرك ديوان أبي طالب، ٧٥، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٧.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧١.

٩.السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٥٩، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤٦.

١٠.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧١.

١١.مستدرك ديوان أبي طالب، ص ٨٩، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٨.

١٢.السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤٧.

١٣.نفس المصدر.

١٤.الاستيعاب بهامش الاصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٦.

١٥.تذكرة الخواص لابن الجوزي، ص ٢٠.

١٦.الممتحنة، ١٢.

١٧.تذكرة الخواص، ص ٢٠.

١٨.الفصول المهمة، ص ٣١.

١٩.الفصول المهمة، ص ١٤٤.

٢٠.صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٦.

٢١.نفس المصدر، ج ٥، ص ٩٦.

٢٢.صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٠٣، ح ٩٤، حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٠.

٢٣.المناقب، ص ٣٨١، ح ٤٢٨.

٢٤.الفصول المهمة، ص ١٤٦.

٢٥.نفس المصدر، ص ١٤٧.

٢٦.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣٦.

٢٧.حلية الأولياء، ج ٥، ص ٥٩، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٢٩.

٢٨.ذخائر العقبى، ص ٢٠٧، المعارف، ص ٢٣٠.

٢٩.تذكرة الخواص، ص ٢١ و ١٦٩.

٣٠.ذخائر العقبى، ص ٢٠٧، المعارف، ص ٢٣١.

٣١.و قيل غير ذلك، راجع صفة الصفوة، ج ١، ص ٣٠٩، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٩٧.

٣٢.المذار:موضع قريب من ميسان، فيه مشهد عبيد الله بن علي عليه السلام.

٣٣.التتمة في تواريخ الائمة، ص ٥٧، المعارف، ص ٢١٠.

٣٤.الربعة:لا طويل و لا قصير.

٣٥.الدعج:شدة سواد العين مع سعتها.

٣٦.المشاش:رؤوس العظام اللينة.

٣٧.الضاري:المعود للصيد.

٣٨.تكفأ:تمايل في مشيته.

٣٩.ذخائر العقبى، ص ٥٧.

٣٩.ذخائر العقبى، ص ٥٧.

الفصل الثاني - موضع علي عليه السلام في الغزوات

دور علي عليه السلام في قتال المشركين

قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام المشركين مع رسول الله صلى الله عليه و آله على كلمة التوحيد، و تنزيل الكتاب الكريم، و تثبيت دعائم النبوة و مبادىء الاسلام العزيز، فكان لسيفه دور متميز، و لجهاده أثر واضح في أن تعم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله الجزيرة العربية و ما والاه، و كان لثباته مع الرسول صلى الله عليه و آله في كثير من المعارك التي عز فيها الناصر و قل فيها الصديق و كثر فيها العدو، أثر كبير في الانتصارات الكبرى التي عززت موقع الاسلام، و ثبتت أركانه، و فيما يلي نورد دوره عليه السلام في الغزوات و المعارك على الاختصار:

بدر الكبرى

غزوة بدر الكبرى و يقال لها:بدر العظمى، وقعت في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان، في السابع عشر، و قيل:في التاسع عشر، و كان يوم الجمعة.

و هذه الغزوة هي أول غزوات الرسول صلى الله عليه و آله المهمة، و بها تمهدت قواعد الدين، و أعز الله الإسلام، و أذل جبابرة قريش، و قتل فيها رؤساؤهم، و وقعت الهيبة للمسلمين في قلوب العرب و اليهود، و كما قال الله تعالى: (و كفي الله المؤمنين القتال) [1] بالنبي صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام و شركائه في نصرة الدين من خاصة آل الرسول و من أيدهم به من الملائكة الكرام.و قد أثبت أهل السير و التاريخ أن النبي صلى الله عليه و آله أعطى عليا رايته يوم بدر.

١ - روى الطبري بسنده عن ابن عباس، أنه قال:كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجل، و كان الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجل، و كان صاحب راية رسول الله علي بن أبي طالب، و صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة. [2]

٢ - و قال ابن عبد البر المالكي:و أجمعوا على أن عليا عليه السلام صلى القبلتين، و هاجر و شهد بدرا و الحديبية و سائر المشاهد، و أنه أبلى ببدر و باحد و بالخندق و بخيبر بلاء عظيم، و أنه أغنى في تلك المشاهد، و قام فيها المقام الكريم، و كان لواء رسول الله صلى الله عليه و آله بيده في مواطن كثيرة، و كان يوم بدر بيده. [3]

٣ ـ و عنه أيض، عن ابن عباس، قال:دفع رسول الله صلى الله عليه و آله الراية يوم بدر إلى علي و هو ابن عشرين سنة. [٤]

٤ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن ابن عباس، قال:إن راية المهاجرين كانت مع علي عليه السلام في المواقف كلها يوم بدر و يوم احد و يوم خيبر و يوم الأحزاب و يوم فتح مكة، و لم تزل معه في المواقف كلها. [٥]

وصف المعركة

روى أصحاب التواريخ عن أبي رافع مولى رسول الله و غيره، قالوا:لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش، أمامها عتبة بن ربيعة، و أخوة شيبة، و ابنه الوليد، فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه و آله فقال:يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبان الأنصار، فقال لهم عتبة:من أنتم؟فانتسبوا له، فقال لهم:لاحاجة بنا إلى مبارزتكم، إنما طلبنا بني عمن، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله للأنصار:«ارجعوا إلى مواقفكم»ثم قال:«قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم.إذا جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله»، فقاموا فصفوا للقوم، و كان عليهم البيض، فلم يعرفوا.

فقال لهم عتبة:تكلمو، فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم.

فقال حمزة:أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله، فقال عتبة:كفو كريم.و قال أمير المؤمنين عليه السلام:أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.و قال عبيدة:أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

فقال عتبة لابنه الوليد:قم يا وليد، فبرز إليه أمير المؤمنين و كانا إذا ذاك أصغر الجماعة سن، فاختلفا ضربتين، أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام، و اتقى بيده اليسري ضربة أمير المؤمنين فأبانته، و قتل أمير المؤمنين الوليد.ثم بارز عتبة حمزة رضى الله عنه فقتله حمزة، و مشى عبيدة ـ و كان أسن القوم ـ إلى شيبة، فاختلفا ضربتين، فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعه، و استنقذه أمير المؤمنين و حمزة منه و قتلا شيبة، و حمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء.

و بالجملة، قد عد المؤرخون أسماء (٣٥) رجلا من المشركين، كلهم قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المعركة. [٦]

احد

كانت وقعة احد في شوال بعد بدر بسنة، و أعطى النبي صلى الله عليه و آله الراية ـ و هي العلم الأكبر ـ علي بن أبي طالب، و قتل فيها حمزة سيد الشهداء أسد الله و أسد رسوله.

و قد ذكر المورخون:أن قتلى أحد من المشركين جمهورهم قتلى علي بن أبي طالب عليه السلام، و كان الفتح له بمقامه يذب عن رسول الله صلى الله عليه و آله دون غيره، و توجه العتاب من الله إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سواه و من ثبت معه من رجال الأنصار، و فيما يلي بعض أقوال المورخين في وصف المعركة و دور أمير المؤمنين عليه السلام فيها:

١ ـ جاء في رواية الطبري:و قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه و آله و معه لواؤه حتى قتل، و كان الذي أصابه ابن قميئة الليثي و هو يظن أنه رسول الله، فرجع إلى قريش، فقال :قتلت محمد، فلما قتل مصعب بن عمير، أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله اللواء علي بن أبي طالب، الحديث. (٧)

٢ ـ و قال ابن الأثير:فلما فارق بعض الرماة مكانهم، رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة، فحمل عليهم فقتلهم، و حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه و آله من خلفهم، فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل، تبادروا فشدوا على المسلمين، فهزموهم و قتلوهم، و قد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقى مطروحا لا يدنو منه أحد، فأخذته عمرة بنت علقمه الحارثية فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، و أخذه صوأب فقتل عليه، و كان الذي قتل أصحاب اللواء علي عليه السلام، قاله أبو رافع.

قال:فلما قتلهم أبصر النبي صلى الله عليه و آله جماعة من المشركين فقال لعلي عليه السلام :احملعليهم، ففرقهم و قتل فيهم، ثم أبصر جماعة اخرى فقال له:احمل عليهم، فحمل عليهم و فرقهم و قتل فيهم، فقال جبرائيل:يا رسول الله، هذه المؤاساة!فقال رسول الله:إنه مني و أنا منه، فقال جبرائيل:و أنا منكم، قال:فسمعوا صوتا:

لا سيف إلا ذوالفقار

و لا فتى إلا علي

و كسرت رباعية رسول الله السفلى، و شقت شفته، و كلم في و جنته و جبهته في أصول شعره، و علاه ابن قميئة بالسيف، و كان هو الذي أصابه.إلى أن قال:و قاتل مصعب بن عمير و معه لواء المسلمين فقتل، قتله ابن قمئة الليثي، و هو يظن أنه النبي صلى الله عليه و آله، فرجع إلى قريش و

قال:قتلت محمد، فجعل الناس يقولون:قتل محمد، قتل محمد، و لما قتل مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام. (٨)

لما انتشر قتل محمد صلى الله عليه و آله فر معظم الأصحاب حتى عمر بن خطاب و عثمان بن عفان من معركة القتال و بقي علي عليه السلام و ثلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله.

٣ ـ و روى أكثر المورخين فيهم:ابن هشام و الطبري و ابن الأثير بأسانيدهم، عن أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ أنه انتهاى إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا ما بأيديهم، فقال:ما يجلسكم؟قالوا:قتل محمد رسول الله!قال:فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، و به سمى أنس بن مالك. (٩)

٤ ـ و عن ابن الأثير:قيل:إن أنس بن النضر سمع نفرا من المسلمين يقولون، لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه و آله قتل:ليت لنا من يأتي عبد الله بن ابى بن سلول ليأخذ لنا أمانا من أبي سفيان قبل أن يقتلون، فقال لهم أنس:يا قوم، إن كان محمد قد قتل فان ربمحمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر أليك مما يقول هؤلاء، و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء!ثم قاتل حتى قتل. (١٠)

٥ ـ و عنه أيضا قال:و انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عفان و غيره إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاث، ثم أتوا النبي صلى الله عليه و آله فقال لهم حين رآهم:لقد ذهبتم فيها عريضة . (١١)

٦ ـ و قال الرازي في تفسيره:و من المنهزمين عمر، ...و منهم أيضا عثمان، انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما سعد و عقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيد، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبي صلى الله عليه و آله:لقد ذهبتم فيها عريضة. (١٢)

٧ ـ و قال ابن أبي الحديد المعتزلي في قتال علي عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله وحده:لما فر معظم أصحابه عنه يوم احد، كثرت عليه كتائب المشركين، و قصدته كتيبة من بني كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف و هم خالد و أبو الشعثاء و أبو الحمراء و غراب، فقال :«يا علي أكفني هذه الكتيبة»فحمل عليها و إنها لتقارب خمسين فارسا و هو عليه السلام راجل، فما زال

يضرب فيها بالسيف حتى تتفرق عنه، ثم يجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة و تمام العشرة منها ممن لا يعرفون بأسمائهم.

ثم قال أيضا:و لما انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه و آله في يوم احد و ثبت أمير المؤمنين عليه السلام، قال له النبي:«ما لك لا تذهب مع القوم؟»، قال أمير المؤمنين:«أذهب و أدعك، يا رسول الله؟!!، و الله لا برحت حتى اقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة»فقال له النبي صلى الله عليه و آله:«أبشر يا علي، فإن الله منجز وعده، و لن ينالوا منا مثلها أبدا».

ثم نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال:«لو حملت على هذه يا علي»فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليه، فقتل منها هشام بن أمية المخزومي و انهزم القوم، ثم أقبلت كتيبة اخرى، فقال له النبي صلى الله عليه و آله:«احمل على هذه»فحمل عليهم، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي، و انهزمت أيضا.

ثم أقبلت كتيبة اخرى، فقال له النبي صلى الله عليه و آله:«احمل على هذه»فحمل عليه، فقتل بشر بن مالك العامري، و انهزمت الكتيبة، و لم يعد بعدها منهم، و تراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه و آله. (١٣)

و بقي علي عليه السلام معه صلى الله عليه و آله في كل همومه و في كل مواقف الشدة و العسرة .

٨ ـ و قال ابن هشام:فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه و آله إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب عليه السلام!حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله ليشرب منه، فوجد له ريح، فعافه، فلم يشرب منه، و غسل عن وجهه الدم، و صب على رأسه، و هو يقول:اشتد غضب الله على من دمى وجه نبية. (١٤)

تعليقات:

١.الأحزاب، ٢٥.

٢.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٣٨.

٣.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣٣.

٤.المصدر السابق.

٥.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٤٢.

٦.انظر السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧١، المغازي للواقدي، ج ١، ص ١٥٢، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٤.

٧.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٩٩.

٨.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥١.

٩.السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٨٨، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٩٩، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥٣.

١٠.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥٣.

١١.نفس المصدر، ص ٥٥٤.

١٢.تفسير الرازي، ج ٩، ص ٥٠.

١٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٢٥٠.

١٤.سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٩٠.

١٤.سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٩٠.

الخندق (الأحزاب)

وقعت غزوة الخندق ـ و يقال لها غزوة الأحزاب ـ في شوال سنة خمس من الهجرة، و كانت قريش تبعث إلى اليهود و سائر القبائل من كنانة و تهامة و غيرهم، فتحرضهم على قتال رسول الله صلى الله عليه و آله.

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه و آله و ما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي قبل قدومهم بثلاثة أيام، و أقبلت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم حتى نزلوا إلى جنب أحد، فلما نظروا إلى الخندق أنكروا ذلك، و قالوا:ما كانت العرب تعرفه قبل ذلك، و خرج رسول الله صلى الله عليه و آله في ثلاثة آلاف من المسلمين، و جعلوا ظهورهم إلى«سلع» [1] فضرب هنالك عسكره، و الخندق بينه و بين القوم. [2]

و فيما يلي بعض أخبار المعركة:

١ ـ روى أهل السير و التاريخ:أنه بقي المشركون محاصرين المدينة قريبا من شهر، و لم يكن بينهم قتال إلا الرمى بالنبل و الحصى، ثم إن فوارس من قريش في هذه الأيام، منهم:عمرو بن عبدود و أربعة نفر من فرسان المشركين:عكرمة بن أبي جهل، و نوفل بن عبد الله بن المغيرة، و هبيرة ابن أبي وهب، و ضرار بن الخطاب الفهري، خرجوا على خيولهم، و اجتازوا ببني كنانه، و قالوا:تجهزوا للحرب، و ستعلمون من الفرسان، و كان عمرو بن عبدود قد شهد بدرا كافرا و قاتل حتى كثرت الجراح فيه، فلم يشهد أحد، و شهد الخندق معلما حتى يعرف مكانه، و أقبل هو و أصحابه حتى وقفوا على الخندق، ثم تيمموا مكانا ضيقا فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق و سلع. [3]

٢ ـ و في السيرة للحلبي:و قال عمرو:من يبارز؟فقام علي عليه السلام و قال:أنا له يا نبي الله.فقال صلى الله عليه و آله له:اجلس إنه عمرو بن عبدود، ثم كرر عمرو النداء، و جعل يوبخ المسلمين و يقول:أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها:أفلا يبرزن لي رجلا !و أنشد أبيات، فقام علي عليه السلام فقال:أنا له يا رسول الله، فقال صلى الله عليه و آله له:اجلس إنه عمرو بن عبدود، ثم نادى الثالثة، فقام علي عليه السلام فقال:أنا له يا رسول الله، فقال:إنه عمرو.فقال:و إن كان عمر، فأذن له رسول الله صلى الله عليه و آله، و أعطاه سيفه ذا الفقار، و ألبسه درعه الحديد، و عممه بعمامته، و قال:«اللهم أعنه عليه»و في لفظ قال:«اللهم هذا أخي و ابن عمي، فلا تذرني فردا و أنت خير الوارثين». [4]

فمشى إليه علي عليه السلام فقال له:يا عمرو، إنك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلا أخذت إحداهما؟قال:أجل، قال له علي عليه السلام:فإني أدعوك إلى الله و الإسلام.قال :لا حاجة لي بذلك.قال:فأني أدعوك إلى النزال، قال:و الله، ما احب أن أقتلك.قال علي عليه السلام:و لكني احب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فنزل عن فرسه و عقره، ثم أقبل على علي عليه السلام فتجاول، و قتله علي عليه السلام، و خرجت خيلهم منهزمة، و قتل مع عمرو رجلان، قتل علي عليه السلام أحدهما و أصاب آخر سهم فمات منه بمكة. (٥)

٣ ـ و قال الحلبي في سيرته أيضا:فاقتحم عمرو عن فرسه و سل سيفه كأنه شعلة نار، فعقر فرسه، و ضرب وجهه، و أقبل على علي عليه السلام فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو فيه، فقدها و أثبت فيها السيف، و أصاب رأسه فشجه، فضربه علي عليه السلام على حبل عاتقه فسقط، و كبر المسلمون، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و آله التكبير عرف أن عليا عليه السلام قتل عمرا لعنه الله، و عند ذلك قال صلى الله عليه و آله:«قتل علي لعمرو بن عبدود أفضل من عبادة الثقلين». (٦)

٤ ـ و فيه عن تفسير الفخر الرازي:أنه صلى الله عليه و آله قال لعلي عليه السلام بعد قتله لعمرو بن عبدود:«كيف وجدت نفسك معه يا علي؟قال:وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب و أنا في جانب، لقدرت عليهم». (٧)

٥ ـ و في شرح ابن أبى الحديد:قال رسول الله صلى الله عليه و آله حين برز علي عليه السلام إلى حرب عمرو:«برز الإيمان كله إلى الشرك كله». (٨)

٦ ـ و في مستدرك الحاكم، قال رسول الله صلى الله عليه و آله في شأنه عليه السلام:«لمبارزه علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة». (٩)

و بالجملة أن قتله عليه السلام عمرو بن عبدود و من معه من الفرسان، كان قد أدى إلى هزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح و البرد، و أدى إلى خوفهم من أن يعودوا إلى التفكير في الغزو، فرجعوا إلى مكة منهزمين يجرون أذيال الخيبة و الخسران.

الحديبية

الظاهر من الروايات أن نظام تدبير هذه الغزاة متعلقا بأمير المؤمنين عليه السلام، و كان ما جري فيها من البيعة و صف الناس للحرب، ثم الهدنة و الكتاب كله لأمير المؤمنين عليه السلام، و كان فيما هيأه الله تعالى له من ذلك حقن الدماء و صلاح أمر الاسلام، و فيما يلي بعض الأخبار في ذلك:

١ ـ قال اليعقوبي ما ملخصه:خرج رسول الله صلى الله عليه و آله:في السادس من الهجرة و هو يريد العمرة، و معه ناس من أصحابه، و ساق من الهدي سبعين بدنه، و ساق أصحابه أيض، فصدته قريش عن البيت، فقال صلى الله عليه و آله:ما خرجت أريد قتال، و إنما أردت زيارة هذا البيت، و قد كان رسول الله رأى في المنام أنه دخل البيت و حلق رأسه و أخذ المفتاح، فبعثت قريش بعروة بن مسعود، فكلم رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال له:يا عروة، أفي الله أن يصد هذا لهدي عن هذا البيت؟فانصرف إليهم عروة، فقال:تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له، فبعثوا إليه سهيل بن عمرو فكلم رسول الله و أرفقه، و قال:نخليها لك من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه و آله، و كتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين.

و تنازعوا بالكتاب، لما كتب«بسم الله الرحمن الرحيم:من محمد رسول الله»حتى كادوا أن يخرجوا إلى الحرب، قال سهيل بن عمرو و المشركون:لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك!و قال المسلمون :لا تمحه، فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن يكفوا و أمر عليا عليه السلام فكتب«بسمك اللهم:من محمد بن عبد الله»و قال:اسمي و اسم أبي لا يذهبان بنبوتي. (١٠)

٢ ـ و روى الخطيب و غيره من مورخي أهل السنة، عن أبي كلثوم عن ربعي بن خراش، قال:سمعت عليا عليه السلام يقول و هو بالمدائن:جاء سهيل بن عمرو إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال :إنه قد خرج إليك ناس من أرقائن، فأرددهم علين، فقال له أبو بكر و عمر:قد صدق يا رسول الله!فقال صلى الله عليه و آله:«لن تنتهوا يا مشعر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالايمان يضرب أعناقكم، و أنتم مجفلون عنه إجفال النعم».فقال أبو بكر:أنا هو يا رسول الله؟قال:ل، قال له عمر:أنا هو يا رسول الله؟قال:ل، و لكنه خاصف النعل.قال:و في كف علي نعل يخصفها لرسول الله صلى الله عليه و آله. (١١)

٣ ـ و مما جرى في هذه الغزوة ما أخرجه الحاكم في المستدرك، عن أبي سعيد رضى الله عنه، قال :«كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله فانقطعت نعله، فتخلف علي يخصفه، فمشى قليلا ثم قال:«إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم، و فيهم أبو

بكر و عمر، قال أبو بكر:أنا هو؟قال:ل، قال عمر:أنا هو؟قال:ل، و لكن خاصف النعل، يعني علي، فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه. (١٢)

٤ ـ و في الكامل لابن الأثير:بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه و آله ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك، فأقبل سهيل إلى النبي و أطال معه الكلام و تراجع، ثم جرى بينهم الصلح، فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب فقال:اكتب باسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل:لا نعرف هذ، و لكن اكتب باسمك اللهم، فكتبه، ثم قال:اكتب:هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ـ فقالسهيل:لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك.فقال لعلي:امح رسول الله.فقال:لا أمحوك أبدا.فأخذه رسول الله و ليس يحسن يكتب، فكتب موضع رسول الله:محمد بن عبد الله، و قال لعلي:لتبلين بمثله ـ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، و أنه من أتى منهم رسول الله صلى الله عليه و آله بغير إذن وليه رده إليهم، و من جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه و آله لم يردوه عليه، و من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله دخل، و من أحب أن يدخل في عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و دخلت بنو بكر في عهد قريش، و أن يرجع رسول الله عنهم عامه ذلك، فإذا كان عام قابل خرجنا عنك.فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاث، و سلاح الراكب السيوف في القرب.

إلى أن قال:فما فتح في الاسلام قبله فتح كان أعظم منه، حيث أمن الناس كلهم، فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك و أكثر. (١٣)

خيبر

وقعت غزوة خيبر في أول سنة سبع من الهجرة ففتحت حصونهم، و هي ستة، و فيها عشرون ألف مقاتل، و كان المسلمون ألفا و أربعمائة، و كانت الراية في يوم الفتح لأمير المؤمنين عليه السلام و وقع الفتح على يديه، و فيما يلي بعض أخبارها:

١ ـ روى أكثر المورخين من العامة و الخاصة أن رسول الله صلى الله عليه و آله بعث أبا بكر برايته ـ و كانت بيضاء ـ إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع، و لم يك فتح و قد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع، و لم يك فتح، و قد جهد، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله :«لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار»فدعا رسول الله صلى الله عليه و

آله عليا عليه السلام و هو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال:خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال ابن إسحاق:يقول سلمة بن عمرو:فخرج علي عليه السلام و الله بها يأنح [١٤] ، يهرول هرولة، و إنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم [١٥] من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال:من أنت؟قال:أنا علي بن أبي طالب .قال:يقول اليهودي:علوتم و ما أنزل على موسى، أو كما قال، قال:فما رجع حتى فتح الله على يديه. [١٦] ـ و عن الطبري و ابن الأثير:أن عليا عليه السلام بعد ما أخذ الراية فأتى خيبر، خرج مرحب صاحب الحصن و عليه مغفر معصفر يمان و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه و هو يرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب

شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمتني امي حيدره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديد قصوره

فاختلفا ضربتين، فبدره علي عليه السلام فضربه فقد الحجر و المغفر و رأسه حتى وقع في الأضراس، و أخذ المدينة. [١٧]

٣ ـ و عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:خرجنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام بابا كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أناثا منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. [١٨]

٤ ـ و في السيرة للحلبي بعد نقل الحديث قال:و قيل:و لم يقدر على حمله أربعون رجل، و قيل :سبعون. [١٩]

٥ ـ و فيه أيضا قال:و فتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم، و هو روى حصن فتح من حصون النطاة على يد علي عليه السلام. [٢٠]

كرامة و منقبة عظمى

١ ـ قال سبط ابن الجوزى:أخرج البخاري و مسلم في الصحيحين، و اتفقا عليه، من حديث سهيل بن سعد، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم خيبر:«لأعطين الراية ـ أو هذه الراية ـ غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، يفتح الله على يديه».

فبات الناس يدوكون [٢١] أيهم يعطاه، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و آله يرجو كل أن يعطاه، فقال صلى الله عليه و آله:«أين علي بن أبي طالب؟»فقيل:يا رسول الله، هو أرمد أو يشتكي عينيه، قال :«فأرسولوا إليه»فجاء فبصق في عينيه، و دعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال:«يا رسول الله، على ما أقاتلهم؟»فقال:«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الاسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الذي نفسي بيده، لأن يهتدي بهداك ـ أو لأن يهدي الله بهداك ـ رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم».

و في رواية:فجاء علي عليه السلام و هو أرمد لا يبصر موضع قدميه، قال علي عليه السلام :«فما رمدت عيني بعد ذلك اليوم، و ما وجدت ألم البرد و لا شدة الحر منذ دعا لي رسول الله صلى الله عليه و آله»و كان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، و ثياب الشتاء في الصيف. [٢٢]

٢ ـ و روى الجويني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، كان علي عليه السلام يلبس ثياب الشتاء في الصيف، و ثياب الصيف في الشتاء، فقيل لابن أبي ليلى:لو سألته عن هذ، فسأله فقال:«إن النبي صلى الله عليه و آله بعث إلي و كنت أرمد يوم خيبر، فقلت:يا رسول الله، إني أرمد العين، فتفل في عيني، و قال:اللهم أذهب عنه الحر و البرد، فما وجدت حرا و لا بردا منذ يومئذ»، و قال النبي صلى الله عليه و آله:«لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله، و يحب الله و رسوله، ليس بفرار».فتشرف لها الناس، قال:فبعث إلى علي عليه السلام فأعطاه الراية. [٢٣]

٣ ـ و عنه أيض، بسنده عن سويد بن غفلة، قال:لقينا علي بن أبي طالب عليه السلام و هو في ثوبين في شدة الشتاء، فقلنا:لا تغتر بأرضنا هذه، فإنها أرض مقرة، [٢٤] و ليست مثل أرضك، فقال:«أما إني قد كنت مقرور، فلما بعثني النبي صلى الله عليه و آله إلى خيبر، قلت:إني كما ترى لا تدفعها لي، و إني لأرمد، فتفل في عيني، و دعا لي، فما وجدت بردا بعد و لا رمدت عيناي». [٢٥]

تعليقات:

١.جبل بالمدينة.

٢.انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٦٩، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٣٤، السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٢٣٠، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٠، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٢٣٤.

٣.انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٧٠ و المصادر السابقة.

٤.السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤١.

٥.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٧٠، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٣٩، سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٢٣٦، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤٢.

٦.السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤٢.

٧.نفس المصدر، ص ٦٤٣.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٦١.

٩.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٣٢.

١٠.تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٥٤.

١١.تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٣٣، باختلاف يسير، كفاية الطالب، ص ٩٦، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٧، شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠٦.

١٢.المستدرك، ج ٣، ص ١٢٢، مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٢، ص ٣٤١، مسند أحمد، ج ٣، ص ٨٢.

١٣.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٨٥، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٨١، و راجع السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣١.

١٤.أي به نفس شديد من الاعياء في العدو.

١٥.الرضم:الحجارة المجتمعة.

١٦.السيرة لابن هشام، ج ٣، ص ٣٤٩، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٦، راجع مع تفاوت يسير:الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٦، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٠، طبقات ابن سعد، ج ٢،

ص ١١٠، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٦، صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ١٦، ص ٩٨، ح ٣٩٣٥، المناقب، ص ١٧٩، ح ٢١٧.

١٧.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٠، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٧، راجع السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٧.

١٨.السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٣٤٩، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠١ و غيره.

١٩.السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٧.

٢٠.نفس المصدر، ص ٧٤٠.

٢١.أي يخوضون و يموجون.

٢٢.تذكرة الخواص، ص ٣٢.

٢٣.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٦٤، ح ٢٠٥.

٢٤.أي باردة.

٢٥.نفس المصدر، ح ٢٠٦.

٢٥.نفس المصدر، ح ٢٠٦.

فتح مكة

كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، و سبب ذلك أن قريشا نقضت عهدها في الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه و آله، حيث كانت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه و آله، و كنانة في عقد قريش، فأعانت قريش كنانة، فأرسلوا مواليهم، فوثبوا على خزاعه فقتلوا فيهم، فجاءت خزاعة إلى رسول الله، فشكوا إليه ذلك، فأحل الله لنبيه صلى الله عليه و آله قطع المدة التي بينه و بينهم، و عزم على غزو مكة، و أمر صلى الله عليه و آله بأن يخفي الأمر على قريش.

و خرج رسول الله صلى الله عليه و آله يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان، و قيل:لعشر مضين من رمضان، و استخلف على المدينة أبارهم و قيل:ابن أم مكتوم، و كان صلى الله عليه و آله في عشرة آلاف، و قيل:في اثنى عشر ألف، و تلقاه العباس في بعض الطريق، فلما صار بمر الظهران خرج أبو سفيان يتجسس الأخبار و معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء، و هو يقول لحكيم:ما هذه النيران؟فقال:خزاعة، أحمشتها الحرب، فقال:خزاعة أقل و أذل، و سمع صوته العباس فناداه:يا أبا حنظلة؟فأجابه، فقال له:يا أبا الفضل، ما هذا الجمع؟قال:هذا رسول الله، فأردفه على بلغته، و جاء عند رسول الله صلى الله عليه و آله و أسلم، ثم سأل العباس رسول الله أن يجعل له شرف، و قال:إنه يحب الشرف.فقال صلى الله عليه و آله:من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن.

و أوقفه العباس حتى رأى جند الله، فقال له:يا أبا الفضل، لقد اوتي ابن أخيك ملكا عظيم، فقال :إنه ليس بملك إنما هي النبوة، و مضى أبو سفيان مسرعا حتى دخل مكة، فأخبرهم الخبر و قال :من دخل داري فهو آمن، و من أغلق بابه فهوآمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و فتح الله على نبيه، و كفاه القتال. [1]

فضائله عليه السلام في هذا الفتح

١ ـ منها أخذ كتاب الحاطب من سارة

أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى قريش بخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و ما اعتزم عليه، و أعطاه سارة، و جعل لها جعل، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبره الخبر، فوجه بعلي بن أبي طالب و الزبير و قال:خذا الكتاب منها.فلحقاها و كانت تنكبت الطريق، فوجدا الكتاب في شعره، فأتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله. [2]

و روي الطبري و ابن الأثير:أن عليا و الزبير بعثهما رسول الله إلى سارة، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة فاستنزلاه، فالتمسا الكتاب في رحله، فلم يجدا شيئ، فقال لها علي عليه السلام :إني أحلف ما كذب رسول الله و لا كذبن، و لتخرجن إلي هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد منه قالت:أعرض عني، فأعرض عنها فحلت قرون رأسه، فاستخرجت الكتاب منه، فدفعته اليه، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فدعا حاطبا فقال:ما حملك على هذا؟فقال:أما و الله إني لمؤمن بالله و رسوله ما غيرت و لا بدلت، و لكني كنت امرءا ليس لي في القوم أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم أهل و ولد، فصانعتهم عليهم، فأنزل الله في حاطب: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء...) .[٣] فعفاه رسول الله صلى الله عليه و آله.[٤]

٢ ـ و منها أخذ الراية يوم فتح مكة من سعد

روى أهل السير و التاريخ:أن النبي صلى الله عليه و آله أعطى الراية في يوم الفتح سعد بن‌عبادة، و أمره أن يدخل بها مكة أمامه، فأخذها سعد و غلظ على القوم، و أظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، و دخل و هو يقول:

اليوم يوم الملحمه

اليوم تستحيل الحرمه

فسمعها العباس فقال للنبي:أما تسمع ما يقول سعد؟فقال صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين :أدرك يا على سعد، فخذ الراية منه، و كن أنت الذي تدخل بها.[٥]

و يتضح من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و آله لم ير أحدا من المهاجرين و الأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى علي بن أبي طالب عليه السلام، و علم أنه لو رام غيره لا متنع سعد عليه، و على هذا لم يشركه فيه أحد في هذا الفضل، و لا ساواه في نظير له من مساو.

٣ ـ و منها قتله بعض المشركين بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله

من فضائل علي بن أبي طالب إطاعته لرسول الله صلى الله عليه و آله في كل موطن، و لذا قبل دخوله صلى الله عليه و آله قد أمر بقتل بعض الرجال و النساء الذين آذوه و عادوه و أنفقوا على محاربته أو ارتدوا مشركين بعد أن أسلمو، فمن الرجال:«عكرمة بن أبي جهل»، و«عبد الله بن سعد بن أبي سرح»و«عبد الله بن خطل، و مقيس بن صبابة»، و«الحويرث بن نقيذ»، و«عبد الله بن الزبعرى»، و«وحشي بن حرب»قاتل حمزه.

و من النساء:«هند بنت عتبه»أم معاويه، و«سارة»و هي التي حملت كتاب حاطب، و قينتا عبد الله بن خطل، قتل علي عليه السلام بعضا منهم و أفلت بعض آخر منهم أو عفي. [٦]

٤ ـ و منها إلقاء الصنم من فوق الكعبة

لما دخل رسول الله المسجد وجد فيه ثلاثمائة و ستين صنم، بعضها مشدود إلى بعض بالرصاص، فأمر النبي صلى الله عليه و آله عليا أن ينهض على منكبيه و يلقي الصنم الذي فوق الكعبة.

روى الحلبي عن علي عليه السلام:لما ألقى رسول الله صلى الله عليه و آله الأصنام لم يبق إلا صنم خزاعة موتدا بأوتاد من الحديد، فقال صلى الله عليه و آله لي:عالجه، فعالجته، و هو يقول:إيه إيه (جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه، فقذفته فتكسر. [٧]

حنين

بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله بعد فتح مكة أن هوازن و ثقيفا قد جمعت بحنين جمعا كثير، و رئيسهم مالك بن عوف النضري، و معهم دريد بن الصمة و هو شيخ كبير يتبركون برأيه، و ساق مالك مع هوازن أموالهم و نساءهم، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله في اثنى عشر ألفا:عشرة آلاف أصحابه، و ألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعا و كره، و خروجه كان في آخر شهر رمضان أو شوال في سنة ثمان من الهجرة، فلما قربوا من محل العدو صفهم و وضع الأولوية و الرايات مع المهاجرين و الأنصار، فلواء المهاجرين أعطاه علي، [٨] فأعجبت المسلمين كثرتهم، و قال بعضهم [٩] :مانؤتى من قلة، فكره رسول الله ذلك من قولهم.

و كانت هوازن قد كمنت في الوادي و خرجوا على المسلمين، و كان يوما عظيم الخطب، و انهزم المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه و آله حتى بقي في عشرة من بني هاشم و قيل تسعة :و هم علي بن أبي طالب، و العباس بن عبد المطلب، و أبو سفيان بن الحارث و..ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين، و أنزل جنودا لم تروه، و مضى علي بن أبي طالب إلى أبى جرول صاحب راية هوازن فقتله، و كانت الهزيمة.و قتل من هوازن خلق عظيم، و سبي منها سبايا كثيرة، و بلغت عدتهم ألف فارس، و بلغت الغنائم اثنى عشر ألف ناقة سوى الأسلاب. [١٠]

و اتفق المورخون أن عليا عليه السلام ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه و آله عند انهزام كافة الناس إلا النفر الذين كان ثبوتهم بثبوته، و قتل الأبطال، و لولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى، و

أن صبره مع النبي صلى الله عليه و آله كان سببا في رجوع المسلمين إلى الحرب، و تشجعهم في لقاء العدو.و قتله عليه السلام أبا جرول متقدم المشركين، و قتله من هوازن كثيرا منهم، كان سبب الوهن على المشركين، و ظفر المسلمين بهم. [١١]

تبوك

خرج رسول الله صلى الله عليه و آله غرة رجب السنة التاسعة من الهجرة و استخلف عليا على المدينة، و خرج النساء و الصبيان يودعونه صلى الله عليه و آله عند الثنية، فسماها ثنية الوداع. [١٢]

و لما ارتحل رسول الله صلى الله عليه و آله عن ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الألوية و الرايات، و دفع صلى الله عليه و آله لكل بطن من الأنصار و من قبائل العرب لواء و راية، و كان قد اجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي، فقال بعضهم لبعض:أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعض، و الله لكان الصحابة غدا مقرنون في الحبال، يقولون ذلك إرجافا و ترهيبا للمؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله ـ عند ذلك ـ لعمار بن ياسر رضى الله عنه:«أدرك القوم فإنهم قد احترقو، فاسألهم عما قالوا:فإن أنكروا فقل:بل قلتم كذا و كذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه و آله يعتذرون إليه، و قالوا:إنما كنا نخوض و نلعب، فأنزل الله تعالى: (و لئن سألتهم ليقولن إنما نخوض و نلعب) . [١٣]

تخلف المنافقين و اعتذارهم بأمور واهية

قال بعضهم لبعض:لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى: (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (و جاء المعذرون من الأعراب) (و هم الضعفاء و المقلون من الأعراب، (ليؤذن لهم) [١٤] في التخلف، فأذن لهم و كانوا اثنين و ثمانين رجل، و قعد آخرون منالمنافقين بغير عذر و إظهار علة، جرأة على الله و رسوله، و قد عناهم الله تعالى بقوله: (و قعد الذين كذبوا الله و رسوله) [١٥] و تخلف جمع من المسلمين منهم:كعب بن مالك، و هلال بن أمية، و مرارة بن الربيع من غير عذر، و كانوا ممن لا يتهم في إسلامه.

و لما خلف رسول الله صلى الله عليه و آله عليا أرجف به المنافقون، و قالوا:ما خلفه إلا استثقالا له!و حين قيل فيه ذلك أخذ علي عليه السلام سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله و هو نازل بالجرف، *فقال:«يا نبي الله، زعم المنافقون أنك ما خلفتني إلا لأنك استثقلتني و تخففت

مني»فقال:«كذبو، و لكني خلفتك لما تركت و رائي، فارجع فاخلفني في أهلي و أهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»فرجع علي عليه السلام إلى المدينة و مضى رسول الله صلى الله عليه و آله على سفره.[١٦]

لقد تضمن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه و آله نصه على علي عليه السلام بالإمامة، و إبانته من الكافة بالخلافة، و دل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، و أوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الاخوة، و استثناه هو من النبوة، ألا ترى أنه صلى الله عليه و آله جعل له عليه السلام كافة منازل هارون من موسى عليهما السلام إلا المستثنى منها لفظا و عقلا.

و هذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام، و لا ساواه في معناه، و لا قاربه فيها على حال، و لو علم الله عز و جل أن لنبيه صلى الله عليه و آله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب و الأنصار، لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه، بل علم أن المصلحة في استخلافه، و أن إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال، فدبر الخلق و الدين بما قضاه في ذلك و أمضاه.

تعليقات:

١.انظر تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٨ الى ٥٩، السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٣٨ و غيرهما .

٢.نفس المصادر.

٣.الممتحنة، ١.

٤.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٢٧، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١١.

٥.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١٤، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٤، المصادر السابقة.

٦.انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١٥ الى ٦١٨، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٥، السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٥٣، طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ١٣٦.

٧.السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٩.

٨.انظر السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٣.

٩.قيل:هو رجل من بكر، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٢٥.و قيل هو أبو بكر، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٢.

١٠.تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٢.

١١.انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٢٤ الى ٦٢٨، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٤٤، الى ٣٦٢، السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٨٠ الى ١٢٠، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٢ الى ٧٥.

١٢.تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٧.

١٣.السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٣، و الآية من التوبة، ٧٥.

١٤.التوبة، ٨١ و ٩٠.

١٥.التوبة، ٩٠.

١٦.انظر السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٣، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٦٧، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٢.

١٦.انظر السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٣، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٦٧، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٢.

الفصل الثالث - علي عليه السلام في القرآن و السنة

شأن علي عليه السلام في الآيات و الأحاديث

لم ينزل في القرآن الكريم في شخص ما نزل في أمير المؤمنين علي عليه السلام سيما في باب الإمامة و الخلافة و الفضائل و المناقب، كما لم يرد من السنة المباركة في صحابي أو تابعى ما ورد فيه عليه السلام، و هذا يحكي لنا كونه عليه السلام القدوة و الاسوة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و لا يدانيه أحد في هذا المضمار.

و إذا لم يصرح باسمه المبارك في الآيات القرآنية النازلة بحقه عليه السلام لمصالح م، فإن الروايات و الأخبار المتواترة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و عن صحابته المتقين رضى الله عنه تكشف عن هذه الحقيقة بشكل جلي، و هي كثيرة جدا رغم تعرض مناقبه عليه السلام للطمس و التحريف و التغيير.

روى الخطيب البغدادي و غيره بسنده، عن ابن عباس، قال:نزلت في علي عليه السلام ثلاثمائة آية. (١)

و روى الشبلنجي و الحسكاني و غيرهما عن ابن عباس، قال:ليست آية في كتاب الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إلا و علي عليه السلام أولها و أميرها و شريفها. (٢)

و روى الشبلنجي أيضا عن ابن عباس، قال:ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي عليه السلام. (٣)

و قد ألف القدامى كالطبراني و أبي نعيم و محمد بن مؤمن الشيرازي و غيرهمرسائل خاصة أفردوها لهذا الباب باسم (ما نزل من القرآن في علي عليه السلام) أو (النازل في القرآن في علي عليه السلام) أو نحوهما.

أما الايات:

آية التطهير

دلت الروايات الصحيحة دلالة قاطعة و حاسمة على أن آية التطهير، و هي قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) (٤) قد نزلت في الخمسة أهل الكساء عليهم السلام، و هم رسول الله صلى الله عليه و آله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.

و نزولها في شأنهم عليهم السلام فضيلة اختصوا بها من دون سائر الناس، إذ لم يأذن رسول الله صلى الله عليه و آله بدخول غيرهم معهم، و قد بلغ في اختصاص الآية بالخمسة الطيبين بأنه كان رسول الله صلى الله عليه و آله بعد نزول الآية كلما خرج إلى الفجر يمر ببيت علي و فاطمة عليهما السلام و يقول:الصلاة يا أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا) و قد استمر على هذا المنوال ستة أشهر، و في رواية:سبعة أشهر، و في اخرى:ثمانية أشهر.و فيما يلي بعض هذه الروايات التي ذكرت هذه الفضيلة العظمى!

١ ـ أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة، قال:خرج النبي صلى الله عليه و آله غداة و عليه مرط مرحل [٥] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخله، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) . [٦]

٢ ـ و روى الزمخشري هذا الحديث في تفسيره، و رواه الرازي أيض، و قال الرازي، اعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير و الحديث. [٧]

٣ ـ و أخرج الترمذي عن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه و آله، قال:نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه و آله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه و آله فاطمة و حسنا و حسينا فجللهم بكساء، و علي خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال:«اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا .» قالت أم سلمة:و أنا معهم، يا نبي الله؟فقال:«أنت على مكانك، و على خير». [٨]

و بهذا يصح القول إن أصحاب الكساء الخمسة هم المشار إليهم في آية التطهير، فعن سعد بن أبي وقاص قال:لما نزلت هذه الآية (قل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم) دعا رسول الله صلى الله عليه و آله عليا و فاطمة و حسنا و حسينا فقال:اللهم هؤلاء أهلي. [٩]

و قال الواحدي:إن هذه الآية نزلت في خمسة:النبي صلى الله عليه و آله و علي، و فاطمة، و الحسن، و الحسين. [١٠]

و أفرد المحب الطبري بابا أسماه:باب في بيان أن فاطمة و عليا و الحسن و الحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا . [١١]

مجيىء النبي صلى الله عليه و آله وقت الصلاة إلى باب علي و فاطمة...

١ ـ أخرج الترمذي عن أنس بن مالك:أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول:الصلاة يا أهل البيت (انما يريد الله) الآية. [١٢]

٢ ـ و أخرج الطبري في تفسيره، عن أبي الحمراء، قال:...سبعة أشهر رأيت النبي صلى الله عليه و آله اذا طلع الفجر جاء إلى باب علي و فاطمة فقال:الصلاة، الصلاة (انما يريد الله) .الآية. [١٣]

٣ ـ و روى ابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري:كان نبي الله صلى الله عليه و آله يجيىء إلى باب علي عليه السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر و يقول:«الصلاة رحمكم الله (انما يريد الله) الآية. [١٤]

٤ ـ و في تفسير الدر المنثور و تاريخ دمشق، عن ابن عباس، قال:شهدنا رسول الله صلى الله عليه و آله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن ابي طالب عليه السلام عند وقت كل صلاة فيقول :«السلام عليكم و رحمة الله و بركاته أهل البيت (انما يريد الله) الآية، الصلاة رحمكم الله»كل يوم خمس مرات. [١٥]

آية المباهلة

حين جاء و فد نصارى نجران يجادلون رسول الله صلى الله عليه و آله في أمر عيسى بن مريم عليه السلام و نزلت الآيات المباركة من سورة آل عمران ٥٩ ـ ٦٠ (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين بعد نزول هذه الآيات، أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله بيد فاطمة و علي و الحسن و الحسين عليهم السلام و دعاهم إلى المباهلة، فلم يباهلو، و تصالحوا على دفع الجزية...و انصرفوا.

إن المباهلة سجلت حدثا هو من أظهر معجزات سيد الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه و آله أول، و هي منقبة عظمى لرسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته الكرام البررة ثانيا .

فمن الذين اجتباهم الله جل و عز لتلك المنازل العظمى؟من هم الذين يعدون مصداقا لهذه الآية الكريمة، إنهم علي و فاطمة و الحسن و الحسين و لا أحد سواهم. [١٦]

قال الرازي:هذه الآية دالة على أن الحسن و الحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه و آله، وعد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن و الحسين، فوجب أن يكونا ابنيه. [١٧]

و قال البغوي: (ابناءنا) أراد الحسن و الحسين (و نساءنا) فاطمة (و أنفسنا) عنى نفسه و عليا رضى الله عنه. [١٨]

و الملاحظ أنه ليس ثمة أنفس إلا نفسه صلى الله عليه و آله و علي عليه السلام، فجعل عليا عليه السلام بمثابة نفسه، كما هو مصرح في كثير من الأحاديث المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله:«لأبعثن رجلا كنفسي»يريد به عليا عليه السلام، و هي منزلة عظيمة خصها الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام دون سائر البشر.

توضيح

لا يخفى أن تخصيص النبي صلى الله عليه و آله عليا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام من بين جميع أقاربه للمباهلة، دون عقيل و جعفر و غيرهم، لا يكون إلا لأحد أمرين:إما لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده، حيث استعان بهم في الدعاء على العدو دون غيرهم، و إما لكونهم أعز الخلق عليه، حيث عرضهم للمباهلة إظهارا لوثوقه على حقيته حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدة حبه لهم.

و ظاهر أن حبه لم يكن من جهة البشرية و الأمور الدنيوية، بل لم يكن يحب إلا من يحبه الله، و لم يكن حبه إلا خالصا لله تعالى، كيف ل، و قد ذم الله تعالى و رسوله ذلك في كثير من الآيات و الأخبار، و كل من يدعى درجة نازلة من الولاية و المحبة يتبرأ من حب الأولاد و النساء و الأقارب لمحض القربة، أو للأغراض الفاسدة، و قد نرى كثيرا من الناس يذمهم العقلاء بأنهم يحبون بعض أولادهم مع أن غيرهم أعلم و أصلح و أتقى و أورع منهم، و معلوم من سيرته صلى الله عليه و آله أيضا أنه كان يعادي كثيرا من عشائره لكونهم أعداء الله و يقاتلهم، و كان يحب و يقرب الأباعد و من ليس له نسب و لا حسب لكونهم أولياء الله، فإذا ثبت ذلك، فيرجع هذا أيضا إلى كونهم أقرب الخلق و أحبهم إلى الله، فيكونون أفضل من غيرهم، فيقبح عقلا تقديم غيرهم عليهم.

آية المودة

عند ما استقر النظام الاسلامي في المدينة، جاء جمع من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و قالوا:يا رسول الله، لقد آويناكم و نصرناكم، و نحن نضع أموالنا بين أيديكم، و الذي يبدو من ظاهر كلامهم أنهم إنما كانوا يريدون إعلاء دين الله و اعانة الرسول صلى الله عليه و آله، و ربما كانوا يقصدون تعويض الرسول صلى الله عليه و آله عن أتعابه و ما تحمل من المشقة في سبيل دين الله

تعالى، لذلك نزلت هذه الآية جوابا لهم: (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) [١٩] فجعل الله عز و جل مودة أهل البيت عليهم السلام الأجر الوحيد على هذه الرسالة السمحاء، و أهل البيت هم علي و فاطمة و ابناهما.

قال الزمخشري:روي أنها لما نزلت قيل:يا رسول الله، من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟قال صلى الله عليه و آله:علي و فاطمة و ابناهما. [٢٠]

و رواه عنه الرازي، و أضاف:فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه و آله، و إذا ثبت هذ، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، و يدل عليه وجوه:

الأول:قوله تعالى (الا المودة في القربى) .

الثاني:لا شك أن النبي صلى الله عليه و آله يحب فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه و آله:«فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها»و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه كان يحب عليا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله، لقوله تعالى: (و اتبعوه لعلكمتهتدون) [٢١] و لقوله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) [٢٢] .

الثالث:أن الدعاء للآل منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، و هو قوله«اللهم صل على محمد و على آل محمد»و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب محمد و آل محمد واجب. [٢٣]

و لا شك عندنا نحن الامامية أن مودة أهل البيت هي المودة في الدين، و هي أجر الرسالة المقصودة في القرآن الكريم، و ليست هذه المودة هي مجرد محبة عادية كالتي بين الأصدقاء، بل هي تتناسب مع أجر الرسالة السمحاء، إذ تتطلب الإيمان بإمامة المعصومين عليهم السلام و الاعتقاد بهم، و أن مودتهم هي وسيلة لترسيخ مبادىء الرسالة، و في الحقيقة لم تكن المودة هنا غير الدعوة الدينية من حيث بقائها و دوامها.

آية الولاية

المراد بآية الولاية قوله تعالى: (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون) [٢٤] ، و لقد أجمع غالبية أهل التفسير و الحديث على أن هذه الآية نزلت في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدق بخاتمه و هو راكع، و هي تدل بصريح العبارة على ولاية الأمر التي هي الامامة بعد الرسول صلى الله عليه و آله.

قال الآلوسي في (روح المعاني) ـ ذيل الآية ـ و غالب الأخباريين على أنها نزلت في علي (كرم الله وجهه) ، فقد أخرج الحاكم و ابن مردويه و غيرهما عن ابن عباس رضى الله عنه باسناد متصل، قال:أقبل ابن سلام و نفر من قومه آمنوا بالنبي صلى الله عليه و آله فقالوا:يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة، و ليس لنا مجلس و لا متحدث دون هذا المجلس، و إن قومنا لما رأونا آمنا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و صدقناه رفضون، و آلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا يكلمون، فشق ذلك علينا.

فقال لهم النبي صلى الله عليه و آله«إنما وليكم الله و رسوله»ثم إنه صلى الله عليه و آله خرج إلى المسجد، و الناس بين قائم و راكع، فبصر بسائل، فقال:هل أعطاك أحد شيئا؟فقال :نعم، خاتم من فضة.فقال:من أعطاكه؟فقال:ذلك القائم، و أومأ إلى علي (كرم الله تعالى وجهه) ، فقال النبي صلى الله عليه و آله:على أي حال أعطاك؟فقال:و هو راكع، فكبر النبي صلى الله عليه و آله ثم تلاهذه الآية، فأنشأ حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي ***و كل بطىء في الهدى و مسارع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا ***زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل فيك الله خير ولاية ***و أثبتها أثنا كتاب الشرائع [٢٥]

و قد روى الرازي في تفسيره، و الحاكم في الشواهد، و أحمد في الفضائل، و سبط ابن الجوزي في التذكرة، حديثا عن أبي ذر هذا لفظه:

قال أبوذر:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله بهاتين و إلا صمت، و رأيته بهاتين و إلا عميت، يقول:«علي قائد البررة، و قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئ، و كان علي راكع، فأومأ بخنصره إليه ـ و كان يتختم به ـ فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره .

فتضرع النبي صلى الله عليه و آله إلى الله عز و جل يدعوه، فقال:«اللهم إن أخي موسى سألك فقال: (رب اشرح لي صدري، و يسر لي أمري، و احلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، و اجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، و أشركه في أمري، كي نسبحك كثير، و نذكرك كثير، إنك كنت بنا بصيرا) فأوحيت إليه (قد أوتيت سؤلك يا موسى) [٢٦] اللهم و إني عبدك و نبيك، فاشرح لي صدري، و يسر لي أمري، و اجعل لي وزيرا من أهلي، عليا أخي اشدد به ظهري».

قال أبوذر:فو الله ما استتم رسول الله صلى الله عليه و آله الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرئيل بهذه الآية (انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا...) . [٢٧]

و ممن روى نزول آية الولاية في علي بن أبي طالب عليه السلام الشوكاني في (فتح القدير) ذيل الآية ٥٥ من المائدة، و قال:أخرج الخطيب في المتفق و المفترق عنابن عباس نزولها في علي، و أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عباس، قال:نزلت في علي بن أبي طالب، و أخرج أبو الشيخ و ابن مردويه و ابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه، و أخرج ابن مردويه عن عمار نحوه أيضا. [٢٨]

و منهم أيضا أبو السعود و الواحدي و السيوطي و الزمخشري و البغوي و الجزري [٢٩] و سائر أصحاب المناقب و التفاسير.

شبهة و جوابها

قال الزمخشري:فإن قلت:كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه و اللفظ لفظ الجماعة؟

قلت:جيء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلا واحد، ليرغب الناس في مثل فعله [٣٠] ، و ظاهر من لغة العرب أنهم يخاطبون الفرد بصيغة الجمع تعظيما و تكريم، و هو كثير و مشهور .

و الحق أن المراد به جميع الائمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام، فلا يخفى أن نزول الآية لم يكن من أجل تصدق علي بن أبي طالب عليه السلام في حالة الركوع ليظن البعض بأنه إذا تصدق بخاتم تنزل الآية فيه، كلا بل إن الشخصية الذاتية لعلي عليه السلام و امتلاكه الخصوصيات المعنوية هي التي أدت إلي نزول الآية، إذ لا بد لنزول الآية من سبب، و كان التصدق في الركوع سببا لنزول الآية، و لذلك فإن عليا عليه السلام حتي لو لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، فإنه ولي الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه و آله على كل حال، و لهذا أيضا فإن الأئمة الآخرين لم يتصدقوا بخاتم و هم في ركوعهم، لكنهم داخلون في هذه الآية، فان ضمائر الآية قد جاءت بصيغة الجمع (الذين، يقيمون، يؤتون، و هم، راكعون) ، إذن يعلم من تلك الضمائر أن عليا لا ينفرد بالولاية، بل إن كل من يمتلك خصوصيات علي عليه السلام و كمالاته بعده فهو ولي الناس، كما أن الله و رسوله ولاهم، و على هذا فحتي لو لم تكن بين أيدينا الروايات الدالة على أن الأئمة المعصومين هم أولياء الأمر، فإن هذه الآية ترشدنا إلى هذه الحقيقة الالهية الاسلامية المهمة، و على هذا يستدل بهذه الآية علي أن عليا

عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله مباشرة و من بعده الائمة المعصومين عليهم السلام.

تعليقات:

١.تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٢١، الصواعق المحرقة، ص ٧٦

٢.نور الأبصار، ص ٨٧ إلى ٩٠، شواهد التنزيل، ص ٤٨ إلى ٥٤، مناقب الخوارزمي، ص ١٨٨، فصل ١٧، كفاية الطالب، ص ١٣٩، الباب ٣١.

٣.نور الأبصار، ص ٩٠.

٤.الأحزاب، ٣٣.

٥.المرط:كساء من صوف أو خز، و المرحل:المنقوش عليه صور الرجال، أو فيه علم.

٦.صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٣/ ٢٤٢٤.

٧.تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨٠، عند تفسير الآية، ٦١ من آل عمران.

٨.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٠٥/٣٥١ و ص ٦٦٣/ ٣٧٧٨.

٩.صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٢/١٨٧١ ـ ٢٤٠٤، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢٤/٦٣٨، مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٩٥/١٨٣، جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٧٠.

١٠.أسباب النزول، ص ٢٠٠.

١١.ذخائر العقبى، ص ٢١ الى ٢٤.

١٢.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٥٢/ ٣٢٠٦.

١٣.تفسير جامع البيان للطبري، ج ٢٢، ص ٥.

١٤.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٠، ح ٣٢٠، تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ١٩٩.

١٥.المصادر السابقة.

١٦.انظر صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٤٠٤/١٤٧١، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٩٩/٢٢٥، مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٩٥/١٨٣، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٩٣، أسباب النزول، ص ٦٠،

تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨١، تفسير القرطبي، ج ٤، ص ١٠٤، تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٤٦، فتح القدير للشوكاني، ج ١، ص ٣٤٧ و ٣٤٨، معالم التنزيل للبغوي، ج ١، ص ٤٨٠، جامع الأصول، ج ٩، ص ٦٤٧٩/٤٧٠، تفسير الآلوسي، ج ٣، ص ١٨٨ و ١٨٩.

١٧.تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨١.

١٨.معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٨٠.

١٩.الشورى، ٢٣.

٢٠.الكشاف، ج ٤، ص ٢١٩.و انظر المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٣٠٧، ح ٣٥٢، تفسير القرآن لمحيي الدين بن عربي، ج ٢، ص ٤٣٢، تفسير الدر المنثور، ج ٦، ص ٧.

٢١.الأعراف، ١٥٨.

٢٢.النور، ٦٣.

٢٣.تفسير الرازي ج ٢٧، ص ١٦٦.

٢٤.المائدة، ٥٥.

٢٥.روح المعاني، ج ٦، ص ١٦٧.و الأبيات وردت أيضا في تذكرة الخواص، ص ١٥ و ١٦، كفاية الطالب، ص ٢٢٨، مناقب الخوارزمي، ص ١٨٦.

٢٦.طه، ٣٦.

٢٧.تفسير الثعلبي، تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٢٦، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١١٥٨/٦٧٨، شواهد التنزيل الحديث، ص ٢٣٥، كنز العمال، ج ١١، ص ٣٢٩٠٩، تذكرة الخواص، ص ١٥.

٢٨.فتح القدير، ج ٢، ص ٥٣.

٢٩.تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٥٢، أسباب النزول، ص ١١٤، لباب النقول للسيوطي، ص ٩٣، الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٧٢، جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٧٨/ ٦٥٠٣.

٣٠.تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩.

٣٠.تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩.

آية السقاية

من الآيات الكريمة النازلة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى (أ جعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله و الله لا يهدى القوم الظالمين*الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و اولئك هم الفائزون) [1] حيث إن العباس و طلحة بن شيبة و علي بن أبي طالب عليه السلام تفاخرو، فذكر العباس سقاية الحاج، و طلحة عمارة المسجد و أن بيده مفتاح الكعبة، و علي بن أبي طالب عليه السلام الإيمان بالله قبل الناس بسنوات و الجهاد في سبيل الله، فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فأخبر كل واحد منهم بفخره، فما أجابهم النبي صلى الله عليه و آله، بشيء، فنزل الوحي (اجعلتم سقاية الحاج) الآية، فدلت الآية علي أن عليا عليه السلام أولي و أفضل منهما.

قد أخرج كثير من الحفاظ و العلماء مجملا و مفصلا أن الآية في شأن علي عليه السلام، منهم :

١ ـ السيوطي في الدر المنثور بسنده عن محمد بن كعب القرضي، قال:افتخر طلحة بن شيبة و العباس و علي بن أبي طالب عليه السلام فقال طلحة:أنا صاحب البيت معي مفتاحه، و قال العباس:أنا صاحب السقاية و القائم عليها فقال علي عليه السلام:ما أدرى ما تقولون.لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى (أجعلكم سقاية الحاج) الآية. [2]

٢ ـ و رواه الجويني بسنده عن أنس بن مالك، قال:قعد العباس بن عبد المطلب و شيبة صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس:أنا أشرف منك، أنا عم رسول الله ووصي أبيه و سقاية الحجيج لي، فقال له شيبة:أنا أشرف منك، أنا أمين الله علي بيته و خازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني؟و هما في ذلك يشتاجران حتي أشرف عليهما علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له العباس:أفترضي بحكمه؟قال شيبة:نعم قد رضيت.

فلما جاءهما قال العباس:علي رسلك يابن أخي، فوقف علي عليه السلام فقال له العباس:أن شيبة فاخرني، فزعم أنه أشرف مني، فقال علي عليه السلام:فماذا قلت أنت يا عماه؟قال:قلت له:أنا عم رسول الله صلى الله عليه و آله و وصي أبيه و ساقي الحجيج، أنا أشرف منه، فقال لشيبة :ماذا قلت له أنت يا شيبة؟قال:قلت له:بل أنا أشرف منك، أنا أمين الله و خازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنتني؟قال:فقال لهما:إجعلا لي معكما فخرا.قالا:نعم، قال:فأنا أشرف منكم، أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الامة و هاجر و جاهد.

فانطلقوا ثلاثتهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فجثوا بين يديه، فأخبر كل واحد منهم بفخره، فما أجابهم النبي صلى الله عليه و آله بشيء، فنزل الوحي بعد أيام، فأرسل إلى ثلاثتهم فأتوه، فقرأ عليهم النبي صلى الله عليه و آله (أ جعلتم سقاية الحاج) الآية. [٣]

٣ ـ و ممن روى أن نزول الآية في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام، الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٢، عن الحسن و الشعبي، و القرظي، و القرطبي في التفسير، ج ٨، ص ٩٠ عن السدى، و الرازى في تفسيره، ج ٤، ص ٤٢٢، و الخازن في تفسيره، ج ٢ ص ٢٢١، و أبو البركات النسفي في تفسيره، ج ٢ ص ٢٢، و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ١٢٣، من طريق واحد عن الحسن و الشعبي و القرظي، و الكنجي في الكفاية، ص ١١٣، من طريق ابن جرير، و ابن عساكر عن أنس، و ابن كثير الشامي في تفسيره و غيرهم من علماء أهل السنة، كما نظر غير واحد من شعراء السلف هذه المفاخرة كسيد الشعراء الحميري و الناشيء و البشنوي و نظرائهم.

سورة هل أتي (الدهر)

لقد توافق المسلمون علي أن الآيات من سورة الدهر: (إن الأبرار يشربون) إلى قوله تعالى : (و كان سعيكم مشكورا) نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جارية لهم تسمي فضة، و ذلك في قصة التصدق علي المسكين و اليتيم و الأسير.و هو المروي عن ابن عباس و مجاهد و أبي صالح و غيرهم، و ذكرها أغلب أهل التفسير و الحديث.

فقد روى الزمخشري في تفسيره عن ابن عباس:أن الحسن و الحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه و آله في ناس معه، فقالوا:يا أبا الحسن، لو نذرت علي ولديك؟فنذر علي و فاطمة و فضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا و ما معهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاع، و اختبزت خمسة أقراص علي عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطرو، فوقف عليهم سائل فقال:السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء، و أصبحوا صيام، فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن و الحسين، و أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال:«ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم»و

قام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنه، وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل و قال:خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة يعني (هل أتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا*إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) السورة. [٤]

آية الإنفاق

و من الآيات التي نزلت في فضيلة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سرا و علانية فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون) [٥] حيث إنه كانت عند علي أربعة دراهم من فضة، فتصدق بواحد ليل، و بواحد نهار، و بواحد سر، و بواحد علانية، فنزلت الآية في شانه، و سمي كل درهم تصدق به مالا وفقا للآية الشريفه، و إنما تدل الآية علي عناية الخالق الكريم جل ذكره بأمير المؤمنين عليه السلام بحيث يكون تصدقه سببا لنزول بعض آي القرآن، و من الطبيعي أن الإنفاق و التصدق مشمول بعناية و اهتمام الخالق العزيز طالما يكون مقرونا بالعمل الصالح و إرادة وجه الله تعالى به.

روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن عباس، في قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم) الآية، قال:هو علي بن أبي طالب عليه السلام، كان له أربعة دراهم، فأنفق درهما سر، و درهما علانية، و درهما بالليل، و درهما بالنهار. [٦]

هذه الآية تدل بصراحة علي فضله عليه السلام في السخاء الذي هو من أشرف مكارم الأخلاق، و أن الله قد قبل ذلك منه بأحسن القبول و أنزل آية فيه، و وصفه فيها بأنه من الآمنين يوم القيامة بحيث لا يعتريه شيء من الخوف و الحزن عند أهوال ذلك اليوم، و هذه من صفات الأولياء و الأصفياء، فبذلك و أمثاله استحق التفضيلعلي سائر الصحابة، و لو فرض اتصاف الصحابة ببعضها فلا شك في اختصاصه عليه السلام باستجماعها.

و أنشأ الحميري في ذلك:

و أنفق ماله ليلا و صبحا ***و إسرارا و جهر الجاهرينا

و صدق ماله لما أتاه ***الفقير بخاتم المتختمينا [٧]

آية الإيثار

لم يكن أحد أكمل و أعلا في الإنفاق و الإيثار من علي و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، و لعل ما يجلب النظر هو نزول أكثر من آية في شأنهم، منها: (و يؤثرون علي أنفسهم و لو كان بهم خصاصة) .[٨]

عن أبي هريرة:أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله:فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله إلى بيوت أزواجه فقلن:ما عندنا إلا الماء!فقال:من لهذا الليلة؟فقال علي عليه السلام:أنا يا رسول الله، و أتي فاطمة فأعلمه، فقالت:ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر به ضيفن، فقال علي عليه السلام:يا بنت محمد، نؤمي الصبية، و أطفئي للضيف السراج، ففعلت و عشي الضيف، فلما أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية (و يؤثرون علي أنفسهم) الآية.[٩]

و عن ابن عباس، في قوله تعالى: (و يؤثرون علي أنفسهم) الآية، قال:نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.[١٠]

تعليقات:

١.التوبة، ١٩ و ٢٠.

٢.تفسير الدر المنثور، ج ٣، ص ٢١٨.

٣.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٠٣، ح ١٥٩.

٤.تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٦٧٠، و انظر، تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢٤٣، فتح القدير للشوكاني، ج ٥، ص ٣٤٩، روح المعاني، ج ٢٩، ص ١٥٧، معالم التنزيل للبغوي، ج ٥، ص ٤٩٨، تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٧٣، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٥٥٢، تفسير النسفي، ج ٣، ص ٦٢٨، روح البيان للشيخ إسماعيل حقي، ج ١٠، ص ٢٦٨، تذكرة الخواص، ص ٢٨١، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٠٠، المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٧٢، ح ٣٢٠.

٥.البقرة، ٢٧٤.

٦.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٨٠، ح ٣٢٥، و انظر تفسير الكشاف، ج ١، ص ٣٩٨، شواهد التنزيل للحسكاني، ج ١، ص ١٠٩، ح ١٥٥، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص

١٢٣، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤١٤، ح ٩١٢، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٦.

٧.المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٧١.

٨.الحشر، ٩.

٩.شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٢٧٠.

١٠.نفس المصدر.

١٠.نفس المصدر.

أما الأحاديث: ـ حديث الثقلين

إن من جملة الأحاديث المعتبرة التي رويت عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في فضل علي عليه السلام و عترته الطاهرة هو حديث الثقلين الذي حدث به النبي صلى الله عليه و آله في آخر سنة من سني عمره الشريف في مواضع عدة، اجتمع فيها خلق كثير من الناس، و في مناسبات هامة تكتظ بالناس عادة، فقد قاله في عرفة، و في مسجد الخيف بمنى، و في غدير خم، و في أواخر أيام عمره المبارك، و في مرضه الذي توفي فيه، في كل هذه الموارد كان النبي صلى الله عليه و آله يلفت أنظار أصحابه و يوجه اهتمامهم نحو جوهرتين ثمينتين هما:القرآن، و عترته المعصومين عليهم السلام.

و حتى في آخر لحظات حياته المباركة حيث أو شك على مفارقة الدني، و حيث يكون الناس عادة أكثر اهتماما بما يقوله قائدهم و زعيمهم، و يصغون بكل أعماقهم لكلماته، فإنه قال:«إني أو شك أن ادعى فأجيب، و إني تارك فيكم الثقلين:كتاب الله، و عترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروني بما تخلفوني فيهما». [١]

لقد روي هذا الحديث مع تفاوت في لفظه عن النبي صلى الله عليه و آله متواترا من طرق الفريقين، و قد تعرض له أرباب الصحاح و السنن و المسانيد. [٢] ففي هذا الحديث جعل رسول الله التمسك بأهل البيت و الالتزام بأقوالهم و اعتبارها حجة في أصول الدين و فروعه، عدل الكتاب، فكما أن القرآن الكريم حجة على الجميع و يجب التمسك به، فإن النبي صلى الله عليه و آله جعل العترة الطاهرة عدل القرآن ليعلم الناس أن التمسك بأقوالهم و أفعالهم واجب عليهم.

ففي صحيح مسلم، في حديث الغدير، عن زيد بن أرقم، عن النبي صلى الله عليه و آله:«أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين:أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحث علي كتاب الله و رغب فيه، ثم قال ـ و أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». [٣]

و روى الحاكم النيشابوري عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه و آله نحوه. [٤] و واضح أن التمسك بالكتاب هو الأخذ بما فيه، و التمسك بالعترة هو الأخذ بأقوالهم و سنتهم، فأقوالهم و سنتهم حجة شرعية إلهية، فعلي الأمة الإسلامية التمسك بالعترة الطاهرة في الأعمال و الأقوال، و لا أظن أن أحدا يجرؤ على القول بأن قول أئمة المذاهب الأربعة مقدم على قول الأئمة الطاهرين الذين هم سفن

نجاة الأمة و باب حطتها و أعلام هدايتها و باب علم النبي صلى الله عليه و آله، و لذلك قال النبي صلى الله عليه و آله في شأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة: (فلا تقدموهما فتهلكو، و لا تعلموهما فإنهما أعلم منكم) .[٥]

حديث سد الأبواب

عند ما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إلى المدينة، شرع في بناء المسجد فيه، و قد كانت هناك مجموعة من المهاجرين الذين لا يمتلكون وسائل السكني أو دارا للسكن يعرفون بأصحاب الصفة، و قد اتخذوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله مقر، و دارا لهم، و لما كان المسجد يشكل قاعدة الإسلام و المسلمين و ركيزتهم، فقد أمرهم الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله أن يتركوه، و بعد ذلك اتخذ المهاجرون و الأنصار بيوتا قرب مسجد رسول الله، و جعلوا أبوابها تفتح إلى داخل المسجد، بحيث يستطيعون الذهاب و الإياب من هذه الأبواب، و أن يدخلوا المسجد للعبادة، و قد كان بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و بيت علي عليه السلام قرب المسجد أيض، و يفتح بابهما إلى المسجد أيض، حتي نزل جبرئيل عليه السلام علي رسول الله صلى الله عليه و آله و أبلغه بسد كل الأبواب التي تفتح إلى المسجد، و أن يمنع الدخول و الخروج منها إلا باب الرسول صلى الله عليه و آله و باب علي عليه السلام.

و من الطبيعي أن جماعة من الصحابة قد سألوا عن السبب، و آخرين اعترضوا على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و تساءلوا ما الفرق بين علي عليه السلام و بين الآخرين؟.

و قد أجابهم رسول الله صلى الله عليه و آله ـ بعد أن حمد الله و أثنى عليه ـ :بأن هذا إنما تم بأمر من الله تعالى، و إنني لم أسد بابا و لم أفتح بابا إلا بأمره عز و جل.

و من خصوصيات هذه الحادثة أنه ليس لأحد حق المرور من المسجد جنبا إلا رسول الله و علي و فاطمة و أولادهم المعصومون (صلوات الله عليهم) ، و هذه من خصوصياتهم، و فيما يلي نذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا الخصوص:

١ ـ روى الترمذي عن ابن عباس، قال:إن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر بسد الأبواب إلاباب علي عليه السلام. [٦]

٢ ـ و أخرج الهيثمي بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:«أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله بيدي فقال:إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون، و إني سألت ربي أن يطهر مسجدي بك

و بذريتك، ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك، فاسترجع ثم قال:سمعا و طاعة، فسد بابه، ثم أرسل إلى عمر، ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«ما أنا سددت أبوابكم و فتحت باب علي، و لكن الله فتح باب علي و سد أبوابكم». (٧)

٣ ـ و في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، بسنده عن عوف الأعرابي، عن ميمون الكردي، قالا:كنا عند ابن عباس، فقال رجل:ليته حدثنا عن علي عليه السلام، فسمعه ابن عباس، فقال:«أما لأحدثنك عنه حق، أن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر بالأبواب الشارعة في المسجد فسدت، و ترك باب علي عليه السلام، فقال:إنهم وجدوا من ذلك، فأرسل إليهم أنه بلغني أنكم وجدتم من سدي أبوابكم و تركي باب علي، و إني و الله ما سددت من قبل نفسي، و لا تركت من قبل نفسي، إن أنا إلا عبد، و إني و الله امرت بشيء ففعلت، إن اتبع إلا ما يوحي إلي». (٨)

٤ ـ و في المناقب لابن المغازلي الشافعي، بسنده عن البراء بن عازب، قال:كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله أبواب شارعة في المسجد، و إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:«سدوا الأبواب غير باب علي»قال:فتكلم في ذلك اناس، قال:فقام رسول الله صلى الله عليه و آله فحمد الله و أثني عليه، ثم قال، :«أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، و إني و الله ما سددت شيئ، و لا فتحته، و لكني امرتبشيء فاتبعته». (٩)

٥ ـ و روى أحمد في المسند بسنده عن زيد بن أرقم، نحو ما في المناقب. (١٠)

٦ ـ و في المناقب للخوارزمي بإسناده، عن أبي ذر، قال:لما كان أول يوم في البيعة لعثمان ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة، فاجتمع المهاجرون و الأنصار في المسجد، و نظرت إلى عبد الرحمن بن عوف و قد اعتجر بريطة، و قد اختلفوا و كثرت المناجزة، إذ جاء أبو الحسن عليه السلام ـ فحمد الله و أثنى عليه ثم ناشدهم بمفاخره و مناقبه إلى أن قال: ـ «هل تعلمون أن أحدا كان يدخل المسجد جنبا غيري؟»قالوا:اللهم ل، قال:«فأنشدكم هل تعلمون أن أبواب المسجد سدها و ترك بابي بأمر الله؟»قالوا:اللهم نعم. (١١)

٧ ـ و في مستدرك الحاكم، عن أبي هريرة، قال:قال عمر بن الخطاب:لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لئن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن اعطي حمر النعم.قيل:و ما هن، يا أمير المؤمنين؟.

قال عمر:تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، و سكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه و آله يحل له فيه ما يحل له، و الراية يوم خيبر. [١٢]

و لقد روي حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام كثير من علماء أهل السنة في كتبهم بطرق مختلفة فراجعها. [١٣]

الهدف الحاصل من واقعة سد الأبواب

لا شك أن هذه الفضيلة كانت من الفضائل الفريدة لأمير المؤمنين عليه السلام، تميز بها عن ساير الصحابة، و لعل السماح له عليه السلام بالعبور من مسجد النبي صلى الله عليه و آله و هو في حال الجنابة، الأمر الذي يعتبر من خصوصيات النبي، لم يكن نتيجة القرب العائلي من الرسول صلى الله عليه و آله لأن حمزة سيد الشهداء و عم الرسول أقرب منه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، لكنه لم يكن من المعصومين عليهم السلام، فالظاهر من الروايات أن الإمام عليه السلام قد اكتسب هذه الفضيلة للياقته لها و لقوة نفسه و سمو روحه، فهو قرين رسول الله صلى الله عليه و آله في مثل هذه الفضائل، بل و يتمثل فيه كل خصوصيات الرسول إلا النبوة.

و من هنا يتضح لنا بشكل جلي أن الهدف من سد الأبواب هو أن رسول الله صلى الله عليه و آله أراد أن يفهم الآخرين بسمو مقام أمير المؤمنين عليه السلام و اقترانه معه في سائر الفضائل و المناقب التي اختصه الله تعالى بها دون من عداه من الأصحاب.

حديث الطير

من الأخبار التي تدل علي أن عليا عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و أنه أحق بالخلافة و الامامة بعده صلى الله عليه و آله حديث الطير المشوي، ففي سنن الترمذي و غيره عن أنس بن مالك، قال:كان عند النبي صلى الله عليه و آله طير أهدى إليه، فقال:«اللهم ائتني بأحب الخلق إليك، ليأكل معي هذا الطائر»فجاء علي عليه السلام فرددته، ثم جاء فرددته، فدخل في الثالثة، أو في الرابعة، فقال له النبي صلى الله عليه و آله:ما حبسك عني؟قال:و الذي بعثك بالحق نبيا إني لأضرب الباب ثلاث مرات و يردني أنس .

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:لم رددته؟قلت:كنت أحب أن يكون رجلا من الأنصار.قال صلى الله عليه و آله:لست بأول رجل أحب قومه. [١٤]

دلالة الحديث صريحة علي أنه عليه السلام أحب الخلق إلى الله و رسوله، و لا مجال للشك و التردد في أن مقام الولاية و الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله لمن كان له هذا الشأن العظيم، و لا يتحمل العقل و المنطق أن يشغل منصب الخلافة من ليس له هذا الشأن، و لذا كان اعتقادنا نحن الإمامية على أن عليا عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله بعده صلى الله عليه و آله بلا فصل، و أنه إمام منصوب من قبل الله تعالى، و دليلنا لا ينحصربحديث الطير، بل بأدلة كثيرة ذكرناها في موارد متعددة من هذا الكتاب.

و يزيدنا في صحة صدور الحديث تصنيف علماء أهل السنة في حديث الطير كتبا و رسائل اختصاصية تبلغ ثمانية:

الأول:كتاب طرق حديث الطير و ألفاظه، لأبي جعفر ابن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ، المتوفي ٣١٠ ه.

الثاني:كتاب حديث الطير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة، المتوفي ٣٣٣.ه.

الثالث:كتاب طرق حديث الطائر، لأبي عبيد الله بن أحمد بن الأنباري، المتوفى ٣٥٦ ه.

الرابع:كتاب جمع طرق حديث الطير، لأبي عبد الله الحاكم النيشابوري ـ المعروف بابن البيع ـ صاحب المستدرك، المتوفى ٤٠٧ ه.

الخامس:كتاب طرق حديث الطير، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى ٤١٠ ه.

السادس:كتاب الطير لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى ٤٣٠ ه.

السابع:كتاب طرق حديث الطير، لأبي طاهر محمد بن أحمد بن علي ـ المعروف بابن حمدان ـ كان حيا سنة ٤٤١ ه.

الثامن:كتاب طرق حديث الطير، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفي ٧٤٨ ه.

و قال الحافظ الذهبي في ترجمة الحاكم من كتاب تذكرة الحفاظ:و أما حديث الطير فله طرق كثيرة جد، قد أفردتها بمصنف، و مجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل. [١٥]

تعليقات:

١.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٣٥، ح ٢٨١.

٢.راجع سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٨٦/٦٦٢، مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٨٠٠/١٨٥، مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤، سنن الدارمي، ج ٢، ص ٤٣٢، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ١٠٣٥/٦٠٣، الخصائص للنسائي، ص ٢١، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٣٦، تفسير الرازي، ج ٨، ص ١٦٣، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٢، العقد الفريد، ج ٤، ص ١٢٦، تاريخ ابن عساكر، ج ٢، ص ٥٣٦/٣٦، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٣ و ١٦٤، الجامع الصغير، ج ١، ص ١٦٠٨/٢٤٤، الصواعق المحرقة، باب ١١، فصل ١، ص ١٤٩، خصائص السيوطي، ج ٢، ص ٤٦٦، ذخائر العقبى، ص ١٦ و غيرها من المصادر.

٣.صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢.

٤.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٩.

٥.تفسر الدر المنثور، ج ٢، ص ٦٠.

٦.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٤١/ ٣٧٣٢.

٧.مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤.

٨.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٣، ح ٣٢٣.

٩.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٥٧، ح ٣٠٥، و انظر نحوه في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣٢٩.

١٠.مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٦٩.

١١.المناقب لأخطب خوارزم، ص ٢١٣.

١٢.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٥.

١٣.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢٧/٦٣٩، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٤، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٠٥، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٨٤، خصائص السنائي، ص ٤، حلية الأولياء، ج ٤، ص ١٥٣، فضائل الصحابة لأحمد، ج ٢، ص ٥٨١/ ٩٨٥.

١٤.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢١/٦٣٦، خصائص النسائي، ص ٥، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٩٤٥/٥٦٠، المستدرك على الصحيحين و صححه، ج ٣، ص ١٣٠، و قال:رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفس، مصابيح السنه، ج ٤، ص ٤٧٧٠/١٧٣، اسد الغابة، ج ٤، ص ٣٠، البداية و النهاية،

ج ٧، ص ٣٦٣، جامع الأصول، ج ٩، ص ٤٧١، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٠٦ الى ١٣٤، أخرجه من أربعة و أربعين طريق، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١١٤، ذخائر العقبى، ص ٦١، و أحصى الكنجي في كفاية الطالب، ص ١٤٤ الى ١٥٦ ستة و ثمانين رجلا كلهم رووه عن أنس، و قال الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام، ص ٤٦:أخرج ابن مردويه هذا الحديث بمائة و عشرين إسنادا.

١٥.تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٢.

١٥.تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٢.

حديث المنزلة

من الأخبار الواردة من طرق العامة و الخاصة مستفيضة بل متواترة عن النبي صلى الله عليه و آله حديث المنزلة، و هو قوله صلى الله عليه و آله مخاطبا لعلي عليه السلام:«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». (١)

سند الحديث

لقد اعترف أكابر علماء المسلمين و ثقات الرواة من الفريقين بصحة سند هذا الحديث، بل لم يختلج في صحة سنده ريب، و لا سنح في خاطر أحد أن يناقش في ثبوته، حتى أن الذهبي ـ على تعنته ـ صرح في تلخيص المستدرك بصحته، و ابن حجر الهيتمي ـ على محاربته بصواعقه ـ نقل القول بصحته عن أئمة الحديث الذين لا معول فيه إلا عليهم.

و في الاستيعاب روى قوله صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام:«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»جماعة من الصحابة و هو من أثبت الآثار و أصحه، ثم قال:رواه عن النبي صلى الله عليه و آله سعد بن أبي وقاص، و طرق حديث سعد فيه كثيرة جد، قد ذكرها ابن أبي خيثمة و غيره، و رواه ابن عباس، و كذا أبو سعيد الخدري، و أم السلمة، و أسماء بنت عميس، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و جماعة يطول ذكرهم. (٢)

و لو لا أن الحديث بمثابة من الثبوت ما أخرجه البخاري في كتابه، و لو لا ثبوته لما اعترف معاوية الذي كان إمام الفئة الباغية، الذي ناصب أمير المؤمنين عليه السلام و حاربه و لعنه علي منابر المسلمين، و أمرهم بلعنه، لكنه ـ بالرغم من وقاحته في عداوته ـ لم يجحد حديث المنزلة، و لا كابر فيه سعد بن أبي وقاص حين قال له:ما منعك أن تسب أبا تراب؟

فقال:أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له النبي صلى الله عليه و آله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم:سمعت رسول الله يقول له و قد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي:«يا رسول الله، خلفتني مع النساء و الصبيان؟».فقال له النبي:«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي».فأبلس معاوية و كف عن تكليف سعد. (٣)

و أزيدك علي هذا كله أن معاوية نفسه حدث بحديث المنزلة:

قال ابن حجر في صواعقه:أخرج أحمد، أن رجلا سأل معاوية عن مسألة.فقال سل عنها علي، فهو أعلم.قال:جوابك فيها أحب إلي من جواب علي، قال:بئس ما قلت:لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى

الله عليه و آله يغره بالعلم غر، و لقد قال له:«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى»الحديث. [٤]

و بالجملة فإن سند حديث المنزلة مما لا ريب في ثبوته بإجماع المسلمين على اختلافهم في المذاهب و المشارب، حتى أخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين من صحيح البخاري و صحيح مسلم، و سنن ابن ماجة، و مستدرك الحاكم، و أحمد بن حنبل في مسنده و غيرهم، حتى انتهضت طرق العامة إلى مائة حديث، و الخاصة إلى سبعين حديث، و رواه في أكثر من ١٠٥ كتب أعاظم محدثي العامة، و هو من الأحاديث المسلمة في كل خلف من هذه الامة.

دلالة الحديث على إمامته بعد الرسول صلى الله عليه و آله

لقد تضمن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه و آله نصه عليه بالامامة و إبانته من الكافة بالخلافة، و دل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، و أوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الاخوة، و استثناه هو من النبوة، ألا ترى أنه جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منها لفظا و عقل، و قد علم كل من تامل معاني القرآن و تصفح الآيات و الأخبار أن هارون كان أخا موسى لأبيه و أمه، و شريكه في أمره، و وزيره على نبوته و تبليغه رسالات ربه، و أن الله سبحانه شد به أرزه، و أنه كان خليفتة على قومه، و كان له من الإمامة عليهم و فرض الطاعة كامامته و فرض طاعته، و أنه أحب قومه إليه و أفضلهم لديه، و لو عاش بعد موسى لكان خليفة له قطعا لكنه مات في حياته، فلما جعل رسول الله صلى الله عليه و آله عليا منه بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الاخوة، و استثناه من النبوة لفظ، و هذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام، و لا ساواه في معناه، و لا يقاربه فيها على حال.

قال ابن أبي الحديد:و الذي يدل على أن عليا وزير رسول الله صلى الله عليه و آله من نص الكتاب و السنة قوله تعالي: (و اجعل لي وزيرا من أهلي*هارون أخي*اشدد به أزري*و أشركه في أمري) [٥] ، و قال النبي صلى الله عليه و آله في الخبر المجمع علي روايته من سائر فرق الاسلام:«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»فأثبت له جميع مراتب هارون و منازله من موسى، فاذن هو وزير رسول الله صلى الله عليه و آله و شاد أزره، و لو لا أنه خاتم النبيين لكان شريكا له في أمره. [٦]

حديث الغدير

لما قضي رسول الله صلى الله عليه و آله مناسكه في حجة الوداع، رجع إلى المدينة، فوصل إلى الموضع المعروف ب (غدير خم) [٧] يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرين من الهجرة ـ و هو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ ـ و معه صلى الله عليه و آله على ما قيل:ما يزيد على مائة ألف، فنزل قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك) [٨] فخطبهم، و قال في خطبته ـ و قد رفع عليا عليه السلام للناس و أخذ بضبعيه فرفعهما حتى بان للناس إبطيهم ـ .«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».قالوا:بلى.قال صلى الله عليه و آله :«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و أحب من أحبه، و أبغض من أبغضه، و انصر من نصره، و أعن من أعانه، و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيث دار»ثم أفرده بخيمة، و أمر الناس ببيعته بإمرة المؤمنين حتى النساء و منهن نساؤه صلى الله عليه و آله، فنزل قوله تعالى في سورة المائدة ٣: (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا .

قال العلامة الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية:و لما وصل رسول الله صلى الله عليه و آله إلى محل بين مكة و المدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ، جمع الصحابة و خطبهم خطبة، قال فيها صلى الله عليه و آله:«أيها الناس، إنما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب» .و في لفظ الطبراني، فقال، «أيها الناس، إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، و إني لأظن أن يوشك أن ادعى فاجيب، و إني مسؤول و إنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟»قالوا:نشهد أنك قدبلغت و جهدت و نصحت، فجزاك الله خير، فقال صلى الله عليه و آله:«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن جنته حق، و ناره حق، و أن الموت حق، و أن البعث حق بعد الموت، و أن الساعة آتية لا ريب فيه، و أن الله يبعث من في القبور؟».قالوا:بلى نشده بذلك.قال:«اللهم اشهد»ثم حض علي التمسك بكتاب الله، و وصي بأهل بيته، إلي أن قال:«إني تارك فيكم الثقلين:كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، و لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض».

و قال في حق علي عليه السلام لما كرر عليهم«ألست أولى بكم من أنفسكم؟» ـ ثلاث ـ و هم يجيبونه صلى الله عليه و آله بالتصديق و الاعتراف، و رفع يد علي عليه السلام، و قال:«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و أحب من أحبه، و أبغض من أبغضه، و انصر من

نصره، و أعن من أعانه، *و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيث دار».ثم قال:و هذا حديث صحيح، ورد بأسانيد صحاح و حسان، و لا التفات لمن قدح في صحته... [٩]

قد روى حديث الغدير أكثر من مائة و عشرة من أعاظم الصحابة الذين شهدوا واقعة الغدير، و رواه من علماء التابعين ما يربو على أربعة و ثمانين نفرا من علماء أهل السنة، و أفرد له بعضهم تأليفا خاصا في لفظه و طرقه و أسانيده، فبلغت مؤلفاته نحو اثني عشر مؤلفا [١٠] .

دلالة الحديث على الإمامة الكبرى لعلي عليه السلام

حقيقة كلمة المولى:من يلي أمرا و يقوم به و يتقلده، فمعني قوله صلى الله عليه و آله:«من كنت مولاه فعلي مولاه»من كنت متقلدا لأمره و قائما به، فعلي متقلد أمره و قائم به، و هذا صريح في زعامة الأمة و إمامتها و ولايته، فكأن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:زعامة الامة و ولايتهم و سلطنتهم و القيام بأمرهم لعلي عليه السلام.فثبت لعلي عليه السلام ما ثبت لرسول الله صلى الله عليه و آله من الولاية العامة و الزعامة التامة.

و الشواهد علي دلالة الحديث على الإمامة الكبرى لعلي عليه السلام أمور:

منها:مخاطبة رسول الله صلى الله عليه و آله لجماهير الناس قبل إيراد هذا المقال بقوله :«ألست أولى بكم من أنفسكم؟»ثم فرع عليه بقوله:«من كنت مولاه فعلي مولاه»فلا يكون كسب الإقرار من الناس إلا لأجل التمكن منهم، و حملهم على أن لا يأبوا عما يريد أن يعقبه بجعل علي الزعيم عليهم و المتصرف في شؤونهم لا محالة، فتتعين إرادة ما هو متضمن لمعني التسلط من معاني لفظ المولى دون غيره من معانيه.

و منها:دعاؤه صلى الله عليه و آله بعد إلقاء هذا المقال في حق علي عليه السلام على الناس بقوله:«اللهم وال من ولاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره...»المروي بطرق كثيرة، فإنه يدل على أن الأمر الذي أتي به في علي عليه السلام يحتاج في تثبته إلي النصرة و الموالاة له، و يحترز عليه من المعاداة و الخذلان له.

مضافا إلى دلالة هذا الدعاء في حق علي عليه السلام على أنه لا تجوز معاداة علي عليه السلام، و خذلانه في شيء مما يريد، فهو يدل على تسلطه على الناس بكل ما يريد.

و منها:الأخبار الواردة بطرق كثيرة و المشيرة إلى نزول قوله تعالى: (اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي) في يوم الغدير، فتدل على أن المراد بالمولى مايرجع إلى الإمامة الكبرى، إذ ما

يكون سببا لكمال الدين و تمام النعمة على المسلمين ليس إلا ما كان من اصول الدين، مضافا إلي ما ورد في بعض طرق الحديث من أنه صلى الله عليه و آله قال عقيب لفظ الحديث:«الله أكبر علي إكمال الدين و إتمام النعمة و رضي الرب برسالتي و الولاية لعلي بن أبي طالب».

و منها:الأخبار المتقدمة الدالة على نزول قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك، و إن لم تفعل فما بلغت رسالته) في حق علي عليه السلام في غدير خم، فتدل الآية على أن ترك نصبه بالولاية مساو لترك تبليغ الرسالة برأسها.

و منها:إلقاء هذا المقال الشريف عقيب أخذ الشهادة منهم بالوحدانية، و الشهادة بالنبوة، و ذكر قوله:«من كنت مولاه فعلي مولاه»في سياقهما يدل على أن ما أفاده بهذا المقال أمر مهم يبتني عليه الإسلام.

و منها:أنه صلى الله عليه و آله بعد تبليغ الولاية إلى الناس بمجمع من جماهير المسلمين قال:«فليبلغ الحاضر الغائب»فيدل هذا الاهتمام الشديد بايصال خطابه الشريف و كلامه المنيف إلى جميع المسلمين، على أن المراد من الحديث ليس معنى معلوما بالكتاب و السنة يعلمه كل أحد كالنصرة و المحبة.

و منها:القرائن الحالية، و هي كثيرة واضحة الدلالة على المقصود، كنزوله صلى الله عليه و آله في حر الهجير و السماء صافية على الحصباء و الرمضاء التي كادت تتوقد من إشراق الشمس، بحيث نقل النقلة من حفاظ الحديث و أئمة التاريخ أنه لشدة الحر وضع بعض الناس ثوبه على رأسه، و بعضهم يلفه برجله، و بعضهم استظل بمركوبه، و بعضهم استظل بالصخور و انحنائها ..و أمره صلى الله عليه و آله برجوع من تقدم و توقف من تأخر، و انحناؤه عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، و انشاؤه تلك الخطبة الغراء.

و منها:فهم الحاضرين في غدير خم عند تلك الواقعة و المستمعين لكلامه، هذا معني الإمامة الكبرى و الزعامة العظمى، و يشهد لذلك أيضا أمور:

الأول:بيعة الناس لعلي عليه السلام و مصافقتهم معه و تهنئتهم للنبي و لعلي (صلوات اللهعليهما) و أول من أقدم بالتهنئة و البخبخة أبو بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان و... [١١]

الثاني:واقعة الحارث بن النعمان الفهري، حين سمع حديث الغدير من النبي صلى الله عليه و آله دعا على نفسه بنزول المطر من الحجارة، فأجابه الله دعوته، و رماه بحجر فسقط على هامته و خرج من دبره، فأنزل الله (سأل سائل بعذاب واقع) . [١٢]

الثالث:استيذان حسان بن ثابت من الرسول صلى الله عليه و آله في نظم أبيات في الواقعة فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم *** و أسمع بالرسول مناديا [١٣]

الرابع:أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد اجتماع الناس على نصبه بالخلافة و استقرار الأمر إليه لما نوزع في أمر الخلافة، حضر رحبة الكوفة بمجتمع من الناس، و استنشدهم بهذا الحديث، ردا على مخالفيه في أمر الخلافة، فأجابوه:بنعم. [١٤]

الخامس:احتجاجه عليه السلام و غيره من الأئمة و بعض الصحابة بحديث الغدير لأحقيته عليه السلام بالخلافة العظمى و الإمامة الكبرى. [١٥]

و بالجملة فكل من بلغه هذا الحديث، فهم منه الإمامة و الزعامة الكبرى في ذلك العصر و الأعصار التالية عصرا بعد عصر من العلماء على اختلاف مشاربهم و فنونهم و الشعراء و أرباب الأدب، و من شاء الوقوف على تلك الأشعار، فليراجع الغدير للمرحوم الأميني (شكر الله سعيه و حشره مع مواليه.)

اللهم إنا أتممنا الحجة و أوضحنا المحجة لإخواننا المسلمين، فهم مختارون كما قلت تباركت و تعاليت: (إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا*فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر) صدق الله العلي العظيم، و صدق رسوله الكريم، و الحمد لله رب العالمين.

تعليقات:

١.صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٢/٨٩، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٤٠٤/١٨٧، أخرجه من ستة طرق، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٣٠، و ما بعده، المستدرك، ج ٢، ص ٣٣٧، مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤ و ٣٣١، مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٦٢/١٧١٠، جامع الأصول، ج ٩، ص ٤٦٨/ ٦٤٧٧.

٢.الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٤.

٣.صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٢٦.

٤.الصواعق المقصد الخامس من الباب ١١، ص ١٠٧.كما في المناقب لابن المغازلي، ص ٣٤.

٥.طه، ٢٩ الى ٣٢.

٦.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١.

٧.غدير خم في وادي الأراك على عشرة فراسخ من المدينة و على أربعة أميال من الجحفة.

٨.المائدة: ٦٧.

٩.السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٧٤.

١٠.و من أهم المصادر التي أخرجت لفظ الحديث:سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣، صحيح ابن حيان، ج ٩، ص ٤٢، مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤، ٨٨، ١٩٩، ١٥٢، ٣٣١ و ساير مجلداته، المستدرك، ج ٣، ص ١١٠، مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٢، ح ٤٧٦٧، سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٥، ح ١٢١، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٧٤ و ساير مجلداته و غيرها.

و من أهم المصادر التي أخرجت قصة حجة الوداع، و جاء فيها خطبة النبي صلى الله عليه و آله يوم غدير خم، و فيها لفظ الحديث أيضا:البداية و النهاية، ٧:٢٤٧، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٧، ح ١٠٤ الى ١٠٨، ـ مناقب الخوارزمي:ص ٨، إسعاف الراغبين، ص ١٦٦، شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠٨، كفاية الطالب، ص ٦٢، تذكرة الخواص، ص ٢٨ الى ٣٣ و غيرها.

١١.فرائد السمطين، ج ١، ص ٦٤، ح ٣٠، تذكر الخواص، ص ٣٦.

١٢.انظر تفسير المنار، ج ٦، ص ٤٦٤، ذيل الآية ١ من المعارج.

١٣.فرائد السمطين، ج ١، ص ٧٣، ح ٣٩.

١٤.تذكرة الخواص، ص ٣٥.

١٥.انظر أسنى المطالب للجزري الشافعي، ص ٥٠.

١٥.انظر أسنى المطالب للجزري الشافعي، ص ٥٠.

حديث السفينة و باب حطة

روي عن أبي ذر و ابن عباس و أبي سعيد الخدري و سلمة بن الأكوع و أبي الطفيل و غيرهم بطرق صحيحة أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نج، و من تخلف عنها غرق». [1]

و قال صلى الله عليه و آله:«إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له». [2]

و قال صلى الله عليه و آله أيضا:«علي باب حطة، من دخله فيه كان مؤمن، و من خرج منه كان كافرا». [3]

في وجه التشبيه

قال ابن حجر:وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم و عظمهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه و آله و أخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، و من تخلف عن ذلك، غرق في بحر كفر النعم، و هلك في مفاوز الطغيان.

و في الخبر أن من حفظ حرمة الاسلام و حرمة رسوله صلى الله عليه و آله و حرمة رحمه، حفظ الله دينه و دنياه، و من ل، لم يحفظ الله دنياه و لا آخرته.و ورد:يرد الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين، و يشهد له خبر:«المرء مع من أحب».

و بباب حطة ـ أي وجه التشبيه به ـ أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب ـ الذي هو باب أريحاء، أو بيت المقدس ـ مع التواضع و الاستغفار سببا للمغفرة، و جعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها. [4]

و قال العلامة أبو بكر الحضرمي الشافعي:قال العلماء:وجه تمثيله صلى الله عليه و آله لهم بسفينة نوح عليه السلام أن النجاة من هول الطوفان ثابتة لمن ركب تلك السفينة، و أن من تمسك من الامة بأهل بيته صلى الله عليه و آله و أخذ بهديهم، نجا من ظلمات المخالفات، و اعتصم بأقوى سبب إلى رب البريات، و من تخلف عن ذلك و أخذ غير مأخذهم، و لم يعرف حقهم، غرق في بحار الطغيان، و استوجب الحلول في النيران، إذ من لمعلوم مما سبق و غير ذلك أن بعضهم منذر بحلوله، موجب لدخولها. [5]

فدلالة حديث السفينة و باب حطة واضحة في وجوب التمسك بهدي أهل بيت الرسول و عترته المعصومين عليهم السلام باعتبارهم عدل كتاب الله تعالى و المحافظين على سنة جدهم المصطفى صلى الله عليه و آله و من تصفح سيرتهم و تاريخهم عليهم السلام أدرك ذلك بشكل جلي.

حديث مدينة العلم

لقد وصل إلينا قول رسول الله صلى الله عليه و آله:«أنا مدينة العلم، و علي بابها»متواترا عن طرق الأئمة المعصومين عليهم السلام و الصحابة الكرام رضي الله عنه، و أخرجته كتب العامة و الخاصة، كما صرح فقهاء أهل السنة بصحة هذا الحديث سندا و متنا [٦] .

و قد ألف الحافظ أحمد بن محمد المغربي كتابا في هذا الحديث تتبع فيه أسانيده و أثبت صحته في بحث نادر في بابه، اسمه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) و هو مطبوع في مصر، و على هذا فلا يوجد أدنى شك في صحته سندا و دلالة، و إن كان الاختلاف في تعابير الحديث، اذ ورد بلفظ«أنا دار الحكمة، و علي بابها» [٧] ، و ورد بلفظ«أنا مدينة الفقه، و علي بابها» [٨] إلا أن مضمونه واحد، و هو أن الرسول صلى الله عليه و آله مدينة العلم و الحكمة و علي بابه، فمن أراد أن ينهل من ذخائر و كنوزالوحي الإلهي و العلوم القرآنية و الحقائق الإسلامية، فعليه أن يدخل من باب الحكمة (علي بن أبي طالب) و الأئمة المعصومين عليهم السلام إلى المدينة المتمثلة بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

و كذلك من أراد التعرف على حقائق القرآن، و أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص و...فعليه الاستفادة من علم علي عليه السلام، و لهذا قال الرسول صلى الله عليه و آله:«علي مع القرآن، و القرآن معه.» [٩]

و كذلك أيضا من أراد التعرف على أحكام الإسلام السياسية و العبادية و الاجتماعية و التربوية و القضائية و على كل حقائق الإسلام المحمدى الأصيل يجب أن يستفيد من علم علي عليه السلام، إذ لا يوجد أى سبيل إلى العلوم الإلهية إلا علي عليه السلام، فلقد كان و لا يزال علم علي عليه السلام عينا تنبع بالفيض الإلهي و خزائن الحقايق السرمدية في كل مكان و زمان، و حتى فترة أل (٢٥) عاما التي عاشها بعيدا عن السياسة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و التي اشتغل خلالها بالزراعة و العمل، فمع هذا كان الخلفاء الثلاثة يرجعون إلى علي عليه السلام في حل مشكلاتهم القضائية و العلمية المختلفة، رغم أن رغبتهم الباطنية هي عدم ظهوره عليه السلام في الساحة السياسة.

لقد اضطر الخلفاء الثلاثة إلى الرجوع إلى علي عليه السلام في أكثر معضلاتهم القضائية و العلمية و السياسية إلى الحد الذي قال الخليفة الثاني:«لو لا علي لهلك عمر» [١٠] و قال أيضا:«لا أبقاني الله بعدك يا علي». [١١] و قال أيضا ثطابا لعلي عليه السلام:«لولاك لا فتضحنا». [١٢] و قال أيضا:«لا عشت في قوم لست فيهم أبا حسن». [١٣] و قال عثمان الخليفة الثالث:«لو لا علي لهلك عثمان.» [١٤]

حديث تشبيهه عليه السلام بالأنبياء

شبه رسول الله صلى الله عليه و آله عليا بالأنبياء في موارد و مناسبات متعددة، و أما جمع من الصحابة، و التعبير الذي تداوله صلى الله عليه و آله في هذا المجال هو رواية أبي الحمراء:«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى يحيى بن زكريا في زهده، و إلى موسى في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب». [١٥]

و عن ابن عباس قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حمله، و إلى نوح في حكمه، و إلى يوسف في جماله، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .» [١٦]

فقد شبه رسول الله صلى الله عليه و آله عليا عليه السلام بهؤلاء الرسل عليهم السلام في اكتسابه عليه السلام للخصال الشريفة من خصالهم:

فمن آدم أبي البشر، العلم، فإن الله تعالى خصه بأنه علمه الأسماء كلها ثم أبان فضله بذلك، و نوه بعلمه حيث عرض على الملائكة أسماء المسميات، و طلب منهم إنباءه بأسمائها فعجزو، و طلب من آدم إنباءهم، فأنبأهم عليه السلام به، فهذه فضيلة من أشرف فضائل آدم التي شرف بها بين الملأ الأعلى.

و شبهه بنوح عليه السلام في فهمه، لأنه أمره الله تعالى بصنعة الفلك، و فيها من دقائق الإحكام و الإتقان ما لا تحصره الأقلام، و لا تدركه الأفهام، و كانت لم تعرف و لاأهتدى إليها فكر قبل ذلك، و كان فيها من الإتقان و البيوت التي جعلها له و لمن معه، و الأنعام و الوحوش و السباع و اختلافها طولا و عرضا كجؤجؤ طائر، و قد جعل الله الحمل فيها من آياته، حيث قال: (و آية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) [١٧] و عد الامتنان بها في الذكر في عدة من الآيات، فالمراد فهمه لما ألهمه من صنعته، و لذلك جعل صنعتها مقيدة بأعيننا في قوله: (و اصنع الفلك بأعيننا) [١٨] و قوله صلى الله عليه و آله في حديث التشبيه له:«في حكمه»كما في الحديث الثاني، أى في حكمه الناشىء عن حكمه و قوته و صحته.

و يحتمل أن يكون المراد فهمه العام في صنعة الفلك و غيره مما فهمه عن الله تعالى و أمره .

و شبهه رسول الله صلى الله عليه و آله بالخليل في حلمه، و هو من أشرف الصفات، و لذلك قيل :ما نعت الله الأنبياء بأقل ما نعتهم بالحلم، و ذلك لعزة وجوده، و لقد نعت الله إبراهيم عليه السلام بقوله: (إن إبراهيم لأواه حليم) [١٩] و قوله: (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) [٢٠] و من حلمه عليه السلام الذي تخف عنه رواسي الجبال، امتثاله لأمر الله تعالى بذبح ولده عليهما السلام و إضجاعه و كتفه له، و إمرار المدية [٢١] على حلقه، لو لا منع الله لها أن تقطع، فلهذا و صفة الله و وصف ولده بالحلم.

و شبهه صلى الله عليه و آله بيحيى بن زكريا عليه السلام في زهده، إذ يحيى عليه السلام هو علم الزهادة في أبناء آدم من تأخر منهم و من تقدم، و قد ملئت الكتب بالكثير من صفات زهده.

و شبهه صلى الله عليه و آله بكليم الله في بطشه، و كان موسى عليه السلام شديد البطش، و يكفيك أنه عليه السلام و كز القبطي فقضى عليه، و أراد البطش بالآخر، و هو في بلد فرعون، و كانبنو إسرائيل أرقاء في يد فرعون، و كان القبط أهل الصولة و الشوكة و الدولة.

و شبهه صلى الله عليه و آله في الحديث الآخر بيوسف في جماله، و يوسف في جماله شمس لا يزيدها الوصف إلا خفاء، فهي أظهر من أن تظهر.

المراد من التشبيه

لعل الهدف من أحاديث تشبيهه عليه السلام بالأنبياء (صلوات الله عليهم) هو:

١ ـ أن عليا عليه السلام يمتلك كل صفات الأنبياء المثلي، بل إنه جمع من كل نبي صفة الكمال التي خصه الله تعالى به، و لا شك أن من يجمع صفات الأنبيآء عليهم السلام الكمالية لا بد أن يكون أتم و أكمل و أفضل منهم بعد الرسول صلى الله عليه و آله، لأن ثمة علاقة بين أوصاف الأنبياء و بين أفضليتهم على البشر.

٢ ـ مراد الرسول من هذا التشبيه تعيين الخليفة و الإمام من بعده، و أنه عليه السلام يملك الأهلية لولاية المسلمين بما يحمله من صفات الفضيلة.

قال ابن تيمية في منهاج السنة:إن رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل الخلف، و كل من كان به أشبه فهو أفضل ممن لم يكن كذلك، و الخلافة كانت خلافة نبوة لم تكن ملك، فمن خلف النبي صلى الله عليه و آله و قام مقام النبي صلى الله عليه و آله كان أشبه بالنبي صلى الله عليه و آله، و من كان

أشبه بالنبي صلى الله عليه و آله كان أفضل، فمن يخلفه أشبه به عن غيره، و الأشبه به أفضل، فالذي يخلفه أفضل.

أقول:يظهر من صدر كلامه من كان أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله كان أفضل الخلق، و كانت الخلافة لمن كان أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله، فلا شك بمقتضي أخبار التشبيه أن عليا عليه السلام أشبه برسول الاسلام صلى الله عليه و آله من غيره، إذ من يمتلك صفات الأنبياء المثلي فهو أكمل و أتم و أفضل من غيره بعد نبي الإسلام صلى الله عليه و آله، و هو أليق بمقام الخلافة و الوصايه بعده صلى الله عليه و آله.

حديث علي عليه السلام مع القرآن

من الفضائل المختصة بعلي بن أبي طالب عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه و آله :«علي مع القرآن و القرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض». (٢٢)

كان علي عليه السلام منذ بداية نزول الوحي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و آله، و لم يفارقه في حالة إلا موارد نادرة طلب فيها إذنه صلى الله عليه و آله مثل ليلة المبيت، و غزوة تبوك، و البعث إلى اليمن، و كان ما زال حاميا و ناصرا لرسول الله صلى الله عليه و آله، و حتى لحظة وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله، حيث كان رأسه صلى الله عليه و آله في حجره عليه السلام، و لهذا اختص علي عليه السلام بمعرفة كل ما نزل من الوحي على رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان طبيعيا أنه يعلم خاصة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله خصوصيات الوحي من ساعات النزول و دقائقه إلى لحظات آخر عمره المبارك صلى الله عليه و آله، و من أنه نزل في الليل أو النهار، في السهل أو الجبل، في الحضر أو السفر، و على من و لمن نزل، يعلم ناسخه و منسوخه، عامه و خاصه، ظاهره و متشابهه، و هو يعلم إعرابه و ترتيب نزوله...خصوصا أنه صلى الله عليه و آله وصاه بجمع القرآن حتى لا يضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة.

و أيضا فقد أملاه رسول الله صلى الله عليه و آله على علي عليه السلام و هو يكتبه، و دعا الله تعالى له عليه السلام أن يعلمه فهمه و حفظه، و استجاب الله دعاءه صلى الله عليه و آله فصار عليه السلام حافظا للقرآن، و عالما بمفاهيمه، كيف و قد علمه صلى الله عليه و آله من العلم ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب آخر.

و أدل دليل و شاهد على ذلك حديث الثقلين قوله صلى الله عليه و آله:«إني تارك فيكم الثقلين :كتاب الله، و عترتي»فإن عليا عليه السلام جعل في هذا الحديث عدل القرآن، و مع كل هذا هل يصلح أحد للإمامة و الخلافة و إقامة أحكام القرآن و الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و تفسيره غير علي عليه السلام؟

حديث علي عليه السلام مع الحق

إن أحد الأحاديث المتواترة من طريق الفريقين هو قول رسول الله صلى الله عليه و آله:«علي مع الحق و الحق مع علي، و لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة». (٢٣)

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر، قال:دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي و تذكر علي، و قالت:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«علي مع الحق و الحق مع علي، و لن يفترقا حتي يراد على الحوض يوم القيامة». (٢٤)

و عنه أيض، عن أبي ليلى الغفاري، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، و أول من يصافحني يوم القيامة، و هو معي في السماء الأعلى، و هو الفاروق بين الحق و الباطل». (٢٥)

و روى الترمذي بسنده عن علي عليه السلام ـ في حديث ـ قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«رحم الله علي، اللهم أدر الحق معه حيث دار». (٢٦)

و في فرائد السمطين بسنده عن شهر بن حوشب، قال:كنت عند أم سلمة إذ استأذن رجل فقالت له :من أنت؟قال:أنا أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت أم سلمة:مرحبا بك يا أبا ثابت ـ ادخل، فدخل فرحبت به، ثم قالت:يا أباثابت، أين طار قلبك حيث طارت القلوب مطائرها؟فقال :مع علي عليه السلام.قالت:وفقت و الذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«علي مع الحق و القرآن، و الحق و القرآن مع علي، و لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» . (٢٧)

و في تفسير الرازي:أما إن علي بن أبي طالب كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، و الدليل عليه قوله صلى الله عليه و آله:«اللهم أدر الحق مع علي حيث دار». (٢٨)

فاتضح من هذه المسانيد أنه لا شك في صدور الحديث، و إنما الكلام في وجه صدوره، و لماذا تكلم النبي صلى الله عليه و آله بهذه الكلمات في حقه عليه السلام؟

لا شك أن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله كان يرى بنور الوحي أن الفرقة و الخلاف ستقع بين المسلمين في المستقبل القريب، و سيتبع كل رجل جماعة خاصة ستقف بوجه علي عليه السلام، و سيسلون السيوف بوجهه، و يظهرون أنفسهم من خلال الدجل و التضليل أنهم يمثلون الحق و أن عليا على باطل، فأراد النبي صلى الله عليه و آله أن يحذر المسلمين من مغبة هذه الأحداث، فأطلق عبارات مختلفة، منها: (علي مع الحق، و الحق مع علي) و ذلك لئلا يقف أصحابه و بقية المسلمين في مواجهة علي عليه السلام ـ أى الحق ـ و لتكون الحجة قد تمت عليهم بذلك، و لئلا يسيروا في طريق الضلال بعد هذا البيان و هم يظنون أنهم يسلكون سبيل الحق، و لئلا يظنوا فيما بعد أن الحرب ضد علي عليه السلام جهاد في سبيل الله، و ليعلموا أن عليا عليه السلام أحق الناس بالخلافة، و ليست الخلافة إلا له، و كل من يتبع غير سبيل علي عليه السلام فقد ضل و اتبع الباطل.

و يدل على ذلك ما أخرجه الجويني بسنده عن علقمة و الأسود قالا:أتينا أبا أيوب الأنصاري، فقلنا له:يا أبا أيوب، إن الله تعالى أكرمك بنبيه صلى الله عليه و آله، فيا لك من فضيلة من الله فضلك به، أخبرنا بمخرجك مع علي تقاتل أهل«لا إله إلا الله»؟!.

فقال أبو أيوب:فإني اقسم لكم بالله، لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله معي في هذا البيت الذي أنتما فيه معي، و ما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه و آله و علي جالس عن يمينه، و أنا جالس عن يساره، و أنس قائم بين يديه، إذ حرك الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا أنس، افتح لعمار الطيب المطيب»ففتح أنس الباب، و دخل عمار، فسلم على رسول الله صلى الله عليه و آله فرحب به، ثم قال لعمار:«إنه سيكون في أمتي من بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم، و حتى يقتل بعضهم بعض، و حتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع الذي عن يميني ـ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ـ و خل عن الناس .

يا عمار، إن عليا لا يردك عن هدى، و لا يدلك على ردى.يا عمار، طاعة علي طاعتي، و طاعتي طاعة الله عز و جل». [٢٩]

هذا و قد ثبت بالاسانيد الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعمار بن ياسر رحمهم الله:يا عمار، تقتلك الفئة الباغية، [٣٠] و هو يدل بوضوح على أن الفئة التي قالت عليا عليه السلام كانت باغية، و أن عليا عليه السلام كان مع الحق و الحق معه حيثما حل.

تعليقات:

١.المستدرك، ج ٢، ص ٣٤٣، و صححه على شرط مسلم، الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٤٤٦، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٥٣٣، عيون الأخبار لابن قتيبة، ج ١، ص ٢١١، المعارف له أيض، ص ١٤٦، روح المعاني، ج ٢٥، ص ٣٢، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٣، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩١، حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦، الصواعق المحرقة، ص ٢٣٦، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨، البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩٨، ذخائر العقبى، ص ٢٠، كفاية الطالب، ص ٣٧٨.

٢.الصواعق المحرقة، ص ١٥٢ و ٢٣٦.

٣.الجامع الصغير للسيوطي، ج ٢، ص ١٧٧، الصواعق المحرقة، ص ١٢٥.

٤.الصواعق المحرقة، باب ١١، فصل الأول، ص ١٥٢ و ١٥٣.

٥.رشفة الصادي، ص ٨٠.

٦.المستدرك، ج ٣، ص ١٢٦ و ١٢٧، و صححه، جامع الأصول، ج ٩، ص ٦٤٨٩/٤٧٣، أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٢، البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٧٢، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٩١/٤٦٤ ـ ١٠٠٢، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٩ و ٥٠، مثبتا صحة الحديث، الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٧٠٥/٤١٥، تاريخ الخلفاء، ص ١٣٥، كنز العمال، ج ١١، ص ٣٢٨٩٠ و ٣٢٩٧٩، و ج ١٣، ص ٣٦٤٦٣، الصواعق المحرقة، باب التاسع، ص ١٢٢، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٥٩.

٧.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٣٢/٦٣٧، مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٧٢/١٧٤، الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٧٠٤/٤١٥، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٥٩، ح ٩٩٠، البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٧٢، الصواعق المحرقة باب التاسع، ص ١٢٢، حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٤، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٥٩.

٨.تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنفي، ص ٥٢.

٩.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٤.

١٠.ذخائر العقبى، ص ٨٢.

١١.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٦.

١٢.ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٤، ص ٤٦.

١٣.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠، ح ٧٣، مناقب الخوارزمي، ص ٥١.

١٤.زين الفتى ـ للحافظ العاصمي ـ عنه الغدير للشيخ الأميني، ج ٨، ص ٢١٤.

١٥.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٥٦/٢١٢، وسيلة المتعبدين، القسم الثاني، من ج ٥، ص ١٦٨، نحوه، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٣١/١٧٠، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٨١١/٢٨٠، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦/٧٨ و ١١٧، مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣/٤٤، من الفصل الرابع، و المناقب له أيض، ج ٤٠، الفصل ٧، ذخائر العقبى، ص ٩٣.

١٦.ذخائر العقبى، ج ١، ص ٩٤.

١٧.يس، ٤١.

١٨.هود، ٣٧.

١٩.يس، ٤١.

٢٠.هود، ٣٧.

٢١.المدية:السكين.

٢٢.مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٤، كنزل العمال، ج ١١، ص ٦٠٣.

٢٣.تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٢١، مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٢٤، كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٦، ح ١٣٩.

٢٤.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ١٩٩، ح ١١٦٢.

٢٥.نفس المصدر، ج ٣، ص ١١٢، ح ١١٦٤.

٢٦.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣، ح ٣٧١٤، المستدرك، ج ٣، ص ١٢٤.

٢٧.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٦، ح ١٦٠.

٢٨.التفسير الكبير، ج ١، ص ٢٠٥.

٢٩.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٨، ح ١٤١.

٣٠.صحيح البخاري، كتاب الصلاة، ج ١، ص ١٩٤، صحيح مسلم، كتاب الفتن، ج ٤، ص ٧٠/٢٢٣٥، ٧٢، ٧٣، مسند أحمد، ج ٢، ص ١٦١ و ١٦٤.

أحمد، ج ٢، ص ١٦١ و ١٦٤.

الفصل الرابع - مناقبه و مكارم أخلاقه عليه السلام

كلمة في مناقبه و..

الكلام عن مكارم أخلاقه عليه السلام و عن مناقبه و فضائله، يعد من الأمور التي يصعب استقضاؤها و الخوض في غماره، فهو عليه السلام بحر العلوم، و باب مدينة العلم، و باب دار الحكمة، و قسيم الجنة و النار، و هو الذي ردت إليه الشمس، و حبه حب الله و رسوله، و بغضه بغض الله و رسوله، و هو أخو الرسول و وصيه و خليفته، و زوج البتول، و أبو السبطين الحسن و الحسين عليهما السلام، و هكذا يكل اللسان عن تعداد مناقبه و إحصاء فضائله، قال ابن عباس:لو أن الرياض أقلام، و البحر مداد، و الجن حساب، و الإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام» [١] و سنذكر ما يتيسر من ذلك من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله:

تربيته في حجر رسول الله صلى الله عليه و آله

قال ابن حجر العسقلاني الشافعي:ولد على عليه السلام قبل البعثة بعشر سنين، فربي في حجر النبي صلى الله عليه و آله و لم يفارقه، و شهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك. [٢]

قال ابن هشام:أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه و آله و صدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب، و هو يومئذ ابن عشر سنين، و كان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله قبل الاسلام. [٣]

و قال ابن الأثير و غيره من المورخين:و كان من نعمة الله على علي بن أبي طالبأن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال يوما رسول الله صلى الله عليه و آله لعمه العباس:يا عم، إن أبا طالب كثير العيال، فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب، فانطلقا إليه و أعلماه ما أراد، فقال أبو طالب:اتركا لي عقيل، و اصنعا ما شئتم، فأخذ رسول الله علي، و أخذ العباس جعفر، فلم يزل علي عند النبي صلى الله عليه و آله حتى أرسله الله فاتبعه. [٤]

قال علي عليه السلام حول موضعه من رسول الله صلى الله عليه و آله و تربيته في حجره:«و قد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة، وضعني في حجره و أنا وليد يضمني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسني جسده، و يشمني عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل.

و لقد قرن الله به صلى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره، و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امة، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علم، و يأمرني بالاقتداء به، و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيرى.

و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله و خديجة و أنا ثالثهم، أرى نور الوحي و الرسالة و أشم ريح النبوة.

و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت:يا رسول الله، ما هذه الرنة؟فقال:هذا الشيطان، أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي و لكنك لوزير، و إنك لعلي خير». (٥)

هذه منقبة مختصة بعلي عليه السلام، فعلي هذا حقيق ان يكون هو خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله بلا فصل و وصيه و وارثه، كما أشار إليه بقوله عن رسول الله صلى الله عليه و آله خطابا له عليه السلام:«أنك لست بنبي، و لكنك لوزير، و إنك لعلى خير».

علي عليه السلام أول من آمن و صلى مع الرسول صلى الله عليه و آله

لقد كان علي عليه السلام قد سبق الناس كلهم في الايمان بالله و رسوله بعد خديجة، و ما يدل على ذلك روايات كثيرة تبلغ حد التواتر، و استقصاؤها مشكل جد، و لذا نكتفي بجملة منها حتى تعرف بأن هذه الفضيلة الفريدة له كسائر فضائله التي لا تعد و لا تحصى.

١ ـ روى ابن عبد البر المالكي، عن حبه العرني، قال:سمعت عليا عليه السلام يقول:«لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامة خمس سنين.» (٦)

٢ ـ و روى الطبري، عن زيد بن أرقم، قال:أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب. (٧)

٣ ـ و عنه أيضا:«كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه و آله و صلى معه و صدقه بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب عليه السلام، و هو يومئذ ابن عشر سنين.» (٨)

٤ ـ و روي شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، بسنده عن ليلى الغفارية، قالت:كنت أغز و مع النبي صلى الله عليه و آله فاداوي الجرحى، و أقوم على المرضى، فلما خرج علي عليه السلام إلى البصرة خرجت معه، فلما رأيت عائشة أتيته، فقلت:هل سمعت من رسول الله فضيلة في علي؟قالت :نعم، دخل

علي على رسول الله و هو معي، و عليه جرد قطيفة، فجلس بينن، فقلت:أما وجدت مكانا هو أوسع لك من هذا؟فقال النبي صلى الله عليه و آله:«يا عائشة، دعي لي أخي، فإنه أول الناس إسلام، و آخر الناس بيعهد، و أول الناس لي لقيام يوم القيامة». [٩]

٥ ـ و روى نور الدين الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن أبي ذر و سلمان، قالا:أخذ النبي صلى الله عليه و آله بيد علي عليه السلام فقال:«إن هذا أول من آمن بي، و هذا أول من يصافحني يوم القيامة، و هذا الصديق الأكبر، و هذا فاروق الامة يفرق بين الحق و الباطل، و هذا يعسوب المؤمنين و المال يعسوب الظالمين». [١٠]

٦ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن أنس بن مالك، قال:انزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه و آله يوم الاثنين، و بعث يوم الاثنين، و أسلمت خديجة يوم الاثنين، و أسلم علي يوم الثلاثاء ليس بينهما إلا ليلة. [١١]

٧ ـ روى الحاكم النيشابوري قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أول هذه الامة ورودا علي الحوض أولهم إسلاما علي بن أبي طالب». [١٢]

٨ ـ و عنه أيضا عن أبي رافع، قال:صلى النبي صلى الله عليه و آله أول يوم الاثنين، و صلت خديجة آخر يوم الاثنين، و صلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء من الغد، و صلى مستخفيا قبل أن يصلي مع النبي صلى الله عليه و آله أحد سبع سنين و أشهرا. [١٣]

٩ ـ روى الطبري و ابن الأثير عن جابر، قال:بعث النبي صلى الله عليه و آله يوم الاثنين، و صلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء. [١٤]

١٠ ـ و في (مستدرك الحاكم) ، عن ابن عباس، قال:لعلي عليه السلام أربع خصال ليست لأحد:هو أول عربي و أعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو الذي كان لواؤه معه فيكل زحف، و هو الذي صبر معه يوم المهراس [١٥] ، و هو الذي غسله و أدخله قبره. [١٦]

١١ ـ و قال ابن الصباغ المالكي:رباه النبي صلى الله عليه و آله ـ يعني علي ـ و أزلفه و هداه إلى مكارم الأخلاق و الفقه، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكة مستخفيا و أخرج عليا معه، فيصليان ما شاء الله، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما.

و ذكر في هامشه:و قال محمد بن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول) بعد ذلك:فمكثا يصليان على استخفاء من أبي طالب و سائر عمومتها و قومهم، ثم إن أبا طالب مر عليهما فقال لرسول

الله:ما هذا الذي أراك تدين به؟قال:«هذا دين الله و دين ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم، بعثني الله به نبيا إلى العباد، و أنت ـ يا عم ـ أحق من أبديت له النصيحة و دعوته إلى الهدى، و أحق من أجانبي إليه و أعانني عليه»و قال علي عليه السلام:«قد آمنت برسول الله و اتبعته و صليت معه لله».فقال له:يا بني، أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه . [١٧]

يوم الدار (يوم الانذار)

إن من أحاط علما بسيرة رسول الله صلى الله عليه و آله في بدء الحكومة الإسلامية و تشريع أحكامها و تنظيم شؤونها وفق أوامر الله عز و جل يرى عليا عليه السلام وزير النبي صلى الله عليه و آله في أمره، و ظهيره على عدوه، و وارث حكمه، و صاحب أمره بعده، و من وقف على أقوال النبي و أفعاله من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية، و يكفيك منها ما كان في بدء دعوة النبي إلى الإسلام قبل ظهور الإسلام بمكة حين أنزل الله تعالى عليه: (و أنذر عشيرتك الأقربين) [١٨] فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب، و هم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون، و فيهم أعمامه، أبو طالب و حمزة و العباس و أبو لهب، و في آخر الأمر، قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا بني عبد المطلب، إني و الله ما أعلم شابا في العرب جاء في قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على أمري هذ، على أن يكون أخي و وصيي و خليفتي فيكم؟، فأحجم القوم عنها غير علي عليه السلام ـ و كان أصغرهم ـ إذ قال:«أن ـ يا نبي الله ـ أكون وزيرك عليه»فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله برقبته، و قال:«إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم، فأسمعوا له و أطيعوا»فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب:قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع! [١٩]

و روى أحمد في (فضائل الصحابة) و غيره، عن أسماء بنت عميس، قالت:سمعترسول الله صلى الله عليه و آله يقول:اللهم إني أقول كما قال أخي موسى:اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي أخي عليا اشدد به أزري و أشركه في أمري، كي نسبحك كثير، و نذكرك كثير، إنك كنت بنا بصيرا. [٢٠]

و هذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين، و لا الأنصار رضي الله عنه، و لا أحد من أهل الإسلام، و ليس لغيره عدل لها من الفضل، و لا مقارب على حال، و في الخبر بها ما يفيد أن به تمكن النبي صلى الله عليه و آله من تبليغ الرسالة و إظهار الدعوة و الصدع بالإسلام، و لولاه لم تثبت الملة و لا استقرت الشريعة، و لا ظهرت الدعوة،

فهو عليه السلام ناصر الإسلام و وزيره الداعي إليه من قبل الله عز و جل، و بضمانه لنبي الهدى النصرة، و في ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضل، و لا تعادله الفضائل كلها محلا و قدرا.

تعليقات:

١.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٦، كفاية الطالب، ص ٢.

٢.الاصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٧.

٣.السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٢٦٢.

٤.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٨٤، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٧، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢ و غيره .

٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٧، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠، ص ٣٠٠ صبحي الصالح.

٦.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣١.

٧.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٥.

٨.نفس المصدر.

٩.الاصابة، ج ٤، ص ٣٨٩، طبع الدار المصرية.

١٠.مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٢.

١١.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٤١، ح ٧٤.

١٢.المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١٣٦.

١٣.ترجمه الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٣٩، ح ٧٢.

١٤.تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٥، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٨٣.

١٥.يوم المهراس:يوم احد حيث انهزم الناس غير علي عليه السلام.

١٦.المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١١.

١٧.الفصول المهمة ص ٣٣.

١٨.الشعراء، ٢١٤.

١٩.معالم التنزيل للبغوي، ج ٤، ص ٢٧٨، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٢، الكامل في التاريخ ج ١، ص ٢٨٦، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١، كنزل العمال، ج ١٣، ص ١٣١/ ٣٦٤١٩.

٢٠.فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٧٨، ح ١١٥٨، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١١٨، ذخائر العقبى، ص ٦٣، تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ٥٦٦.

الدر المنثور، ج ٥، ص ٥٦٦.

علي عليه السلام و المسابقة إلى الهجرة

كان علي عليه السلام أسبق إلى الهجرة من سائر الصحابة و أكثرهم هجرة، فإنه هاجر مع رسول الله صلى الله عليه و آله مرارا في صدر الإسلام عند ما آمن قليل من المسلمين في مكة، و نشير إلى هجراته إجمالا:

الاولى:الهجرة إلى الشعب - أعني شعب أبي طالب - و كان المهاجرون إليه من بني هاشم، و علي عليه السلام منهم، و نزل في شأنهم: (السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار) .[1]

الثانية:الهجرة إلى الطائف بعد وفاة أبيه أبي طالب و خديجة الكبرى و قبل الهجرة إلى المدينة، و كان المهاجرون إليها رسول الله صلى الله عليه و آله و عليا عليه السلام و زيد، و أقاموا فيها عشرة أيام، و قيل:أقاموا شهر، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة.

الثالثة:الهجرة إلى المدينة و هي أهمه، و صارت مبدأ تاريخ الإسلام، و منشأ قدرته، و تشكيل حكومته الحقة، فإن عليا عليه السلام، و إن لم يكن في جوار رسول الله صلى الله عليه و آله لحظة الهجرة و لكنه نام في فراشه ليلة المبيت و نزلت في شانه: (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤف بالعباد) فقد روى الجويني و الخوارزمي و الحاكم و الحافظ الحسكاني بالاسناد عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين عليه السلام، أنه قال:«أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله هو علي بن أبي طالب عليه السلام»الحديث.[2] و هاجر عليه السلام ماشيا مع الفواطم بعد أن أدى ديون رسول الله صلى الله عليه و آله و أماناته و عمل بعهوده، و توقف رسول الله صلى الله عليه و آله في مسجد قبا حتى لحق به علي عليه السلام، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه و آله المدينة مع علي عليه السلام.

فهذه هجرة علي عليه السلام، كان أكثر هجرة من غيره و أسبق إليه، و كانت هجرته حقا هجرة إلى الله و رسوله، و كانت أسمي هجرة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه و آله، و اختص علي عليه السلام بهذه المنقبة العالية، و كان هو عليه السلام أحسن و أفضل مصاديق آيات الهجرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: (إن الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله و الله غفور رحيم) [3] ، و قوله: (و الذين هاجروا و اخرجوا من ديارهم و اوذوا في سبيلي...و لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله و الله عنده حسن الثواب) [4] ، و قوله: (و

الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة و لأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) [٥].

هجرته عليه السلام إلى المدينة

قال ابن هشام:و أقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال و أيامه، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه و آله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه و آله. [٦]

و قال ابن الأثير:و أما علي عليه السلام فانه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه و آله، هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل و يمكن النهار، حتي قدم المدينة، و قد تفطرت قدماه، فقال النبي صلى الله عليه و آله:ادعو لي عليا.قيل:لا يقدر أن يمشي.فأتاه النبي صلى الله عليه و آله واعتنقه، و بكى رحمة لما بقدميه من الورم، و تفل في يديه و أمرهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتي قتل. [٧]

و لا ريب ان نومه عليه السلام على فراش رسول لحفظ الرسول صلى الله عليه و آله، و وصية الرسول صلى الله عليه و آله له بتسليم الأمانات و الودائع، و تنفيذ عهوده، ثم التحاقه به صلى الله عليه و آله في المدينة بصحبة الفواطم و عيالات من بني هاشم، أولى من هجرة أبي بكر معه قطع، و يدل على ذلك ما نزل في القرآن الكريم في هجرته عليه السلام حيث بقوله تعالى في شأنه عليه السلام: (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) [٨] ، و يقول في أبي بكر حكاية عن قول النبي صلى الله عليه و آله: (لا تحزن إن الله معنا) [٩] ، هذا و النبي صلى الله عليه و آله معه يقوي قلبه، و لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله مع علي عليه السلام، و هو لم يصبه أذى، و علي عليه السلام يرمي بالحجارة، و هو مختف في الغار، و علي عليه السلام ظاهر للكفار، و إنما أباته على فراشه ثقة بنجدته، فكانوا محدقين به إلى طلوع الفجر ليقتلوه، فيذهب دمه بين مجموعة من القبائل، فهذا المبيت أفضل بمراتب من هجرة أبي بكر الذي كان في معية رسول الله صلى الله عليه و آله.

روى أحمد بن حنبل و الجويني و الخوارزمي، بالاسناد عن عمرو بن ميمون، قال:إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا:يا أبا العباس، إما أن تقوم معن، و إما أن تخلو بنا من بين هؤلاء.

قال:فقال ابن عباس:بل أنا أقوم معكم، قال:و هو يومئذ صحيح قبل أن يعمي، فابتدأوا فتحدثو، فلا يدرى ما قالو، قال:فجاء ابن عباس و هو ينفض ثوبه و يقول:أف و تف، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه و آله يوم خيبر:«لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبد، يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله»فاستشرف لها من استشرف، فقال صلى الله عليه و آله:أين علي؟فقالوا:إنه في الرحا يطحن.قال صلى الله عليه و آله:و ما كان أحدكم ليطحن!قال:فجاء و هو أرمد لا يكاد يبصر، قال:فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاث، فأعطاها إياه، فجاء علي عليه السلام بصفية بنت حيي...إلى أن قال:قال ابن عباس:و كان المشركون يرمون النبي صلى الله عليه و آله، فجاء أبو بكر و علي نائم، و أبو بكر يحسب أنه رسول الله صلى الله عليه و آله، قال :فقال:يا نبي الله، فقال له علي:إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه.قال:فانطلق أبو بكر، و دخل معه الغار.

قال:و جعل علي يرمي بالحجارة كما كان يرمي رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو يتضور، [١٠] و قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا:إنك لئيم! [١١] و كان صاحبك لا يتضور و نحن نرميه، و أنت تتضور، و قد استنكرنا ذلك. [١٢]

و قال علي عليه السلام عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه و آله:

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصا ***و من طاف بالبيت العتيق و بالحجر

رسول إله الخلق إذ مكروا به ***فنجاه ذو الطول الإله من المكر

و بات رسول الله في الغار آمنا ***موقي و في حفظ الإله و في ستر

و بت أراعيهم و ما يثبتونني ***و قد وطنت نفسي على القتل و الأسر [١٣]

مبيته في فراش النبي صلى الله عليه و آله و بدء الهجرة

نام علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه و آله في الليلة التي هاجر بها النبي صلى الله عليه و آله من مكة إلى المدينة، و فداه بنفسه، حفاظا على رسول الله صلى الله عليه و آله، حتى نزلت في شأنه ـ على ما رواه المفسرون و أصحاب الرأى و الحديث من العامة و الخاصة ـ هذه الآية: (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله رؤف بالعباد) . [١٤]

قال أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه:أجمعت قريش على قتل رسول الله، و قالوا:ليس له اليوم أحد ينصره، و قد مات أبو طالب، فأجمعوا جميعا على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد [١٥] ، فيجتمعوا عليه، فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قريش.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله أنهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيه، خرج رسول الله صلى الله عليه و آله لما اختلط الظلام و معه أبو بكر، و إن الله عز و جل أوحى في تلك الليلة إلى جبريل و ميكائيل:أني قضيت على أحدكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه؟فاختار الحياة كلاهم، فأوحى الله إليهما:هلا كنتما كعلي بن أبي طالب، آخيت بينه و بين محمد، و جعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار علي الموت، و آثر محمدا بالبقاء، و قام في مضجعه، اهبطا فاحفظاه من عدوه.

فهبط جبريل و مكائيل، فقعد أحدهما عند رأسه، و الآخر عند رجليه، يحرسانه من عدوه، و يصرفان عنه الحجارة، و جبريل يقول:بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات!و خلف عليا عليه السلام على فراشه لرد الودائع التي كانت عنده، و صار إلى الغار، فكمن فيه، و أتت قريش فراشه، فوجدوا عليا عليه السلام، فقالوا:أين ابن عمك؟قال:قلتم له:اخرج عن، فخرج عنكم.

فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه، و أعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار، و قد عششت عليه حمامة، فقالوا:ما في هذا الغار أحد، و انصرفوا.و خرج رسول الله صلى الله عليه و آله متوجها إلى المدينة، و مر بأم معبد الخزاعية، فنزل عندها.ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة، و كان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه. (١٦)

و قال البلاذري:و لما هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى المدينة، أمر عليا بالمقام بعده بمكة حتى أدى و دائع كانت عند رسول الله صلى الله عليه و آله للناس، فأقام ثلاث، ثم لحق به فنزل معه على كلثوم بن الهدم الأنصارى، فأخى بينه و بين نفسه، الحديث. (١٧)

و قال ابن الأثير:لما فرغ علي عليه السلام:عن الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه و آله هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل، و يكمن النهار حتى قدم المدينة، و قد تفطرت قدماه، فقال النبي صلى الله عليه و آله:«ادعوا لي عليا»قيل:لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلى الله عليه و آله و اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم، و تفل في يديه و أمرهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى قتل. (١٨)

دوره عليه السلام عند وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

إن تاريخ ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و وفاته من المواضيع التي لا يمكن الإجابة عنها بشكل صريح و قاطع، إذ إن هناك اختلافا بين علماء الفريقين في التحديد:فالمشهور بين علماء

الشيعة و المعمول به عندهم أنه ولد في (١٧) ربيع الأول من عام الفيل، و توفي في (٢٨) صفر للسنة الحادية عشرة من الهجرة، و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

و المشهور بين علماء أهل السنة أن ولادته في (١٢) ربيع الأول من عام الفيل و وفاته في (١٢) ربيع الأول، و قيل:في الثاني منه، و كان عمره الشريف (٦٣) سنة.

و لقد تربي علي عليه السلام في حجر نبي الإسلام صلى الله عليه و آله منذ ولادته، و كان أول من آمن به من الذكور، و أول من صلى جماعة خلف رسول الله صلى الله عليه و آله مع خديجة رضي الله عنه.

لقد كان علي عليه السلام ناصرا و معينا لرسول الله صلى الله عليه و آله في جميع المصاعب التي اعترضته، فقد بات على فراش رسول الله ليلة المبيت، ليبقى النبي صلى الله عليه و آله سالم، و ينجو من القتل، و كان ينصر الإسلام و المسلمين في جميع الغزوات، و كان فيه ـ إلا غزوة تبوك ـ جنبا إلى جنب مع رسول الله صلى الله عليه و آله و لم يبتعد عن الرسول في أمر قط، بل كان ملازما له ملازمة الظل إلى آخر لحظات حياته المباركة، حيث قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و رأسه في حجر علي، و قد علمه في تلك اللحظات علوما كثيرة، و لم يكن أحد يدرك عظمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سره إلا علي عليه السلام.

علي عليه السلام هو الذي أدى أمانات رسول الله و هو وصيه، و بأمر النبي صلى الله عليه و آله تولي علي تغسيل النبي و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه، فلا شك أن الحالات التيعاشها النبي صلى الله عليه و آله مع علي آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدى القرب و الاتصال بين رسول الله و علي، و لقد أو كل إليه هذه الأمور لعلمه و ثقته بأن عليا عليه السلام سينفذ أوامره، و لا يحيد عنها قيد أنمله، و لم يكن يطمئن لغيره هذا الاطمئنان، فلا شك و فيها دليل قاطع و برهان ساطع على خلافة علي للنبي صلى الله عليه و آله، بالرغم من أن النبي كان يصر على تبيان خلافه علي، و أنه الوصي من بعده حتى في آخر لحظات حياته، مضافا إلى التأكيدات السابقة، إلا أن هذا الإيداع و التوكيل بحد ذاته، و من دون الصراحة في اللفظ، يدل على أن النبي صلى الله عليه و آله كان يعتبر عليا وصيه و خليفته.

و لقد أشار إلى هذه المنقبة الجميلة المختصة به المفيدة لمزيد اختصاصه برسول الله صلى الله عليه و آله و قربه منه في خطبة له:«و لقد قبض رسول الله و إن رأسه لعلى صدري، و لقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي، و لقد وليت غسله صلى الله عليه و آله و الملائكة أعواني».

ثم استدل بذلك على أنه أحق و أولى بالخلافة، و القيام مقامه، و أنه على الحق و غيره على الباطل، حيث قال:«فو الذي لا إله إلا هو، إني لعلى جادة الحق، و إنهم لعلى مزلة الباطل، أقول ما تسمعون و أستغفر الله لي و لكم». (١٩)

و نذكر فيما يلي نزرا من الأخبار:

١ ـ قال ابن كثير الدمشقي، روى بعض أهل السنن عن علي بن أبي طالب عليه السلام:«أوصاني النبي صلى الله عليه و آله أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه».

قال علي عليه السلام:«فكان العباس و اسامة يناولاني الماء من وراء الستر». (٢٠)

٢ ـ و روى العلامة علي المتقي الهندي، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال:«أوصى النبي صلى الله عليه و آله عليا أن يغسله، فقال علي عليه السلام:يا رسول الله، أخشى أن لا أطيق ذلك.قال:إنك ستعان.

قال علي عليه السلام:فو الله ما أردت أن اقلب من رسول الله صلى الله عليه و آله عضوا إلا قلب». (٢١)

٣ ـ و روى الحافظ القندوزي الحنفي، عن جماعة من الصحابة، قالوا:إن أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد غسل رسول الله صلى الله عليه و آله استدعى الفضل بن عباس، فأعانه على الغسل، فلما فرغ صلى عليه وحده، فقال:«إن رسول الله صلى الله عليه و آله إمامنا حيا و ميت، فيدخلون فوجا فوج، فيصلون بغير إمام، و ينصرفون».

و قال:«إني أدفنه في حجرته التي قبض فيها»«فلما فرغوا من الصلاة عليه، قال علي عليه السلام لبريد بن سهل، «احفر لحد، مثل أهل المدينة»فحفر لحدا ثم دخل فيه علي و العباس و الفضل بن العباس، فوضعه علي عليه السلام بيديه، و كشف وجهه الشريف المبارك المقدس المنور، و وضع اللبن، و أهال التراب، (صلوات الله و تحياته و بركاته و سلامه عليه و على أهل بيته دائمة بدوام الله تعالى) ثم رجعت فاطمة إلى بيته، و اجتمعت إليها النساء، فقالت فاطمة عليها السلام:«انقطع عنا خبر السماء»

ثم قالت ترثيه:

«اغبر آفاق البلاد و كورت ***شمس النهار و أظلم العصران

و الأرض من بعد النبي خريبة ***أسفا [٢٢] عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربها ***و ليبكه مصر و كل يمان» [٢٣]

تعليقات:

١.التوبة، ١٠٠.

٢.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٢٥٦، مناقب الخوارزمي، ص ٧٤، المستدرك، ج ٣، ص ٤، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠١، ح ١٤٠.

٣.البقرة، ٢١٨.

٤.آل عمران، ١٩٥.

٥.النحل، ٤١.

٦.السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٨.

٧.الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠٦.

٨.البقرة، ٢٠٧.

٩.التوبة، ٤٠.

١٠.أي يتلوى و يتوجع.

١١.اللئيم:الشبيه، و خلاف الكريم، و لعل المراد هنا الأول.

١٢.مسند أحمد، ج ١، ص ٣٣٠، فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٥٥/٣٢٧، المناقب للخوارزمي، ص ٧٣.

١٣.ديوان علي عليه السلام، ص ٧١، الفصول المهمة، ص ٤٨، تذكرة الخواص ص ٣٥، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠١، ح ١٤٠، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٢٥٦، مناقب الخوارزمي، ص ٧٤.

١٤.البقرة، ٢٠٧.

١٥.أي قوي ضخم.

١٦.تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٩، و راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٥، ص ١٧٤، السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٢٧، الطبقات لابن سعد، ج ١، ص ٢٢٨، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٩٢، البداية و النهاية لابن الكثير، ج ٣، ص ١٧٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ١، ص ٥١٦، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٠٠، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٤٥، تذكرة الخواص لابن الجوزي، ص ٤١.

١٧.ترجمه أمير المؤمنين من أنساب الأشراف، ص ٧٥.

١٨.الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥١٩.

١٩.نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

٢٠.البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٢٩، و روى نحوه كثير من علماء أهل السنة، منهم:العلامة الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٣٤٧، و الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٦، و السيوطي في الخصائص، ج ٢، ص ٢٧٦، و العلامة الهندي في كنز العمال، ج ٧، ص ٢٥٠.

٢١.كنز العمال، ج ٧، ص ٢٤٩.

٢٢.في الينابيع:اثن، تصحيف صحيحه ما أثبتناه من نور الأبصار، ص ٥٣.

٢٣.ينابيع المودة، ص ٢٦٥.

٢٣.ينابيع المودة، ص ٢٦٥.

علي خليفة رسول الله و وصيه

يعتقد إخواننا أهل السنة أن رسول الله صلى الله عليه و آله لم يوص و لم يستخلف، بل فوض الأمر إلى الناس أنفسهم، و لذا فإن الناس اجتمعوا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله في السقيفة، و بعد تنازع المهاجرين و الأنصار في أمر الخلافة و محاجتهم ابتدر خمسة منهم، و هم:عمر بن الخطاب، و أبو عبيدة بن الجراح، و اسيد بن حضير، و بشير بن سعد، و سالم مولى أبي حذيفة، فبايعوا أبا بكر فانعقدت له الإمامة بذلك، ثم بايعه آخرون و هم يسمون هذه البيعة بالشورى.

و في صحيح مسلم، عن ابن عمر:أن أباه قال قبل وفاته:إني لئن لا استخلف فإن رسول الله لم يستخلف، و إن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف. [1]

و لكن ـ نحن الإمامية ـ نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه و آله استخلف عليا عليه السلام، و جعله وصيه و وزيره و وارثه و حجة الله على خلقه بعده، و هذا التنصيب و الجعل لم يكن مرة واحدة، بل كان مرات كثيرة من بدء الرسالة و على مدى دعوته إلى حين وفاته صلى الله عليه و آله، و الروايات في هذا الباب مستفيضة متواترة، و هذه الأخبار مؤيدة بقرائن قطعية، و معضدة بشواهد كثيرة مقطوعة الصدور عن النبي صلى الله عليه و آله.

و مما يؤيد هذه الأخبار أن بدء دعوة الرسول صلى الله عليه و آله كان مقرونا بتعيين الوصي و الخليفة له، و هو ما حدث في يوم الدار حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله فلم يجبه أحد منهم مع تكرار الدعوة عليهم إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه أجابه في كل مرة، فأمره رسول الله صلى الله عليه و آله عليهم، و قال:«هذا وليي و وصيي و خليفتي فيكم فأطيعوه».

فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب:قد أمرك أن تطيع ابنك. [2]

و يؤيد هذه الأخبار أيضا ما ورد في قصة الغدير، و ما بها من الشواهد الكثيرة على أن الله تبارك و تعالى قد أعلمه بدنو أجله صلى الله عليه و آله، و أنه لا بد له من أن يجدد على امته عهد وصيه و خليفته، و أنزل تعالى عليه: (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس) . [3] و قد امتثل رسول الله صلى الله عليه و آله ما أمره الله تعالى فنصب عليا عليه السلام خليفة له و وصيا و وارث، و قد ذكرنا هذا الحديث مع ما معه من البحث المستوفي فلا نكرره هنا لكفاية البحث هناك فلاحظ. [4]

و مما يؤيد هذه الأخبار حديث الطير المشوي، و قول النبي صلى الله عليه و آله في غزوة خيبر، و حديث المنزلة، و آية الولاية و غير ذلك مما ذكرناه أو سنذكره في فصول مستقلة، فراجع كتابن، ينطق بالحق على خلافته عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و آله و وصايته، و أنه وارثه و حجة الله على خلقه.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح، عن زيد بن أرقم، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«ألا أدلكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا؟إن وليكم و إمامكم علي بن أبي طالب عليه السلام فناصحوه و صدقوه، جبرئيل أخبرني بذلك».

قال ابن أبي الحديد عقيب هذا الحديث:فان قلت:هذا نص صريح في الإمامة، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قلت:يجوز أن يريد أنه عليه السلام إمامهم في الفتاوى و الأحكام الشرعية لا في الخلافة، انتهى كلامه. (٥)

أقول:و تأويله هذا يعني أن الإفتاء و النظر في الأحكام الشرعية مختص بالامام، و أن القيادة السياسية مختصة بالخليفة، و هو أمر يرفضه العقل، و تنكره السنة النبوية المباركة، و الواقع التاريخي، لأن الإمام كالرسول يمثل القيادة الدينية و السياسية مع، لا المرجع الديني فقط، و لا فصل في هذه المسألة مطلق، فقوله:إنعليا عليه السلام هو الإمام في الفتاوى فقط، واضح البطلان، و ينافي قوله صلى الله عليه و آله مخاطبا لعلي عليه السلام:«لو لا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكا في النبوة، فإن لا تكن نبيا فإنك وصي نبي و وارثه، بل أنت سيد الأوصياء و إمام الأتقياء» (٦) فهذا التعبير يدل على أن عليا عليه السلام مختص بوراثة النبي صلى الله عليه و آله دون سواه باعتباره وصيا و إماما و مرجعا في الدين و الدني، و ما يترتب على ذلك من النظر في الأحكام، و سياسة الأمة و قيادته، و كل مناصب النبوة، إلا أنه عليه السلام ليس نبيا و لا يوحى إليه، كما هو واضح من النص.

في نصوصه صلى الله عليه و آله على استخلاف علي و وصايته

تقدم مزيد من الأحاديث و الأخبار الدالة على كونه عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله و وصيه، يوم الدار و حديث الغدير و حديث المنزلة و غيره، و فيما يلي نذكر بعضا آخر منها:

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:كنت جالسا مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه و آله إذ انقض كوكب، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي».

فقام فتية من بني هاشم، فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي عليه السلام، قالوا:يا رسول الله، قد غويت في حب علي!فأنزل الله تعالى: (و النجم إذا هوى) إلى قوله: (و هو بالافق الأعلى) . [٧]

المناجاة

٢ ـ و أخرج جمع من العامة منهم الخوارزمي و الجويني و ابن مردويه، عن علي‌بن محمد بن المنكدر، عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه و آله ـ و كانت من ألطف نسائه و أشدهن له حب ـ قال:و كان لها مولى أحضنها و رباه، و كان لا يصلي صلاة إلا سب عليا عليه السلام و شتمه، فقالت له :يا أبه ما حملك على سب علي؟

قال:لأنه قتل عثمان و شرك في دمه!!

قالت له:لو لا أنك مولاي و ربيتني، و أنك عندي بمنزلة والدي ما حدثتك بسر رسول الله صلى الله عليه و آله، و لكن اجلس حتى احدثك عن علي و ما رأيته في حقه.

قالت:قد أقبل رسول الله صلى الله عليه و آله ـ و كان يومي، و إنما كان نصيبي في تسعة أيام يوما واحد ـ فدخل و هو مخلل أصابعه في أصابع علي، واضعا يده عليه، فقال:«يا ام سلمة، اخرجي عن البيت، و أخليه لنا»فخرجت، فأقبلا يتناجيان و أنا أسمع الكلام، و لا أدري ما يقولان حتى إذا قلت:قد انتصف النهار، فأقبلت فقلت:السلام عليك، يا رسول الله، ألج؟فقال النبي صلى الله عليه و آله:«لا تلجي و ارجعي مكانك».

ثم تناجيا طويلا حتى قام عمود الظهر، فقلت:ذهب يومي و شغله علي، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، فقلت:السلام عليكم، ألج؟

فقال النبي صلى الله عليه و آله:«لا تلجي».

فرجعت فجلست حتى إذا قلت:قد زالت الشمس، الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، و لم أر قط يوما أطول منه، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، و قلت:السلام عليكم ألج؟

فقال النبي صلى الله عليه و آله:«نعم».

فدخلت و علي واضع يده على ركبة رسول الله صلى الله عليه و آله، قد أدنى فاه من اذن النبي صلى الله عليه و آله، و فم النبي على اذن علي يتساران، و علي يقول:أفأمضي و أفعل؟و النبي صلى الله عليه و آله يقول:نعم، فدخلت و علي معرض وجهه حتى دخلت فخرج.

فأخذني النبي صلى الله عليه و آله في حجره فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف و الاعتذار، ثم قال:«يا ام سلمة لا تلوميني، فإن جبرئيل أتاني من الله بما هو كائن بعدي، و أمرني أن اوصي به عليا من بعدي، و كنت بين جبرئيل و بين علي، جبرئيل عن يميني، و علي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر عليا بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة فأعذريني و لا تلوميني، إن الله عز و جل اختار من كل امة نبي، و لكل نبي وصي، فأنا نبي هذه الامة، و علي وصيي في عتري و أهل بيتي و امتي من بعدي». [٨]

٣ ـ و في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي و غيره:عن ابن بريدة، عن أبيه، قال:قال النبي صلى الله عليه و آله:«لكل نبي وصي و وارث، و إن عليا عليه السلام وصيي و وارثي». [٩]

٤ ـ أخرج أحمد بن حنبل في الفضائل، باسناده عن أنس بن مالك.قال:قلنا لسلمان:سل النبي صلى الله عليه و آله من وصيه؟فقال له سلمان:يا رسول الله، من وصيك؟فقال:«يا سلمان، من كان وصي موسى؟»فقال:يوشع بن نون.قال:فقال:«فان وصيي و وارثي يقضي ديني و ينجز وعدي علي بن أبي طالب». [١٠]

٥ ـ و أخرج الجويني في فرائده، عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أنا خاتم الأنبياء، و أنت يا علي خاتم الأوصياء إلى يوم الدين». [١١]

رد الشمس لأجله عليه السلام

مما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار، و رواه علماء السير و الآثار، و نظمت فيه الشعراء الأشعار، رجوع الشمس له مرتين:في حياة النبي صلى الله عليه و آله مرة، و بعد وفاته اخرى، و ذلك في بابل عند خلافته عليه السلام، و فيما يلي بعض الأخبار في هذا الخصوص:

١ ـ كان من حديث رجوعها عليه في المرة الاولى، ما روته أسماء بنت عميس، و ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه و آله، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و أبو سعيد الخدري، و جماعة من الصحابة :أن النبي صلى الله عليه و آله كان ذات يوم في منزله و علي عليه السلام بين يديه، إذ

جاءه جبرئيل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت الشمس، فاضطر أمير المؤمنين لذلك إلى صلاة العصر، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام جالسا يومىء بركوعه و سجوده إيماء، فلما أفاق صلى الله عليه و آله من غشيته، قال لأمير المؤمنين عليه السلام:«أفاتتك صلاة العصر؟».

قال:«لم أستطع أن اصليها قائما لمكانك يا رسول الله، و الحال التي كنت عليها في استماع الوحي».

فقال له صلى الله عليه و آله:«أدع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائما في وقتها كما فاتتك، فان الله تعالى يجيبك لطاعتك لله و لرسوله».

فسأل أمير المؤمنين الله في رد الشمس:فردت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر في وقته، ثم غربت.

فقالت أسماء:أما و الله، لقد سمعنا لها عند غروبها صريرا كصرير المنشار فيالخشب.[١٢]

٢ ـ و في المناقب لابن المغازلي:عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس، قالت:كان رسول الله صلى الله عليه و آله يوحى إليه و رأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«صليت يا علي»؟«قال:«لا».

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«اللهم إن عليا كان على طاعتك و طاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.[١٣]

٣ ـ و روى محب الدين الطبري في الرياض النضرة، عن أسماء بنت عميس، و قالت:كان رأس رسول الله صلى الله عليه و آله في حجر علي عليه السلام، فكره أن يتحرك حتى غابت الشمس، فلم يصل العصر، ففزع النبي صلى الله عليه و آله و ذكر له علي عليه السلام أنه لم يصل العصر، فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله الله عز و جل أن يرد الشمس عليه، فأقبلت الشمس لها خوار حتى ارتفعت قدر ما كانت في وقت العصر، قال:فصلى ثم رجعت.[١٤]

٤ ـ و روى محب الدين الطبري أيض، عن الحسن بن علي عليهما السلام، قال:«كان رأس رسول الله صلى الله عليه و آله في حجر علي عليه السلام، و هو يوحى إليه، فلما سري عنه، قال:يا علي، صليت العصر؟قال:ل، قال:اللهم إنك تعلم إن كان في حاجتك و حاجة نبيك فرد عليه الشمس، فردها عليه فصلى، و غابت الشمس».[١٥]

٥ ـ و روى السيوطي في الخصائص الكبرى، عن أبي هريرة، قال:نام رسول الله صلى الله عليه و آله و رأسه في حجر علي عليه السلام و لم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس، فلما قام النبي صلى الله عليه و آله دعا له فردت عليه الشمس حتى صلى، ثم غابت ثانية. [١٦]

في توضيح الحديث و سنده

روى الحديث عن أسماء بنت عميس ثلاثة و ثلاثون من أعاظم محدثي العامة في كتبهم و كثير من محدثي الإمامية، و روي أيضا عن الحسن بن علي، و الحسين بن علي، و جعفر الصادق عليهم السلام، و جمع من الصحابة مثل أبي رافع، و أبي سعيد الخدري، و أبي هريرة، و ام سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله، و جابر بن عبد الله الأنصاري و غيرهم، و إن كانت مضامين الأحاديث مختلفة.

و يؤيد صحة الحديث أنه قد أفرده جماعة من الحفاظ بالتأليف، منهم ابن مردويه، و الحافظ الحسكاني، و أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، و أبو الحسن شاذان الفضلي، و صنف السيوطي في هذا الحديث رسالة مستقلة سماها:كشف اللبس عن حديث رد الشمس، و قال:إنه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي، أو رد طرقه بأسانيد كثيرة، و صححه بما لا مزيد عليه، و نازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

و مما يؤيد أيضا صحته، ما قاله ابن عساكر الشافعي:آية إلهية و معجزة نبوية و كرامة علوية في رد الشمس بعد غروبها لعلي عليه السلام، كما حبست ليوشع بن نون عند دنو افولها. [١٧]

تعليقات:

١.صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٥، كتاب الإمارة، ح ١٢.

٢.تقدم الحديث مع تخريجاته في هذا الفصل في«يوم الدار».

٣.المائدة، ٦٧.

٤.تقدم في الفصل الثالث في«حديث الغدير».

٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٩٨.

٦.المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢١٠.

٧.المناقب لابن المغازلي، ص ٣١، ح ٣٥٣، الآية من النجم، ١ الى ٤، روى نحوه هذا الحديث أيض، ص ٢٦٦، ح ٣١٣.

٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٧٠، ح ٢١١، مناقب الخوارزمي، ص ٨٩.

٩.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥، ح ١٠٢٢، مناقب ابن المغازلي، ص ٢٠٠، ح ٢٣٨، مناقب الخوارزمي، ص ٤٢.

١٠.فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٦١، ح ١٠٥٢.

١١.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٧، ح ١١٠.

١٢.للتحقق من تواتر الحديث، راجع طرقه في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣ الى ٣٠٥، كفاية الطالب، ص ٣٨١ الى ٣٨٨، البداية و النهاية، ج ٦، ص ٨٠، الصواعق المحرقة، ص ١٢٨، المناقب لابن المغازلي، ص ٩٦، ح ١٤٠، ص ٩٨، ح ١٤١، المناقب للخوارزمي، ص ٢١٧، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٤٠، مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٩٧، نور الأبصار، ص ٣٣.

١٣.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٩٦، ح ١٤٠، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣، ح ٨٠٧، مع اختلاف يسير في لفظه.

١٤.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٤١.

١٥.الرياض النضرة، ج ٤، ص ١٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦.الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ١٣٧.

١٧.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣.

١٧.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣.

علم علي عليه السلام

كان علي عليه السلام عالما واسع العلم، و ينبوعا للحكمة و المعرفة، و يكفينا دلالة على سعة علم علي عليه السلام أن نلقي نظرة على قطرة من محيط علمه المترامي، أودعها في نهج البلاغة، فنهل منها كل عالم، و ارتوى منها كل طالب علم، و بهذه النظرة سوف نقف على مدى سعة علمه و عمق فكره.

إن من مفاخر علي عليه السلام أنه كان تلميذ مدرسة الوحي و الرسالة، و تربى في أحضان النبي صلى الله عليه و آله، فغذى النبي ـ و هو محيط العلوم و الفضائل ـ عليا من علمه، و أفاض على روحه و قلبه من حكمته حتى قال:«أنا مدينة العلم و علي بابها»و قال:«أنا مدينة الحكمة و علي بابها». [١]

و في لحظات عمره الأخيرة، أودع عليا عليه السلام أسرارا عظيمة، قال عنها علي عليه السلام :«حدثني ألف باب يفتح كل باب ألف باب». [٢]

لقد ترامت أطراف بحر علم علي عليه السلام، و تلاطمت أمواجه، و أترع روحه بعلوم رسول الله صلى الله عليه و آله الفياضة، و اطلع على الأسرار العلمية، حتى قال:«سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض» [٣] .

و لم يكن علي عليه السلام عالما بالعلوم الإسلامية و حسب، بل كان عارفا بعلوم الأديان السابقة و أحكامه، حتى إنه كان قادرا على أن يحكم بين أهل كل ملة بأحكامهم، فكان يقول عليه السلام:«فإن عندي علم الأولين و الأخرين، أما و الله لو ثنيتلي الوسادة، ثم جلست عليه، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينادي كل كتاب بأن عليا حكم بحكم الله في». [٤]

و قد بحث علي و تكلم على مدى حياته في أسرار القرآن و العلوم الإسلامية المختلفة و المسائل الفلسفية و الكلامية المعقدة، و أجاب الإجابة الصحيحة على أسئلة العلماء المعقدة الصعبة، و لم يكن غيره يقوى على هذه الإجابة، و لو لاه لبقيت تلك المسائل ألغازا لا تحل و أمورا مبهمة غامضة يحير فيها أبناء البشر طوال تاريخهم.

و جملة القول فإن عليا كان كتاب الله المتحرك و القرآن الناطق و القلب المليء بينابيع العلوم القرآنية و علوم النبي صلى الله عليه و آله، و المفيض على العلماء و طلاب العلم و مسائل الإسلام و أحكامه بجوانبها المتعددة، و القلم و البيان عاجزان عن ذكر أسراره و علومه.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي:ما أقول في رجل أقر له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكن جحد مناقبه و لا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو امية على سلطان الإسلام في شرق الأرض و غربه، و اجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، و التحريض عليه و وضع المعايب و المثالب له، و لعنوه على جميع المنابر، و توعدوا مادحيه، بل حبسوهم و قتلوهم، و منعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكر، حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة و سمو، و كان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، و كلما كتم تضوع نشره، و كالشمس لا تستر بالراح، و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

ثم قال:و ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، و تنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو عليه السلام رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عذره، و سابق مضمارها و مجلي حلبته، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

ثم إن ابن أبي الحديد ذكر أقسام العلوم، و ذكر في كل قسم منها أن عليا عليه السلام رئيسه، و أن ذلك العلم ينتهي إليه، فقال ما ملخصه:

الف ـ و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، و من كلامه عليه السلام اقتبس و عنه نقل و إليه انتهى و منه ابتد، فإن المعتزلة تلامذته و أصحابه عليه السلام، و الأشعرية ينتهون بالتالي إلى استاذ المعتزلة و معلمهم و هو علي بن أبي طالب عليه السلام، و أما الإمامية و الزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ب ـ و من العلوم:علم الفقه، و علي عليه السلام أصله و أساسه، و كل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، و مستفيد من فقهه، فرجع إليه الفقهاء الأربعة، و استفادوا من علمه عليه السلام، و أما رجوع فقهاء الشيعة كلهم إليه عليه السلام ظاهر، و أما فقهاء الصحابة فعمر بن الخطاب و ابن عباس، أخذا فقههما عن علي عليه السلام.

أما ابن عباس فظاهر، و أما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه و على غيره من الصحابة، و قوله غير مرة:«لو لا علي لهلك عمر»، و قوله أيضا:«لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»، فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه عليه السلام.

و قد روت العامة و الخاصة قوله صلى الله عليه و آله:«أقضاكم علي»و القضاء هو الفقه، فهو إذن أفقههم.

ج - و من العلوم:علم تفسير القرآن، و عنه اخذ، و منه فرع، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه عليه السلام و عن عبد الله بن عباس، و قد علم الناس حال عبد الله بن عباس في ملازمته له عليه السلام و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه وخريجه، و قيل له:أين علمك من علم ابن عمك؟.فقال ابن عباس:كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

د - و من العلوم علم الطريقة و الحقيقة، و قد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون و عنده يقفون، و قد صرح بذلك الشبلي و الجنيد و سري [٥] و أبو يزيد البسطامي و...

ه - و من العلوم:علم النحو و العربية، و قد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه و أنشأه، و أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه و أصوله، من جملتها:الكلام كله ثلاثة أشياء:أسم، و فعل، و حرف، و من جملتها:تقسيم الكلمة إلى معرفة و نكرة، و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع و النصب و الجر و الجزم، و هذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، و لا تنهض بهذا الاستنباط. [٦]

نبذة من الأخبار في هذا المقام

نشير هنا إلى جانب من الأخبار و الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه و آله و أئمة المسلمين و علمائهم في هذا الباب:

١ - عن أبي صالح، عن علي عليه السلام، قال:«قلت:يا رسول الله، أوصني؟

قال:قل:ربي الله ثم استقم.

قال عليه السلام:قلت:ربي الله و ما توفيقي إلا بالله.

قال صلى الله عليه و آله:هنيئا لك العلم أبا حسن، فقد شربت العلم شرب، و ثقبته ثقبا» . [٧]

٢ - و عن ابن عباس، قال:كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه و آله:عهد إلى علي سبعين عهدا لميعهدها إلى غيره. [٨]

٣ ـ و عن علقمة، عن عبد الله، قال:كنت عند النبي صلى الله عليه و آله فسئل عن علي عليه السلام فقال:«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فاعطي علي تسعة أجزاء، و الناس جزءا واحدا». [٩]

٤ ـ و عن عامر، عن ابن عباس، قال:«العلم عشرة أجزاء، اعطي علي بن أبي طالب عليه السلام منها تسعة، و الجزء العاشر بين جميع الناس، و هو بذلك الجزء أعلم منهم». [١٠]

٥ ـ و عن ابن عباس أيض، قال:و الله لقد اعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، و أيم الله لقد شاركم في العشر العاشر. [١١]

٦ ـ و عن ابن عباس أيض، قال:قسم علم الناس خمسة أجزاء، فكان لعلي منها أربعة أجزاء، و لسائر الناس جزء، و شاركهم علي عليه السلام في الجزء، فكان أعلم به منهم. [١٢]

٧ ـ و عن أنس بن مالك، قال:إن النبي صلى الله عليه و آله قال لعلي عليه السلام:«أنت تبين لامتي ما اختلفوا فيه بعدي». [١٣]

٨ ـ و عن حذيفة بن اليمان، قال:قال النبي صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام:«جعلتك علما فيما بيني و بين امتي، فمن لم يتبعك فقد كفر». [١٤]

٩ ـ و عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال:«أعلم أمتي بعدي علي بن أبي طالب» . [١٥]

١٠ ـ و عن ابن عباس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أتاني جبرئيل بدرنوك [١٦] من الجنة، فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كلمني و ناجاني، فما علمت شيئا إلا علمته علي، فهو باب مدينة علمي»، ثم دعاه إليه فقال:«يا علي، سلمك سلمي، و حربك حربي، و أنت العلم بيني و بين امتي». [١٧]

١١ ـ و عن أبي البختري، قال:رأيت ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله عليا عليه السلام صعد منبر الكوفة، و عليه مدرعة لرسول الله صلى الله عليه و آله متقلدا سيف رسول الله صلى الله عليه و آله، متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه و آله، و في إصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه و آله، فقعد على المنبر، و كشف عن بطنه، فقال:سلوني من قبل أن تفقدوني، فإن ما بين الجوانح مني علم جم، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه و آله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه و آله زقا من غير وحي أوحي إلي، فو الله لو ثنيت لي و سادة فجلست عليه، لأفتيت لأهل

التوراة بتوارتهم، و لأهل الانجيل بانجيلهم، حتى ينطق الله التوراة و الانجيل، فيقول:صدق علي، قد أفتاكم بما أنزل في». [١٨]

١٢ ـ و عن مسروق، قال:انتهى العلم إلى ثلاثة:عالم بالمدينة، و عالم بالشام، و عالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام، و عالم الكوفة عبد الله بن مسعود، و عالم الشام أبو الدرداء، فاذا التقوا سأل عالم الشام و عالم العراق عالم المدينة، و هو لم يسألهما [١٩] .

علي عليه السلام وارث علم النبيين

كان لعلي عليه السلام مراتب من العلم و الفضل لا يحتملها بعد النبي صلى الله عليه و آله غيره أبد، فهو وارث علم جميع الأنبياء و المرسلين من الأولين و الآخرين من آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و هلم جرا إلى النبي الأعظم الخاتم صلى الله عليه و آله .

و علي عليه السلام عالم بجميع العلوم و الفنون، فليس علمه منحصرا في مورد خاص دون مورد، و نحن لا نستطيع أن نعرف علمه و مدى إيمانه بالله تعالى بل المطلع على علمه و فضائله الله تعالى و رسوله.

و مجمل القول:الروايات الواردة من طرق العامة و الخاصة عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله الدالة على غزارة علم أمير المؤمنين عليه السلام و إحاطته بعلوم الأنبياء كثيرة تبلغ حد التواتر بحيث أذعن مخالفوه و معاندوه لعظمة شأنه عليه السلام، و فيما يلي بعض هذه الروايات:

١ ـ عن أنس بن مالك، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أراد أن ينظر إلى علم آدم و فقه نوح، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». [٢٠]

٢ ـ و عن أبي الحمراء، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى يحيى بن زكريا في زهده، و إلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه» [٢١] .

٣ ـ و عن عباية، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه و آله، قال:«علي عيبة علمي». [٢٢]

٤ ـ و عن علي عليه السلام أنه قال:«علمني رسول الله صلى الله عليه و آله ألف باب، كل باب يفتح لي ألف باب». [٢٣]

٥ ـ و عن عبد الله بن مسعود، قال:إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر و بطن، و إن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده منه علم الظاهر و الباطن. [٢٤]

٦ ـ و عن جسرة (يسرة) ، قالت:ذكر عند عائشة صوم عاشوراء، فقالت:من يأمركم بصومه؟قالوا:علي عليه السلام، قالت:إنه أعلم من بقي بالسنة. [٢٥]

٧ ـ و عن عطاء، عن عائشة، قالت:علي أعلم الناس بالسنة. [٢٦]

٨ ـ و عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال:قلت للعطاء بن أبي رباح:أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه و آله أعلم من علي بن أبي طالب عليه السلام؟.قال:ل، و الله ما أعلمه. [٢٧]

٩ ـ و عن أبي بكر محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال :«كنت إذا سألته ـ يعني رسول الله صلى الله عليه و آله ـ أجابني، و إن سكت ابتدأني، و ما نزلت عليه آية إلا قرأتها و علمت تفسيرها و تأويله، و دعا الله لي أن لا أنسى شيئا علمني إياه، فما نسيت من حرام و لا حلال، و أمر و نهي، و طاعة و معصية، و لقد وضع يده على صدري، و قال:اللهم املأ قلبه علما و فهما و حكما و نورا.ثم قال لي:أخبرني ربي عز و جل أنه قد استجاب لي فيك». [٢٨]

١٠ ـ و عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال في مرضه:«ادعوا لي أخي»، فدعي له عثمان، فأعرض عنه.ثم قال:«قال ادعوا لي أخي»فدعي له علي بن أبي طالب عليه السلام، فستره بثوب، و انكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له:ما قال النبي صلى الله عليه و آله لك؟قال:«علمني ألف باب، يفتح كل باب ألف باب». [٢٩]

و كل هذه الأخبار و غيرها دالة بالصراحة و العيان على أنه عليه السلام وارث علم النبي صلى الله عليه و آله، و أنه أعلم الصحابة و أعرفهم بالعلوم الإلهية، و أعملهم بسنة الرسوول المصطفى صلى الله عليه و آله.

تعليقات:

١.تقدم الحديثان مع تخريجهما في الفصل الثالث في«حديث مدينة العلم».

٢.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٨٤.

٣.نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

٤.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٨، ح ٢٦١.

٥.هو سري بن المعلى السقطي، أبو الحسن، من كبار المتصوفة، و هو خال الجنيد و استاذه ولد في بغداد و توفي بها سنة ٢٠٣ ه الاعلام للزركلى، ج ٣، ص ٨٢.

٦.شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٦ - ٢٠.

٧.ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١٠١٩.

٨.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١٠٢٠.

٩.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٨٧، ح ٣٢٨، فرائد السمطين، ج ١، ص ٩٤، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ص ٤٨١، ج ٢، ح ١٠٠٠.

١٠.شواهد التنزيل للحافظ الحسكاني، ج ١، ص ٨٤، ح ١٢٣.

١١.الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٠.

١٢.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٥، ح ١٠٧٤.

١٣.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٨، ح ١٠٠٩.

١٤.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٩، ح ١٠١٠.

١٥.المناقب للخوارزم، ص ٣٩.

١٦.الدرنوك:ماله خمل من بساط أو ثوب أو نحوهما.

١٧.المناقب للخوارزم، ص ٥٠، ح ٧٣.

١٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٠، ح ٢٦٣.

١٩.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥١، ح ١٠٨٦.

٢٠.المناقب لابن المغازلي، ص ٢١٢، ح ٢٥٦.

٢١.ذخائر العقبى، ٩٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٠، ج ١٣١، وسيلة المل، ج ٥، قسم ٢، ص ١٦٨، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٠، ح ٨١١.

٢٢.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٨٢، ح ١٠٠١.

٢٣.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٠١، ح ٧٠.

٢٤.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٥، ح ١٠٤٨.

٢٥.ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٨، ح ١٠٧٨، فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٨١، و في مسألة صوم عاشوراء خلاف فقهي بين المذاهب الاسلامية، موكول إلى كتب الفقه، و غاية ما في الأمر أنه سنة جاهلية محاها الاسلام، نعم كان معمولا به في صدر الاسلام.

٢٦.المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٩، ح ١٠٨٠.

٢٧.المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٣، ح ١٠٨٩.

٢٨.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٥، ح ١٠٠٤.

٢٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٤.

٢٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٤.

علي عليه السلام أعلم الصحابة

لا شك أن العلم فضيلة و كمال يعترف البشر بشرفه، و تفضيل العالم على الجاهل فطري حتى«فضل مداد العلماء على دماء الشهداء»، و الإسلام ينادي بقيمة العلم و كرامته و شرف العالم بعبارات مختلفة منها:

١ ـ قوله تعالى:قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الألباب . [١]

٢ ـ و قوله تعالى:يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات. [٢]

٣ ـ و قوله تعالى:قل هل يستوي الأعمى و البصير. [٣]

٤ ـ و قوله صلى الله عليه و آله:«طلب العلم فريضة على كل مسلم». [٤]

و غير ذلك من الآيات و الروايات الكثيرة في حث المسلمين على طلب العلم، و لذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله يتعلمون في مركز الوحي و النبوة، و كانوا حماة الدين و علماء عارفين بالعلوم الإسلامية، و لكن كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام مراتب من الفضل و العلم بالقرآن و أحكام الإسلام لم تكن بعد النبي صلى الله عليه و آله لغيره أبد، كما اعترف بذلك الموافق و المخالف.

اعتراف عمر بأعلمية علي عليه السلام

روى الجويني:بسنده عن عبد الله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، قال:قال علي بنموسى الرضا عليهما السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال:«حمل رجل إلى عمر، و قالوا له:قد سألناه و قلنا له:كيف أصبحت؟فقال:أصبحت و قد احب الفتنة، و أكره الحق، و أصدق اليهود و النصاري، و آمن بما لم أره، و أقر بما لم يخلق.

فأرسل إلى علي عليه السلام فأتاه، فقال:«صدق، قال الله تعالى:إنما أموالكم و أولادكم فتنة [٥] ، و يكره الحق يعني الموت، قال الله تعالى:و جاءت سكرة الموت بالحق [٦] ، و يصدق اليهود و النصارى، قال الله تعالى:و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء [٧] ، و يؤمن بما لم يره، يعني الله عز و جل، و يقر بما لم يخلق، يعني الساعة».

قال عمر:لو لا علي لهلك عمر. [٨]

عمر بن الخطاب يحيل اليهودي في مسائله إلى علي عليه السلام

في فرائد السمطين:بسنده عن أبي الطفيل، قال:شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، و شهدت عمر حين بويع، و علي عليه السلام جالس ناحية، إذ أقبل غلام يهودي، عليه ثياب حسان، و هو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر، فقال:يا أمير المؤمنين، أنت أعلم هذه الامة بكتابهم و أمر نبيهم؟

قال:فطأطأ عمر رأسه، فقال له الغلام:إياك أعني.و أعاد عليه القول، فقال له عمر:ما ذاك؟قال :إني جئتك مرتادا لنفسي شاكا في ديني.فقال:دونك هذا الشاب.

قال:و من هذا الشاب؟قال:هذا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله، وهو أبو الحسن و الحسين، و زوج فاطمة بنت رسول الله عليهم السلام.

فأقبل اليهودي على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال:أكذلك أنت؟قال:«نعم».قال:فإني اريد أن أسألك عن ثلاث و ثلاث و واحدة.قال:فتبسم علي عليه السلام و قال:«يا هاروني، ما منعك أن تقول:سبعا؟».

قال:أسألك عن ثلاث، فإن علمتهن سألت عما بعدهن، و إن لم تعلمهن علمت أنه ليس فيكم علم .قال علي عليه السلام:«ألا فإني أسألك بالذي تعبد، لئن أنا أجبتك في كل ما تريد، لتدعن دينك، و لتدخلن في ديني؟».قال:ما جئت إلا لذلك.قال:«فاسأل؟».قال:فأخبرني عن أول قطرة وقعت على وجه الأرض، أي قطرة هي؟و أول عين فاضت على وجه الأرض، أي عين هي؟و أول شيء اهتز على وجه الأرض، أي شيء هو؟فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام.قال:«فأخبرني عن الثلاث الاخر».قال:أخبرني عن محمد صلى الله عليه و آله، كم بعده من إمام عدل؟و في أي جنة يكون؟و من يساكنه معه في جنته؟فقال:«يا هاروني، إن لمحمد صلى الله عليه و آله من الخلفاء اثني عشر إماما عادل، لا يضرهم من خذلهم، و لا يستوحشون لخلاف من خالفهم، و إنهم أرسى في الدين من الجبال الرواسي في الأرض، و يسكن محمد صلى الله عليه و آله في جنته مع اولئك الاثني عشر إماما العدل».

قال:صدقت، و الله الذي لا إله إلا هو، إني لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده و أملاه موسى عمي عليهما السلام.

قال:«و أخبرني عن الواحدة».قال:أخبرني عن وصي محمد صلى الله عليه و آله كم يعيش بعده؟و هل يموت أو يقتل؟قال:«يا هاروني، يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوما و لا ينقص يوم، ثم يضرب ضربة هاهن ـ يعني قرنه ـ فتخضب هذه من هذا».

قال:فصاح الهاروني و قطع تسبيحه و هو يقول:أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له .[٩]

إقرار العقاد في أعلمية علي عليه السلام

قال في علي عليه السلام:و أحسن الإسلام علما و فقه، كما أحسنه عبادة و عمل، فكانت فتاواه مرجعا للخلفاء و الصحابة في عهود أبي بكر و عمر و عثمان، و ندرت مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به، أو تنهض له الحجة بين أفضل الآراء، إلا أن المزية التي امتاز بها علي عليه السلام بين فقهاء الإسلام في عصره، أنه جعل الدين موضوعا من موضوعات التفكير و التأمل، و لم يقصره على العبادة و إجراء الأحكام، فإذا عرف في عصره اناس فقهوا في الدين ليصححوا عباداته و يستنبطوا منه أقضيته و أحكامه، فقد امتاز علي عليه السلام بالفقه الذي يراد به الفكر المحض و الدراسة الخالصة، و أمعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلمية أو الحقيقة الفلسفية كما نسميها في هذه الأيام، و يصح أن يقال:إن عليا عليه السلام أبو علم الكلام في الإسلام ـ الى أن قال: ـ و قيل لابن عباس:أين علمك من علم ابن عمك؟فقال:كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[١٠] .

إفتراء موهوم

قال ابن حزم الأندلسي في كتاب (الملل و النحل) :كذب من قال بأن عليا كان أكثر الصحابة علم، ثم بسط القول في تقرير أعلمية أبي بكر و تقدمه على علي عليه السلام في العلم ببيانات تافهة، إلى أن قال:علم كل ذي حظ من العلم، أن الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند علي منه.

و قال في تقدم عمر على علي عليه السلام في العلم:علم كل ذي حس علما ضروريا أن الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند علي عليه السلام من العلم، إلى أن قال:فبطل قول هذه الوقاح الجهال، فإن عاندنا معاند في هذا الباب جاهل أو قليلالحياء، لاح كذبه و جهله، فإنا غير متهمين على حط أحد من الصحابة عن مرتبته.[١١]

الجواب:

قال العلامة الأميني رحمهم الله:أنا لست أدري أ أضحك من هذا الرجل جاهلا؟!أم أبكي عليه مغفلا؟!أم أسخر منه معتوها؟فإن مما لا يدور في أي خلد، الشك في أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يربو بعلمه على جميع الصحابة، و كانوا يرجعون إليه في القضايا و المشكلات، و لا يرجع إلى أحد منهم في شيء، و إن أول من اعترف له بالأعلمية نبي الإسلام صلى الله عليه و آله بقوله لفاطمة عليها السلام:«أما ترضين إني زوجتك أول المسلمين إسلاما و أعلمهم علما».[١٢]

و قوله صلى الله عليه و آله لها:«زوجتك خير امتي، أعلمهم علم، و أفضلهم حلم، و أولهم سلما». (١٣)

و قوله صلى الله عليه و آله لها:«إنه لأول أصحابي إسلام - أو:أقدم امتي سلم - و أكثرهم علم، و أعظمهم حلما». (١٤)

و قوله صلى الله عليه و آله:«أعلم امتي من بعدي علي بن أبي طالب». (١٥)

و قوله صلى الله عليه و آله:«علي وعاء علمي، و وصيي، و بابي الذي اوتى منه». (١٦)

و قوله صلى الله عليه و آله:«علي باب علمي، و مبين لامتي ما ارسلت به من بعدي». (١٧) و قوله صلى الله عليه و آله:«علي خازن علمي». (١٨)

و قوله صلى الله عليه و آله:«علي عيبة علمي». (١٩)

و قوله صلى الله عليه و آله:«أقضى امتي علي». (٢٠)

و قوله صلى الله عليه و آله:«أقضاكم علي». (٢١)

و أورد بعد ذلك أقوال الصحابة و التابعين الذي أجمعوا على أعلميته عليه السلام، ثم قال :و الامة بعد أولئك كلهم مجمعة على تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على غيره بالعلم، إذ هو الذي ورث علم النبي صلى الله عليه و آله، و قد ثبت عنه بعدة طرق قوله صلى الله عليه و آله:إنه وصيه و وارثه.و فيه، قال علي عليه السلام:و ما أرث منك يا نبي الله؟قال:ما ورث الأنبياء من قبلي.و ما ورث الأنبياء من قبلك؟قال كتاب الله و سنة نبيهم... (٢٢)

قوله عليه السلام:«سلوني قبل أن تفقدوني»

إن نظرنا إلى علم مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام وجدنا ينبوعا و موردا لا ينضب، فهو الذي يقول على ملأ من الناس:«سلوني قبل أن تفقدوني»و من ذا الذي يتجترىء من الناس أن يقول هذا الكلام على المنبر في الوف من الخلق؟و ما يؤمنه أن يسأله سائل عن مسألة لا يكون عنده جوابها فيخجله فيها؟لا يجترئ على هذه الدعوى إلا من يثق بنفسه بأن عنده جواب كل ما يسأل عنه.

و هل المسألة مختصة بعلم من العلوم أو ناحية من النواحي حتى يجرؤ أحد على هذا الكلام دون أن يكون مؤيدا بتأييد إلهي، و واثقا من نفسه كل الوثوق بأنه لا يغيب عنه جواب مسألة، مهما دقت و أشكلت؟إن هذا المقام يقصر العقل عن الإحاطة به.

مما سئل عنه عليه السلام

قد سئل و هو على المنبر، عن المسافة فيما بين المشرق و المغرب فأجاب:بأنه مسيرة يوم للشمس، و هو جواب مقنع أحسن ما يجاب به هذا السؤال.

و سئل عما بين الحق و الباطل فيقول:مسافة أربع أصابع، الحق أن تقول:رأيت بعيني، و الباطل أن تقول:سمعت باذني [٢٣] .

و غير ذلك من قضاياه، و هي أدل دليل على أنه مؤيد من عند الله تعالى، و أنه كان واثقا من نفسه كل الوثوق بأنه لا يغيب عنه جواب مسألة، فيقول:«سلوني قبل أن تفقدوني».

و في شرح ابن أبي الحديد المعتزلي في ذيل الخطبة (٩٢) «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألونني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة و لا عن فئة تهدي مائة و تضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقه، و مناخ ركابه، و محط رحاله، و من يقتل من أهلها قتل، و من يموت منهم موتا».

قال ابن أبي الحديد:روى صاحب كتاب الاستيعاب، عن جماعة من الرواة و المحدثين، قالوا:لم يقل أحد من الصحابة«سلوني»إلا علي بن أبي طالب عليه السلام... [٢٤] .

و لنذكر هنا بعض ما ورد من الأخبار في هذا الباب توضيحا للبحث و تتميما للفائدة:

١ ـ روى ابن عساكر الشافعي عن ابن الطبال، قال:سمعت محمد بن فضيل يقول:سمعت ابن شبرمة يقول :ما كان أحد على المنبر يقول:سلوني عما بين اللوحين إلا علي بن أبي طالب عليه السلام . [٢٥]

٢ ـ و عنه أيض، عن سعيد بن المسيب، قال:لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله يقول:سلوني إلا علي عليه السلام. [٢٦]

٣ ـ و عنه أيض، عن خالد بن عرعرة، قال:أتيت الرحبة فإذا أنا بنفر جلوس، قريب من ثلاثين أو أربعين رجلا فقعدت فيهم، فخرج علينا علي عليه السلام، فما رأيته أنكر أحدا من القوم غيري، فقال :ألا رجل يسألني فينتفع و ينفع نفسه. [٢٧]

٤ ـ و في الإصابة لابن حجر العسقلاني، عن أبي الطفيل قال:كان علي عليه السلام يقول:«سلوني، سلوني و سلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا و أنا أعلم أنزلت بليل أو نهار». [٢٨]

٥ ـ و في الاستيعاب لابن عبد البر المالكي، قال:روى معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال :شهدت عليا عليه السلام يخطب و هو يقول:«سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، و

سلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا و أنا أعلم، أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل». (٢٩)

٦ ـ عن محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول:قال علي عليه السلام مرة:«لو شئت لأوقرت بعيرا عن تفسير«بسم الله الرحمن الرحيم».

و قال مرة:«لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بانجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، و الله ما من آية انزلت في بر أو بحر، و لا سهل و لا جبل و لا سماء و لا أرض، و لا ليل و لا نهار إلا و أنا أعلم فيمن نزلت و في أي شيء نزلت». (٣٠)

أسئلة ابن الكواء له عليه السلام و جوابه

روى الجويني بسنده عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال:شهدت عليا عليه السلام و هو يخطب و يقول:«سلوني، فو الله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به !!.و سلوني عن كتاب الله عز و جل، ما منه آية إلا و أنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم في جبل».

قال أبو الطفيل:فقال ابن الكواء و أنا بينه و بين علي عليه السلام و هو خلفي:فما الذاريات ذرو، فالحاملات وقر، فالجاريات يسر، فالمقسمات أمرا. (٣١)

فقال:«و يلك سل تفقه، و لا تسأل تعنت، سل عما يعنيك، و دع ما لا يعنيك».

قال:فوالله إن هذا ليعنيني.قال عليه السلام:«الذاريات ذروا:الرياح، و الحاملات وقرا:الحساب، و الجاريات يسرا:السنن، و المقسمات أمرا:الملائكة».

قال:أفرأيت السواد الذي في القمر، ما هو؟

قال عليه السلام:«أعمى سأل عن عمياء، أما سمعت الله عز و جل يقول:و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل الآية (٣٢) ، فذلك محوه و السواد الذي فيه».

قال:أفرأيت ذا القرنين، أنبيا كان، أم ملكا؟

قال عليه السلام:«و لا واحدا منهم، و لكنه كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه الله، و ناصح الله فناصحه الله، دعا قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه، فمكث ما شاء الله، ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر، و لم يكن له قرنان كقرن الثور».

قال:أفرأيت هذا القوس، ما هو؟

قال عليه السلام:«علامة كانت بين نوح النبي و بين ربه، أمان من الغرق».

قال:أفرأيت البيت المعمور، ما هو؟

قال عليه السلام:«ذاك الضراح فوق سبع سماوات تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه إلى يوم القيامة».

قال:فمن الذين بدلوا نعمة الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار؟ (٣٣)

قال عليه السلام:«الأفجران من قريش بنو أمية و بنو مخزوم، و قد كفيتهم يوم بدر».

قال:فمن الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟ (٣٤)

قال عليه السلام:«كان أهل حروراء». (٣٥)

تعليقات:

١.الزمر، ٩.

٢.المجادلة، ١١.

٣.الانعام، ٥٠.

٤.كنز العمال، ج ١٠، ح ٢٨٦٥١ - ٢٨٦٥٤.

٥.الأنفال، ٢٨، التغابن، ١٥.

٦.ق، ١٩.

٧.البقرة، ١١٣.

٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٧، ح ٢٥٩.

٩.المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٤، ح ٢٨٠.

١٠.عبقرية الإمام علي عليه السلام، ص ٤٧.

١١.الملل و النحل، ج ٤، ص ١٣٦.

١٢.مستدرك الحاكم، ج ٣، كنز العمال، ج ٦، ص ١٣.

١٣.أخرجه الخطيب في المتفق و السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج ٦، ص ٣٩٨.

١٤.مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٦، الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٦.

١٥.الخوارزمي في المناقب، ص ٤٩، مقتل الحسين، ج ١، ص ٤٣.

١٦.شمس الاخبار، ص ٣٩، كفاية الكنجي، ص ٧٠ و ٩٣.

١٧.الديلمي عن أبي ذر، كما في كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٦.

١٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٤٨.

١٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٤٨، الجامع الصغير للسيوطي و غيرهما.

٢٠.مصابيح البغوي، ج ٢، ص ٢٧٧، و الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٨ و غيرهما.

٢١.الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٨، مواقف القاضي الايجي، ج ٣، ص ٢٧٦ و غيرهما.

٢٢.الغدير، ج ٣، ص ٩٥ - ١٠١.

٢٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٧٢.

٢٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٦.

٢٥.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٤.

٢٦.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٥.

٢٧.كذا و لعل الصواب:«ألا رجل يسألني فينتفع به غيره و ينفع نفسه»المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٦.

٢٨.الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٩.

٢٩.الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٢.

٣٠.مطالب السؤول، ص ٤٦.

٣١.الذاريات، ١ الى ٤.

٣٢.الإسراء، ١٢.

٣٣.إبراهيم، ٢٨.

٣٤.الكهف، ١٠٤.

٣٥.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٤، ح ٣٣١، و أهل حروراء:خوارج النهروان.

35.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٤، ح ٣٣١، و أهل حروراء:خوارج النهروان.

نماذج من سعة علمه

علم علي عليه السلام لم يقف عند حد، و كلما زدنا في فيض علمه فهو قليل، و مثله مثل قطرة في محيط لجي، و القلم يقف عاجزا إزاء علم علي عليه السلام و إننا من باب«ما لا يدرك جله لا يترك كله»نذكر لكم فصلا آخر يمثل نماذج من سعة علمه عليه السلام لنكون قد أدينا بعضا من الواجب بحق باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه و آله و عيبة علمه و حكمته.

حكمه في حلي الكعبة

قال الزمخشري في ربيع الأبرار:قيل لعمر:لو اخذت حلي الكعبة فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، و ما تصنع الكعبة بالحلي؟!فهم بذلك، فسأل عليا عليه السلام فقال:«إن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه و آله و الأموال أربعة:أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، و الفيء فقسمه على مستحقيه، و الخمس فوضعه الله حيث وضعه، و الصدقات فجعلها الله حيث جعله، و كانت حلي الكعبة فيها يومئذ فتركها الله على حاله، و لم يتركها نسيان، و لم تخف عليه مكان، فأقره حيث أقره الله و رسوله».

فقال له عمر: (لو لاك لافتضحنا) ، و تركه. [1]

الحجر الأسود ينفع و يضر

في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال:خرجنا حجاجا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استلم الحجر و قبله، و قال:إني لأعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع، و لو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله يقبلك ما قبلتك.

قال أبو سعيد:ثم مضى في الطواف، فقال له علي بن أبي طالب:«يا أمير المؤمنين، إنه ليضر و ينفع».

فقال له عمر:بم قلت ذلك؟قال:«بكتاب الله».

قال:و أين ذلك من كتاب الله؟قال عليه السلام:«قول الله عز و جل:و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بل، [2] قال عليه السلام:«لما خلق الله آدم عليه السلام مسح منكبه فخرجت ذريته مثل الذر، فعرفهم بنفسه أنه الرب و أنهم العبيد، و أقروا بذلك على أنفسهم، و أخذ ميثاقهم بذلك، و كتبه في رق أبيض».

قال:«و كان هذا الركن الأسود يومئذ له لسانا و شفتان و عينان، فقال له:افتح فاك.ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، و جعله في موضعه، و قال له:تشهد لمن و افاك بالموافاة إلى يوم القيامة» .

قال أبو سعيد:فقال له عمر بن الخطاب:لا بقيت في قوم لست فيهم أبا حسن، أو قال:لا عشت في قوم لست فيهم أبا حسن. [٣]

حكمه عليه السلام في عدم رجم مجنونة

روى أحمد بن حنبل في مسنده بالاسناد عن قتادة عن الحسن:أن عمر بن الخطاب أراد أن يرجم مجنونة، فقال له علي عليه السلام:مالك ذلك، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول :رفع القلم عن ثلاثة:عن النائم حتى يستيقظ، و عن الطفلحتى يحتلم، و عن المجنون حتى يبرأ أو يعقل، فأدرأ عنها عمر. [٤]

حكمه في عدم رجم حامل

و روى الخوارزمي في المناقب، بالاسناد عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:لما كان في ولاية عمر، أتي بامرأة حامل، سألها عمر عن ذلك، فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال:ما بال هذه المرأة؟فقالوا :أمر بها عمر أن ترجم، فردها علي عليه السلام فقال له:أمرت بها أن ترجم؟فقال:نعم، اعترفت عندي بالفجور.قال:هذا سلطانك عليه، فما سلطانك على ما في بطنها؟

ثم قال له علي عليه السلام:فلعلك انتهرتها أو أخفتها!فقال عمر:قد كان ذلك.قال علي عليه السلام:أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«لا حد على معترف بعد البلاء»إنه من قيدت أو حبست أو تهددت، فلا إقرار له، فخلى عمر سبيله، ثم قال:عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب، لو لا علي لهلك عمر. [٥]

حكمه عليه السلام في مولود لستة أشهر

و روى الخوارزمي في المناقب بالاسناد عن أبي الأسود، قال:اتي عمر بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهم أن يرجمه، فبلغ ذلك عليا عليه السلام، فقال:ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال علي عليه السلام:الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة [٦] و قال:و حمله و فصاله ثلاثون شهرا [٧] فستة أشهر حمله، و حولين تمام الرضاعة، لاحد عليها.قال:فخلى عنها. [٨]

إرجاع معاوية إلى علي عليه السلام

روى الجويني و أحمد في الفضائل، بالاسناد عن قيس بن أبي حازم، قال:جاء رجل إلى معاوية، فسأله عن مسألة، فقال:سل عنها علي بن أبي طالب، فهو أعلم.

فقال:يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحب إلي من جواب علي.فقال:بئس ما قلت، و لؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه و آله يغره بالعلم غر، و لقد قال له رسول الله صلى الله عليه و آله:أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، و كان عمر إذا أشكل عليه شيء يأخذ منه، و لقد شهدت عمر و قد أشكل عليه شيء، فقال:أهاهنا علي، قم لا أقام الله رجليك. [٩]

حكمه عليه السلام على خلاف عمر

و روى الخوارزمي بالاسناد عن مسروق، قال:اتي عمر بامرأة قد نكحت في عدته، ففرق بينهم، و جعل صداقها من بيت المال، و قال:لا اجيز مهرا أرد نكاحه، و قال:لا يجتمعان أبدا.

فبلغ عليا عليه السلام فقال:و إن كانوا جهلوا السنة، فلها المهر بما استحل من فرجه، و يفرق بينهم، فاذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس، فقال:ردوا الجهالات إلى السنة، و ردوا قول عمر إلى علي عليه السلام. [١٠]

حكمه عليه السلام لشارب الخمر

روى الدرا قطني في السنن بالاسناد عن ابن عباس، قال:أتي عمر برجل من المهاجرين [١١] الأولين و قد شرب، فأمر به أن يجلد، فقال:لم تجلدني؟بيني و بينكتاب الله.

فقال عمر:و أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك!

فقال له:إن الله عز و جل يقول في كتابه:ليس عط الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا [١٢] الآية، فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات، ثم اتقوا و آمنو، ثم اتقوا و أحسنو، و الله يحب المحسنين، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و آله بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد .

فقال عمر:ألا تردون عليه ما يقول؟

فقال ابن عباس:إن هؤلاء الآيات انزلت عذرا للماضين، و حجة على المنافقين، إلى أن قال عمر :صدقت، ماذا ترون؟

قال علي عليه السلام:إنه إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افترى، و على المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فجلد ثمانين. [١٣]

إلى هنا ننتهي من ذكر النماذج الدالة على سعة علمه عليه السلام، ذلك لأننا لو أردنا الاستقصاء لخرجنا عن شرط الاختصار، و لا حتجنا إلى مجلد خاص لعرض هذا الموضوع.

علي عليه السلام أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله

يستفاد من مجموع الأخبار و الآثار أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد أشار في مواضع متعددة و مواطن مختلفة، في الحرب و السلم، في الحضر و السفر، إلى أن عليا عليه السلام كان أحب الناس إليه، و لا يكون هذا الإشعار لمحبة نفسانية أو لقربه إليه لأنه صلى الله عليه و آله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى بل أراد من خلال إظهار محبته له لفت أنظار الناس إليه، و ليفهم الناس و يعلموا أن عليا عليه السلام هو أقرب الناس إليه قربا معنويا و مؤثرا في هداية الناس، قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أنا المنذر، و علي الهادي» [١٤] فعلي عليه السلام أحق بمقام الوصاية و الولاية من غيره، و يشعر الناس أنه لا يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه و آله مثل علي عليه السلام، و للأسف نسي بعد رسول الله كلما ذكره صلى الله عليه و آله لهم في حقة و تركوه وحيدا فريد، و التفتوا إلى باب غيره، و بايعوا غيره، و جرى ما جرى؟!!

و لإطلاع القارىء المحترم على هذا الحب الشديد نشير إلى بعض ما ورد في هذا المقام.

١ ـ في المناقب لابن المغازلي بإسناده عن إياس بن سلمة، عن أبيه ـ في حديث طويل في خيبر ـ قال :قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله»فجئت بعلي عليه السلام أقوده و هو أرمد حتى أتيت به النبي صلى الله عليه و آله فبصق في عينيه فبرىء، ثم أعطاه الراية. [١٥]

٢ ـ و في تاريخ دمشق:بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه، قال:كان أحب النساء لرسول الله صلى الله عليه و آله فاطمة، و من الرجال علي عليه السلام. [١٦]

٣ ـ و فيه أيضا عن جميع، [١٧] عن عائشة، قال:دخلت عليها مع امي و أنا غلام، فذكرت لها علي، فقالت عائشة:ما رأيت رجلا كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله منه، و لا امرأة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله من امرأته. [١٨]

٤ ـ و فيه أيضا عن عبد الله بن العباس، قال:كنت أنا و أبي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله صلى الله عليه و آله، إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فسلم فرد عليه و بش به ـ

يعني سر به ـ و قام إليه فاعتنقه، و قبل بين عينيه، و أجلسه عن يمينه، فقال العباس :يا رسول الله، أتحب هذا؟

فقال النبي صلى الله عليه و آله:«يا عم رسول الله، و الله لله أشد حبا له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، و جعل ذريتي في صلب هذا». (١٩)

٥ ـ و قال ابن عبد ربه:لما مات الحسن بن علي عليهما السلام حج معاوية، فدخل المدينة، و أراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله، فقيل له:إن هاهنا سعد بن أبي وقاص، و لا نراه يرضى بهذ، فأبعث إليه و خذ رأيه، فأرسل إليه و ذكر له ذلك، فقال:إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية (لعنة الله) عن لعنه عليه السلام حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، و كتب إلى عماله أن يلعنوه عليه السلام على المنابر ففعلوا!

فكتبت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه و آله إلى معاوية:إنكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، و ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب و من أحبه!!و أنا أشهد أن اللهأحبه و رسوله .فلم يلتفت معاوية إلى كلامها. (٢٠)

٦ ـ و في تاريخ دمشق بسنده عن معاوية بن ثعلبة، قال:أتى رجل أبا ذر و هو جالس في مسجد النبي صلى الله عليه و آله، فقال:يا أبا ذر، ألا تخبرني بأحب الناس إليك؟فإني أعرف أن أحبهم إليك أحبهم إلي رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال:إي و رب الكعبة، إن أحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو ذاك الشيخ.و أشار إلى علي عليه السلام و هو يصلي أمامه. (٢١)

٧ ـ و فيه أيضا بسنده عن ابن أخي زيد بن أرقم، قال:دخلت على ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه و آله، فقالت:ممن أنت؟

قلت:من أهل الكوفة.

قالت:من الذين يسب فيهم رسول الله صلى الله عليه و آله.

قلت:لا و الله ـ يا أمة ـ ما سمعت أحدا يسب رسول الله صلى الله عليه و آله.

قالت:بلى و الله إنهم يقولون:فعل الله بعلي و من يحبه!!و قد كان و الله رسول الله يحبه . (٢٢)

و في خبر آخر...قالت:بلى أليس يلعنون علي، و يلعنون من يحبه؟و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يحبه. (٢٣)

٨ ـ و فيه أيضا بسنده عن ابن بريدة ـ سليمان بن بريدة ـ عن أبيه، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أمرني الله تعالى بحب أربعة، و أخبرني أنه يحبهم، إنك يا علي منهم، إنك يا علي منهم، إنك يا علي منهم». [٢٤]

٩ ـ و روى فيه بسنده عن أبي عبد الله الجدلي، قال:دخلت علي ام سلمة، فقالت:يا أبا عبد الله، أيسب رسول الله صلى الله عليه و آله فيكم و أنتم أحياء؟

قال:قلت:سبحان الله و أنى يكون هذا؟

قالت:أليس يسب علي و من يحبه؟

قلت:بلى.

قالت:أليس كان رسول الله صلى الله عليه و آله يحبه. [٢٥]

نعم لقد كان هدف معاوية من كل ما مر سلب الحب الذي ثبت في قلوب المؤمنين ـ حب أمير المؤمنين عليه السلام ـ و محاولة إثبات قربه و حبه هو في القلوب، لكن القلوب المؤمنة التي تربت على حب علي عليه السلام أبت أن تنصاع لحيل معاوية، فبقيت على العهد جيلا بعد جيل، و بقي حب علي عليه السلام و موالاة أهل بيته ـ رغم كل محاولات الطمس و التغيير و التحريف ـ شامخا على طول التاريخ، و ما كان ذلك من الأعداء إلا كغمامة صيف لا تلبث أن تنجلي لتظهر الشمس ـ شمس الحقيقة ـ و تبقى القلوب متعطشه لحبهم عليهم السلام، فالشمس لا تحجب بغربال، قال تعالى:فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. [٢٦]

تعليقات:

١.ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٤، ص ٤٦.

٢.الأعراف، ١٧٢.

٣.ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٠، رقم ٧٣، مناقب الخوارزمي، ٥١.

٤.مسند أحمد، ج ١، ص ١٤٠، مناقب الخوارزمي، ٣٨.

٥.المناقب للخوارزمي، ص ٣٩.

٦.البقرة، ٢٣٣.

٧.الأحقاف، ١٥.

٨.المناقب للخوارزمي، ص ٤٩ و ٥٠.

٩.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٧١، ح ٣٠٢، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٧٥، ح ١١٥٣.

١٠.المناقب للخوارزمي، ص ٥٠.

١١.قيل:هو قدامة بن مظعون.

١٢.المائدة، ٩٣.

١٣.سنن الدار قطني، ج ٣، ص ١٦٦.

١٤.ينابيع المودة للحافظ القندوزي الحنفي، ١٧٩.

١٥.المناقب لابن المغازلي، ص ١٧٦، ح ٢١٣.

١٦.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٦٣، ح ٦٤١، و راجع سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٥٥، ح ٣٨٦٨.

١٧.جميع هو ابن عمير التيمي.

١٨.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٥، ح ٦٤٦.

١٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٩، ح ٦٤٣.

٢٠.العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٦.طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢١.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٧٠، ح ٦٥٥.

٢٢.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧١، ح ٦٥٦.

٢٣.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢، ح ٦٥٧.

٢٤.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢، ح ٦٥٨.

٢٥.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٢، ح ٦٥٩.

٢٦.الرعد، ١٧.

٢٦.الرعد، ١٧.

محب علي عليه السلام محب الله و رسوله

كان علي عليه السلام خير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله فقد كان قلبه عامرا بأكمل الإيمان، و لا ينقصه حتى مقدار ذرة واحدة من نور الإيمان المتكامل، فقلبه عليه السلام ربيع الإيمان، بل و ليس في قلبه ذرة واحدة من هوى النفس، فهو الصراط المستقيم، و هو سبيل الله، و هو ميزان الأعمال، و هو مع الحق و الحق معه، و إنما تتجلى الصفات الثبوتية للحق فيه عليه السلام:فهو العدل الإلهي و رحمة الله و قدرته، و هو رمز للرأفة و العطف و الصبر الإلهي، و مظهر من مظاهرها.

علي نفس رسول الله صلى الله عليه و آله و عيبة علمه، و أخوه، و خليفته و وصيه، و كل من أحبه و والاه فقد أحب الله و رسوله و المؤمنين و والاهم، و كل من أبغضه و عصاه فقد أبغض الله و رسوله و المؤمنين، فمحبه محب لله و رسوله، و مبغضه مبغض لله و رسوله.

و نلفت أنظار القراء الكرام إلى بعض ما ورد من الأخبار في هذا المقام:

١ ـ روى القندوزي الحنفي و الجويني، عن أبي برزة الأسلمي، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إن الله تعالى عهد إلي في علي عهد، أن عليا راية الهدى، و إمام أوليائي، و نور من أطاعني، و هو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني، و من أبغضه أبغضني، فبشره» .فجاء علي فبشرته بذلك، فقال:«يا رسول الله، أنا عبد الله، فإن يعذبني فبذنبي، و إن يتم الذي بشرني به فالله أولى بي».

قال صلى الله عليه و آله:«قلت:اللهم اجل قلبه، و اجعله ربيع الإيمان.فقال الله تبارك و تعالى:قد فعلت به ذلك، ثم قال تعالى:إني مستخصه بالبلاء، فقلت:يا رب، إنه أخي و وصي:فقال تعالى:إنه شيء قد سبق فيه قضائي، إنه مبتلى». [1]

٢ ـ و روى الجويني، عن علقمة، عن عبد الله، قال:خرج رسول الله صلى الله عليه و آله من بيت زينب بنت جحش، و أتى بيت أم سلمة، و كان يومها من رسول الله صلى الله عليه و آله، فلم يلبث أن جاء علي عليه السلام، و دق الباب دقا خفيف، فأثبت النبي صلى الله عليه و آله الدق، و أنكرته ام سلمة، فقال لها النبي صلى الله عليه و آله:«قومي و أفتحي له الباب» ـ إلى أن قال ـ قالت:ففتحت الباب، فأخذ بعضادتي الباب، حتى إذا لم يسمع حسيسا و لا حركة، و صرت في خدري، استأذن فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا ام سلمة، أتعرفينه؟»

قلت:نعم يا رسول الله، هذا علي بن أبي طالب.

قال:«صدقت، هو سيد أحبه، لحمه من لحمي، و دمه من دمي، و هو عيبة علمي، فاسمعي و اشهدي، و هو قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين من بعدي، فاسمعي و اشهدي، و هو قاضي عداتي، فاسمعي و اشهدي، و هو و الله محيي سنتي، فاسمعي و اشهدي، لو أن عبدا عبد الله ألف عام و ألف عام و ألف عام، بين الركن و المقام، ثم لقي الله عز و جل مبغضا لعلي بن أبي طالب و عترتي أكبه الله على منخريه يوم القيامة في نار جهنم». [٢]

٣ ـ و روى الجويني أيض، عن عبد الله بن مسعود، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أحبني فليحب علي بن أبي طالب، و من أبغض علي بن أبي طالب فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله، و من أبغض الله فقد أدخله النار». [٣]

٤ ـ و عنه أيضا عن أنس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي:«يا علي، من زعم أنه يحبني و هو يبغضك، فهو كذاب». [٤]

٥ ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، عن سلمان، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي :«يا علي، محبك محبي، و مبغضك مبغضي». [٥]

٦ ـ و عن ابن عبد البر، عن رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أحب عليا فقد أحبني، و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من آذى عليا فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله». [٦]

٧ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن ام سلمة، قالت:أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«من أحب عليا فقد أحبني، و من أحبني أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله». [٧]

٨ ـ و عنه أيضا:بإسناده عن جابر، قال:دخل علينا رسول الله صلى الله عليه و آله، و نحن في المسجد، و هو آخذ بيد علي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه و آله: «ألستم زعمتم أنكم تحبوني؟»قالوا:بلى يا رسول الله.قال:«كذب من زعم أنه يحبني، و يبغض هذا»يعني عليا عليه السلام. [٨]

٩ ـ و عنه أيض، عن سلمان الفارسي، قال:رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله ضرب فخذ علي بن أبي طالب و صدره، و سمعته يقول:«محبك محبي، و محبي محب الله، و مبغضك مبغضي، و مبغضي مبغض الله». [٩]

١٠ ـ و عنه أيض، عن زياد بن أبي زياد الأسدي عن جده قال:سمعت علي بن أبي طالب يقول:«قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله:إنك تعيش على ملتي، و تقتل على سنتي، من أحبك أحبني، و من أبغضك أبغضني». [١٠]

١١ ـ و عنه أيض، عن عمر بن عبد الله الثقفي، عن أبيه، عن جده يعلى بن مرة الثقفي، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«من أطاع عليا فقد أطاعني، و من عصى عليا فقد عصاني، و من عصاني فقد عصى الله، و من أحب عليا فقد أحبني، و من أحبني فقد أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله، لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا كافر أو منافق» . [١١]

حكاية عبد الله بن عباس عن سعيد بن جبير

روى ابن الصباغ المالكي عن محمد بن يوسف الكنجي الشافعي حكاية عن عبد الله بن عباس، و كان سعيد بن جبير يقوم [١٢] بعد كف بصره، فمر على ضفة زمزم، فإذا بقوم من أهل الشام يسبون عليا عليه السلام، فسمعهم عبد الله بن عباس، فقال لسعيد:ردني إليهم، فرده، فوقف عليهم، و قال:أيكم الساب لله تعالى؟فقالوا :سبحان الله، ما فينا أحد سب الله، !فقال:أيكم الساب لرسوله؟فقالوا:سبحان الله، ما فينا أحد سب رسول الله!قال:فأيكم الساب لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟

فقالوا:أما هذا فقد كان منه شيء، فقال:أشهد على رسول الله صلى الله عليه و آله بما سمعته أذناي، و وعاه قلبي، سمعته يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام:«يا علي، من سبك فقد سبني، و من سبني فقد سب الله، و من سب الله فقد أكبه الله على منخريه في النار»و ولى عنهم و قال :يا بني، ماذا رأيتهم صنعوا؟

قال:فقلت لهم يا أبت:

نظروا إليك بأعين محمرة ***نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال:زدني فداك أبوك، فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ***نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال:زدني فداك أبوك.فقلت:ليس عندي مزيد.

فقال:عندي المزيد.

أحياؤهم عار على أمواتهم ***و الميتون مسبة للغابر [١٣]

حب علي عليه السلام إيمان

كان علي عليه السلام صراط الحق، و مدار الحقيقة، و جوهر الإيمان، و مرآة صافية لتجلي ما في قلوب الناس فيه إذا واجهوه، و المسلمون حينئذ مؤمن و منافق، و كان من مهام الامور تمييز المؤمن عن المنافق، و كان النبي صلى الله عليه و آله يعرف المنافق بنور نبوته و وحي الله، و قد عرفهم لبعض الصحابة أصحاب الأسرار النبي منهم عمار بن ياسر.

و حيث كان علي عليه السلام مرآة صافية لتمييز المؤمن عن المنافق، صدر النبي صلى الله عليه و آله هذا التوقيع المقياس، و جعل حب علي عليه السلام و بغضه مقياسا لتشخيص الإيمان و النفاق، قال الشارح المعتزلي:و قد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين على أن النبي صلى الله عليه و آله قال:«لا يبغضك إلا منافق، و لا يحبك إلا مؤمن». (١٤)

نذكر هنا بعض ما ورد في الباب

١ ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن أبي ذر، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلي عليه السلام:«إن الله أخذ ميثاق المؤمنين على حبك، و أخذ ميثاق المنافقين على بغضك، و لو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك، و لو نثرت الدنانير على المنافق ما أحبك، يا علي، لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق». (١٥)

٢ ـ و عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبيه، قال:خطبنا رسول الله صلى الله عليه و آله يوم الجمعة، إلى أن قال:

«يا أيها الناس، أوصيكم بحب ذي أقربيه، أخي و ابن عمي علي بن أبيطالب، فإنه لا يحبه إلا مؤمن، و لا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني، و من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني عذبه الله عز و جل». (١٦)

٣ ـ و في صحيح الترمذي عن مساور الحميري، عن امه، عن ام سلمة، قالت:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«لا يحب عليا منافق، و لا يبغضه مؤمن». (١٧)

٤ ـ و عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي عليه السلام، قال:«لقد عهد إلي النبي صلى الله عليه و آله أنه لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق، قال عدي بن ثابت:أنا من القرن الذي دعا لهم النبي صلى الله عليه و آله. (١٨)

٥ ـ و روى ابن حجر العسقلاني الشافعي، عن علي عليه السلام قال:«لقد عهد إلي النبي صلى الله عليه و آله أن لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق». (١٩)

٦ ـ و عن الحارث الهمداني، قال:جاء علي عليه السلام حتى صعد المنبر، و حمد الله و أثنى عليه، ثم قال:«قضاء قضاه الله تعالى على لسان نبيكم محمد، لا يحبني إلا مؤمن، و لا يبغضني إلا منافق، و قد خاب من افترى». [٢٠]

٧ ـ و عن حبة العرني، عن علي عليه السلام، أنه قال:«إن الله أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي، و ميثاق كل منافق على بغضي، فلو ضربت المؤمن بالسيف ما أبغضني، و لو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني». [٢١]

٨ ـ و عن عبد الكريم بن هلال، عن أسلم المكي، عن أبي الطفيل، قال:سمعت عليا عليه السلام و هو يقول:«لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني، و لو نثرت [٢٢] على المنافق ذهبا و فضة ما أحبني، إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي، و ميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن، و لا يحبني منافق أبدا». [٢٣]

٩ ـ و عن عمران بن ميثم، عن أبيه ميثم، قال:شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام و هو يجود بنفسه يقول:«يا حسن».قال:الحسن:«لبيك، يا أبتاه».

قال:«إن الله أخذ ميثاق أبيك و ميثاق كل مؤمن على بغض كل منافق و فاسق، و أخذ ميثاق كل فاسق و منافق على بغض أبيك». [٢٤]

١٠ ـ و عن مجاهد، عن ابن عباس، قال:بينا نحن بفناء الكعبة و رسول الله صلى الله عليه و آله يحدثن، إذ خرج علينا مما يلي الركن اليماني شيء عظيم، كأعظم ما يكون من الفيلة، قال:فتفل رسول الله صلى الله عليه و آله و قال:«لعنت»أو قال:«خزيت».

قال:فقال علي بن أبي طالب:«ما هذ، يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟».قال:«أو ما تعرفه، يا علي؟»قال:«الله و رسوله أعلم».

قال:«هذا إبليس»فوثب إليه، فقبض على ناصيته و جذبه، فأزاله عن موضعه، و قال:«يا رسول الله، أقتله؟»قال :«أو ما علمت أنه أجل إلى الوقت المعلوم؟».

قال:فتركه من يده، فوقف ناحية، ثم قال:مالي و لك، يا ابن أبي طالب؟و الله ما أبغضك أحد إلا و قد شاركت أباه فيه، اقرأ ما قال الله تعالى:و شاركهم في الأموال و الأولاد الحديث . [٢٥]

١١ ـ و عن أبي سعيد الخدري قال:إنا كنا لنعرف المنافقين ـ نحن معشر الأنصار ـ ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام. [٢٦]

١٢ ـ و عن أنس بن مالك، قال:كان النبي صلى الله عليه و آله إذا أراد أن يشهر عليا في موطن أو مشهد، علا على راحلته، و أمر الناس أن ينخفضوا دونه، و إن رسول الله صلى الله عليه و آله شهر عليا يوم خيبر، فقال:«يا أيها الناس، من أحب أن ينظر إلى آدم في خلقه، و أنا في خلقي، و إلى إبراهيم في خلته، و إلى موسى في مناجاته، و إلى يحيى في زهده، و إلى عيسى في سننه [٢٧] فلينظر إلى علي بن أبي طالب، إذا خطر بين الصفين كأنما يتقلع من صخر، أو يتحدر من دهر» .

ثم قال:يا أيها الناس، امتحنوا أولادكم بحبه، فإن عليا لا يدعو إلى ضلالة، و لا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، و من أبغضه فليس منكم».

قال أنس بن مالك:و كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي عليه السلام، و إذا نظر إليه يوجهه بوجهه تلقاءه و أومأ بإصبعه:أي بني، تحب هذا الرجل المقبل؟فإن قال الغلام:نعم، قبله، و إن قال:ل، حرف به الأرض، و قال له:ألحق بأمك، و لا تلحق أبيك بأهله، فلا حاجة لي فيمن لا يحب علي بن أبي طالب عليه السلام. [٢٨]

١٣ ـ و عن أبي سعيد الخدري، قال:ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببغضهم عليا عليه السلام. [٢٩]

تعليقات:

١.ينابيع المودة، ص ١٣٤، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٥١، ح ١١٤.

٢.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣١، ح ٢٥٧.

٣.المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٢، ح ٩٤.

٤.المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ح ٩٤.

٥.المناقب لابن المغازلي، ص ١٩٦، ح ٢٣٣.

٦.الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٧.

٧.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٩٠، ح ٦٧٣.

٨.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٥، ح ٦٦٤.

٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٧، ح ٦٦٩.

١٠.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٨، ح ٦٧٠.

١١.المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٨، ح ٦٧١.

١٢.كذا في المصدر، و لعل الصحيح:يقوده أو فيه سقط:يقوم بخدمته.

١٣.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٧.

١٤.شرح ابن ابي الحديد، ج ٤، ص ٨٣.

١٥.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٤، ح ٦٩٥.

١٦.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٧، ح ٦٩٨.

١٧.صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٤، ح ٣٧١٧، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٦٩٩.

١٨.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٠١، باب المناقب ح ٣٧٣.

١٩.الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٣.

٢٠.الفصول المهمة، ص ١٢٥.

٢١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ٨٣.

٢٢.نثرت:أي صببت.

٢٣.المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٣.

٢٤.ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٦٩٧.

٢٥.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٦، ح ٧٣١، و الآية من الإسراء، ١٧، و روى نحوه الكنجي في كفاية الطالب، ص ٦٩.

٢٦.صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٣، ح ٣٧١٧.

٢٧.في نسخة:سنه.

٢٨.ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٧٣٠.

٢٩.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٥.

٢٩.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٥.

حب علي عليه السلام سعادة

من خلال دراسة الأخبار الواردة في كتب الفريقين عن النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين عليهم السلام في فضيلة محبة علي عليه السلام، و أن الشقاء في بغضه و عدائه، يحصل لنا يقين بأن حب علي عليه السلام في المرتبة الاولى من العقائد بعد الإيمان بالله و رسول الإسلام الكريم، و أن سعادة أي إنسان رهينة بمحبته و اتباع أوامره، و على العكس من ذلك فإن الشقاء و التعاسة في عدائه و مخالفته.

و لا يعدو الحق ذلك، لأن محبته و إطاعة أوامره تعني الالتزام بأوامر الإسلام المحمدي الأصيل، و هو يستتبع حتما السعادة في الدنيا و النجاة من النار و دخول الجنة في الآخرة، كما أن مخالفته و عداءه هي الانحراف عن الإسلام الحقيقي، و نتيجة ذلك الخسران المبين في الدنيا و الآخرة و الخلود في العذاب الأليم، و يؤيد ما قلناه بعض الأخبار التي وردت بهذا المضمون، و منها:

١ ـ روى الصفوري الشافعي، عن أنس، قال:قال النبي صلى الله عليه و آله:«صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب».و قال الحسن:«قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله:أدع لي سيد العرب يعني عليا فلما جاء أرسل إلى الأنصار، فقال:يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على من إذا تمسكتم به لن تضلوا بعده؟قالوا:بلى يا نبي الله.قال:هذا علي فأحبوه بحبي، و أكرموه بكرامتي، فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله تعالى». [١]

٢ ـ و روى الديلمي، عن عمر بن الخطاب قال:قال النبي صلى الله عليه و آله:«حب علي براءة من النار». [٢]

٣ ـ و عنه أيض، عن ابن عباس، قال صلى الله عليه و آله:«حب علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تاكل النار الحطب». [٣]

٤ ـ و عنه أيض، عن معاذ بن جبل، قال صلى الله عليه و آله:«حب علي بن أبي طالب حسنة لا يضر معها سيئة، و بغضة سيئة لا تنفع معها حسنة». [٤]

٥ ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن الأصبغ بن نباته، و أبي مريم الخولاني، قالا:سمعنا عمار بن ياسر و هو يقول:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«يا علي، إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بشيء أحب إلى الله منه، و هي زينة الأبرار عند الله:الزهد في الدني، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئ، و لا تنال الدنيا منك شيئ، و وهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباع، و يرضون بك

إمام، فطوبى لمن أحبك و صدق فيك، فهم جيرانك في دارك، و رفقاؤك في جنتك، و أما من أبغضك و كذب عليك، فحق على الله أن يوقفهم يوم القيامة موقف الكذابين» . [٥]

٦ ـ و روى الخطيب البغدادي و الكنجي عن ابن عباس، قال:قلت للنبي صلى الله عليه و آله:يا رسول الله، للنار جواز؟قال:«نعم».قلت:و ما هو؟قال:«حب علي بن أبي طالب». [٦]

٧ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن محمد بن منصور الطوسي، قال:سمعت أحمد بن حنبل ـ في حديث ـ يقول :الحديث الذي ليس عليه لبس هو قول النبي صلى الله عليه و آله:«يا علي، لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق.و قال الله عز و جل:إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، [٧] فمن أبغض عليا فهو في الدرك الأسفل منالنار». [٨]

٨ ـ و عنه أيض، عن عاصم بن ضمرة، قال:سمعت عليا عليه السلام يقول:«إن محمدا صلى الله عليه و آله أخذ بيدي ذات يوم فقال:من مات و هو يبغضك ففي سنة جاهلية، يحاسب بما عمل في الإسلام، و من عاش بعدك و هو يحبك ختم الله له بالأمن و الإيمان ما طلعت شمس و غربت حتى يرد علي الحوض». [٩]

٩ ـ و روى الجويني، بسنده عن سعيد بن محمد الوراق، و ابن الصباغ المالكي، عن علي بن الحزور، قال :سمعت أبا مريم الثقفي يقول:سمعت عمار بن ياسر يقول:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام:«يا علي، طوبى لمن أحبك و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب فيك». [١٠]

١٠ ـ و عنه أيض، عن أنس، قال:قال رسول الله:«إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر، فيقال لي :إرق فأرقاه، فأكون أعلاه، ثم ينادي مناد:أين علي، فيكون دوني بمرقاة، فيعلم جميع الخلائق أن محمدا سيد المرسلين، و أن عليا سيد الوصيين».

قال أنس:فقام إليه رجل من ـ يعني من الأنصار ـ فقال:يا رسول الله، فمن يبغض عليا بعد هذا؟فقال :«يا أخا الأنصار، لا يبغضه من قريش إلا سفحي، و لا من الأنصار إلا يهودي، و لا من العرب إلا دعي، و لا من سائر الناس إلا شقي». [١١]

١١ ـ و فيه أيضا:بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبيطالب عليهم السلام، قال :«إن النبي صلى الله عليه و آله أخذ بيد الحسن و الحسين عليهما السلام، فقال:«من أحبني و أحب هذين و أباهما و امهم، كان معي في درجتي يوم القيامة». [١٢]

١٢ ـ و عنه أيض، عن زيد بن يثيع، قال:سمعت أبا بكر بن أبي قحافة يقول:رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله خيم خيمة ـ و هو متكىء على قوس عربية ـ و في الخيمة علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.فقال:«يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، و حرب لمن حاربهم، و ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد [١٣] ، طيب المولد، و لا يبغضهم إلا شقي الجد، ردىء الولادة».

قال رجل:يا زيد، أنت سمعت منه؟قال:إي، و رب الكعبة. [١٤]

١٣ ـ و عنه أيض، عن زيد بن أرقم، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«من أحب أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنة الخلد التي و عدنى ربي، و إن ربي غرس قضبانها بيده، فليوال علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، و لن يدخلكم في ضلالة». [١٥]

١٤ ـ و عنه أيض، عن أبي الزبير المكي، قال:سمعت جابر بن عبد الله يقول:كان رسول الله صلى الله عليه و آله بعرفات، و علي عليه السلام تجاهه، فأومأ إلي و إلى علي عليه السلام فأتيناه، فقال :«ادن مني يا علي»، فدنا علي منه، فقال:«اطرح خمسك في خمسي»يعني كفك في كفي«يا علي، أنا و أنت من شجرة، أنا اصله، و أنت فرعه، و الحسن و الحسين أغصانه، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة.يا علي، لو أن امتي صاموا حتى يكونوا كالحناي، و صلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك، لأكبهمالله تعالى في النار». [١٦]

١٥ ـ و روى ابن الصباغ المالكي، عن (معالم العترة النبوية) :مرفوعا إلى فاطمة عليها السلام قالت:خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله عشية عرفة، فقال:«إن الله باهى بكم و غفر لكم عامة، و لعلي خاصة، و إني رسول الله غير محاب لقرابتي، إن السعيد كل السعيد من أحب عليا في حياته و بعد موته». [١٧]

١٦ ـ و عنه أيض، عن الطبراني، بسنده عن فاطمة عليها السلام عين الحديث السابق و زاد في ذيله:«إن الشقي كل الشقي من أبغض عليا في حياته و بعد مماته». [١٨]

١٧ ـ و روى الخوارزمي، عن الحسن البصري، عن عبد الله، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب عليه السلام على الفردوس، و هو جبل قد علا على الجنة، و فوقه عرش رب العالمين، و من سفحه تنفجر أنهار الجنة، و تتفرق في الجنان، و هو

جالس على كرسي من نور، يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلا و معه براءة بولايته، و ولاية أهل بيته، يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة، و مبغضيه النار». [١٩]

١٨ ـ و روى المحب الطبري، عن قيس بن أبي حازم، قال:التقى أبو بكر و علي بن أبي طالب عليه السلام فتبسم أبو بكر في وجه علي عليه السلام فقال له:«مالك تبسمت؟».

قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي عليه السلام الجواز». [٢٠]

علي عليه السلام و شيعته هم الفائزون

لقد وردت روايات كثيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله يدل مضمونها على أن عليا عليه السلام و شيعته هم الفائزون، و هذه الحقيقة مسلمة لا ينبغي الشك فيه، لأن الآيات القرانية التي تبشر بالفوز العظيم تطرح أمورا توجد في أشخاص يمثل علي عليه السلام أبرز مصاديقهم، و الصورة الكاملة لما تطلبه الآية، و مما لا شك فيه أن من يتبع سبيل علي عليه السلام سوف يدخل في إطار هذه الآية، و يكون من مصاديقها و مصداقا لذلك الفوز العظيم.

و نحن نشير إلى بعض الآيات من أجل أن يطلع عليها القارىء العزيز ليتضح من خلالها أن الروايات الواردة في هذا الباب تنطبق تماما على آيات القرآن الكريم:

فمنها قوله تعالى:من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما. [٢١] فهل هناك من هو أشد طاعة لله و رسوله من علي عليه السلام؟و هل هناك من هو كعلي عليه السلام لم يغفل عن طاعة الله طرفة عين؟و من يمكن أن يكون مصداقا ناطقا للآية أكمل و أفضل من علي عليه السلام؟.لا يوجد أبد، فلم نر أحدا أطاع الله و رسوله طاعة تامة كطاعة علي عليه السلام، و على هذا فإن علي ـ و طبقا لهذا الآية ـ مصداق بين للفائزين، و تبعا لذلك فإن كل من يتبع سبيل علي عليه السلام سيفوز فوزا عظيما.و قوله تعالى:و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه فاولئك هم الفائزون. [٢٢] فهل هناك مصداق أسمى من علي في طاعته لله و رسوله، و خشيته الله، و عدم عصيانه له؟كل، و لهذا فإنه الفائز و المحبو بهذه الكرامة الإلهية، و هي تشمل شيعته أيضا.و قوله تعالى :الذين آمنوا و هاجروا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون. [٢٣] ألم يكن علي عليه السلام أول من آمن؟ألم يكن أول مهاجر، و أكثر المهاجرين هجرة في سبيل الله؟ألم يكن علي أفضل

مجاهد في سبيل الله؟و عليه فعلي عليه السلام أظهر مصداق للآية، فهو الفائز، و كل من يعمل بهذه الآية و يتبع سبيل علي، فإنه من شيعته، و هو من الفائزين.

و الآيات المشتملة على كلمة (الفوز) كثيرة، و إنما لا نزيد في هذا الإيضاح رعاية للاختصار، و فيما يلي نلفت أنظار القراء الأعزاء إلى الروايات التي وردت في هذا الباب:

١ ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن جابر بن عبد الله قال:كنا عند النبي صلى الله عليه و آله فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه و آله:«قد أتاكم أخي»ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال:«و الذي نفسي بيده، إن هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة».

ثم قال:«إنه أولكم إيمانا معي، و أوفاكم بعهد الله، و أقومكم بأمر الله، و أعدلكم في الرعية، و أقسمكم بالسوية، و أعظمكم عند الله مزية».

قال:و نزلت:إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية [٢٤] قال:فكان أصحاب محمد صلى الله عليه و آله إذا أقبل علي عليه السلام قالوا:«قد جاء خير البرية». [٢٥]

٢ ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، عن محمد بن سالم، و عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:«يا علي، إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب و الذنوب وجوههم كالقمر في ليلة البدر، و قد فرجت عنهم الشدائد، و سهلت لهم الموارد، و أعطوا الأمن و الأمان، و ارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس و لا يخافون، ويحزن الناس و لا يحزنون، شرك نعالهم تتلألأ نور، على نوق بيض لها أجنحة، قد ذللت من غير مهانة، و نجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله عز و جل». [٢٦]

٣ ـ و روى الجويني، عن علي بن موسى الرض، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال :قال رسول الله:«أتاني جبرئيل عن ربي عز و جل و هو يقول:ربي يقرؤك السلام و يقول لك:بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات و يؤمنون بك و بأهل بيتك بالجنة، فلهم عندي الجزاء الحسنى، و سيدخلون الجنة». [٢٧]

٤ ـ و أخبره بهذه الرواية المدائني، بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:«قال رسول الله صلى الله عليه و آله:يا علي، إن الله غفر لك و لأهلك و لشيعتك و لمحبي شيعتك و محبي محبي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم». [٢٨]

٥ ـ و روى علي بن أبي بكر الهيثمي، عن عبد الله بن أبي نجي:أن عليا عليه السلام اتي يوم النضير بذهب و فضة، فقال:«ابيضي و اصفري و غري غيري، غري أهل الشام غدا إذا ظهروا عليك»فشق قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس فدخلوا عليه، قال:«إن خليلي عليه السلام قال:يا علي، إنك ستقدم على الله و شيعتك راضين مرضيين، و يقدم عليك عدوك غضاب مقمحين» [٢٩] ثم جمع يده إلى عنقه يريهم الإقماح. [٣٠]

٦ ـ و روى ابن حجر الهيتمي، عن طريق الديلمي:أنه قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا علي، أنت و شيعتك تردون علي الحوض رواء مرويين، مبيضة وجوهكم، و إنأعداءكم يردون علي الحوض ظماء مقمحين». [٣١]

٧ ـ و روى الخطيب الخوارزمي، عن إبراهيم بن مهاجر، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام، قال:سمعت عليا عليه السلام يقول:حدثني رسول الله صلى الله عليه و آله و أنا مسنده إلى صدري، فقال:«أي علي، ألم تسمع قول الله تعالى:«إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية أنت و شيعتك، و موعدي و موعدكم الحوض، إذا جاءت الامم للحساب تدعون غرا محجلين». [٣٢]

٨ ـ و أخرج العلامه جمال الدين الزرندي الحنفي عن إبراهيم بن شيبة الأنصاري، قال:جلست عند الأصبغ بن نباتة فقال:ألا أقرأ عليك ما أملاه علي بن أبي طالب عليه السلام؟فأخرج صحيفة فيها مكتوب:«بسم الله الرحمن الرحيمهذا ما أوصى به محمد صلى الله عليه و آله أهل بيته و أمته، أوصى أهل بيته بتقوى الله و لزوم طاعته، و أوصى امته بلزوم أهل بيته، و أهل بيته يأخذون بحجزة [٣٣] نبيهم صلى الله عليه و آله، و أن شيعتهم يأخذون بحجزتهم يوم القيامة، و أنهم لن يدخلوكم في باب ضلالة، و لن يخرجوكم من باب هدى» [٣٤] .

تعليقات:

١.نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٨.

٢.الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٣.

٣.الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٢.

٤.الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٥.

٥.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢١٢، ح ٧٠٧.

٦.تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٦١، كفاية الطالب، ص ٣٢٥.

٧.النساء، ١٤٥.

٨.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٥٣، ح ٧٦٧.

٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٧٣٨.

١٠.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٢٩، ح ٩١، الفصول المهمة، ص ١٢٧.

١١.المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ح ٩٧.

١٢.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥، ح ٣٦٦.

١٣.الجد:الحظ.

١٤.المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٣.

١٥.المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥، ح ٢٠.

١٦.المصدر السابق، ج ١، ص ٥١، ح ١٦.

١٧.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٥.

١٨.المصدر السابق، ص ١٢٥.

١٩.المناقب للخوارزمي، ص ٣١.

٢٠.ذخائر العقبى، ص ٧١.

٢١.الأحزاب، ٧١.

٢٢.النور، ٥٢.

٢٣.التوبة، ٢٠.

٢٤.البينة، ٦.

٢٥.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٩٥١.

٢٦.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٩٦، رقم ٣٣٩.

٢٧.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٠٧، رقم ٢٤٦.

٢٨.المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٨، رقم ٢٤٧.

٢٩.الإقماح:رفع الرأس و غض البصر.من الذل، و أن يضيق الغل على العنق فيضطر إلى رفع الرأس

.

٣٠.مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣١.

٣١.الصواعق المحرقة، ص ١٦١.

٣٢.المناقب للخوارزمي، ص ١٨٧.

٣٣.أخذ بحجزته:النجاء إليه و استعان به.

٣٤.نظم درر السمطين، ص ٢٤٠.

نظم درر السمطين، ص ٢٤٠.34

علي عليه السلام في ليلة المعراج

الروايات الواردة في هذا البحث تدل على أن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله قد رأى مثال علي عليه السلام و نوره في مواضع مختلفه من هذا السفر الخطير، و رأى اسمه مكتوبا على ساق العرش و على باب الجنة، و في ذلك دلالة واضحة على عظمة علي عليه السلام و سمو منزلته بعد الرسول صلى الله عليه و آله.

المعراج حقيقة إسلامية ثابتة

من المسائل التي اتفق عليها علماء الإسلام مسألة المعراج، و ذلك لأن القرآن الكريم يشهد بها في الآية الاولى من سورة الإسراء و الآيات ٥ ـ ١٨ من سورة النجم، و من جهة اخرى فإن الروايات المتواترة تؤيد أن هذا السفر السماوي قد تم مرتين.

و من وجهة نظر الشيعة الإمامية و كثير من علماء السنة فإن معراج النبي صلى الله عليه و آله هذا كان معراجا جسمانيا لا روحي، و هم يعتقدون كذلك أن هذا السفر الطويل قد تم في ليلة واحدة، و أنه بدأ من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، و من هناك إلى السماء، ثم انتهى بالعودة إلى مكة.

فمن الآيات القرآنية التي ذكر فيها قوله تعالى:سبحان الذي أسرى [١] بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير. [٢] و قد حدث هذا السفر مرة ثانية، حيث يقول القرآن الكريم:و لقد رآه نزلة اخرى*عند سدرة المنتهى*عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى*ما زاغ البصر و ما طغى*لقد رأى من آيات ربه الكبرى . [٣]

فضائله عليه السلام ليلة المعراج

فيما يلي نورد بعض ما روي في هذا الباب من الأخبار و الروايات:

١ ـ عن أنس بن مالك، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«مررت ليلة اسري بي إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور، و الملائكة تحدق به فقلت:يا جبرئيل، من هذا الملك؟ فقال:ادن منه فسلم عليه، فدنوت منه و سلمت عليه، فإذا أنا بأخي و ابن عمي علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت:يا جبرئيل، سبقني علي بن أبي طالب إلى السماء الرابعة؟

فقال:ل، يا محمد، و لكن الملائكة شكت حبها لعلي، فخلق الله هذا الملك من نور علي و صورة علي، فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة و يوم جمعة سبعين مرة، يسبحون و يقدسون الله، و يهدون ثوابه لمحبي علي عليه السلام». [٤]

٢ ـ و عن عبد الله بن حكيم الجهني، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إن الله أوصى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة اسري بي:أنه سيد المؤمنين، و إمام المتقين، و قائد الغر المحجلين» . [٥]

٣ ـ و عن أبي الحمراء، خادم رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«لما اسري بي رأيت في ساق العرش مكتوبا:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، صفوتيمن خلقي أيدته بعلي و نصرته به». [٦]

٤ ـ و عن أبي الحمراء أيض، قال:قال النبي صلى الله عليه و آله:«ليلة اسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوبا:أنا الله وحدي، لا إله غيري، غرست جنة عدن بيدي، لمحمد صفوتي، أيدته بعلي». [٧]

٥ ـ و عن ابن عباس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لما عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوبا:لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه و آله، علي حبيب الله، الحسن و الحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على مبغضهم لعنة الله». [٨]

٦ ـ و عن عبد الله بن مسعود، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لما اسري بي إلى السماء أمر بعرض الجنة و النار علي فرأيتهما جميع، رأيت الجنة و ألوان نعيمه، و رأيت النار و ألوان عذابه، فلما رجعت قال لي جبرئيل عليه السلام:هل قرأت يا رسول الله، ما كان مكتوبا على أبواب الجنة، و ما كان مكتوبا على أبواب النار؟فقلت:ل، يا جبرئيل.

قال:إن للجنة ثمانية أبواب، على كل باب منها أربع كلمات، كل كلمة منها خير من الدنيا و ما فيها لمن تعلمها و استعمله، و إن للنار سبعة أبواب، على كل باب منها ثلاث كلمات، كل كلمة منها خير من الدنيا و ما فيها لمن تعلمها و استعملها.

فقلت:يا جبرئيل ارجع معي لأقرأه، فرجع معي جبرئيل عليه السلام، فبدأ بأبواب الجنة، فإذا على الباب الأول منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، لكل شيء حيلة، و حيلة طيب العيش في الدنيا أربع خصال:القناعة، و نبذ الحقد، و ترك الحسد، و مجالسة أهل الخير .

و على الباب الثاني مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، لكلشيء حيلة، و حيلة السرور في الآخرة أربع خصال:مسح رأس اليتامي، و التعطف على الأرامل، و السعي في حوائج المسلمين، و تفقد الفقراء و المساكين.

و على الباب الثالث منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، لكل شيء حيلة، و حيلة الصحة في الدنيا أربع خصال:قلة الكلام، و قلة المنام، و قلة المشي، و قلة الطعام .

و على الباب الرابع منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليبر و الديه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت.

و على الباب الخامس منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، من أراد أن لا يذل فلا يذل، و من أراد أن لا يشتم فلا يشتم، و من أراد أن لا يظلم فلا يظلم، و من أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بقول«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله».

و على الباب السادس منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، من أحب أن يكون قبره واسعا فسيحا فلينق المساجد، من أحب أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، من أحب أن لا يظلم لحده فلينور المساجد، و من أراد أن يبقى طريا تحت الأرض فلا يبلى جسده، فلينشر بسط المساجد.

و على الباب السابع منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، بياض القلب في أربع خصال:في عيادة المريض، و اتباع الجنائز، و شراء أكفان الموتى، و دفع القرض.

و على الباب الثامن منها مكتوب:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، من أراد الدخول في هذه الأبواب الثمانية فليتمسك بأربع خصال:بالصدق، و السخاء، و حسن الأخلاق، و كف الأذى عن عباد الله عز و جل.

ثم جئنا إلى أبواب جهنم، فإذا على الباب الأول منه، مكتوب ثلاث كلمات:لعن الله الكذابين، لعن الله الباخلين، لعن الله الظالمين.

و على الباب الثاني منها مكتوب ثلاث كلمات:من رجا الله سعد، و من خاف الله أمن، و الهالك من رجا سوى الله و خاف غيره.

و على الباب الثالث منها مكتوب:من أراد أن لا يكون عريانا في القيامة فليكس الجلود العارية، و من أراد أن لا يكون عطشانا في القيامة فليسق العطشان في الدنيا.

و على الباب الرابع منها مكتوب ثلاث كلمات:أذل الله من أهان الإسلام، أذل الله من أهان أهل بيت نبي الله، أذل الله من أعان الظالمين على ظلم المخلوقين.

و على الباب الخامس منها مكتوب ثلاث كلمات:لا تتبع الهوى، فإن الهوى يجانب الإيمان، و لا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط عن عين ربك، و لا تكن عونا للظالمين، فإن الجنة لم تخلق للظالمين.

و على الباب السادس منها مكتوب ثلاث كلمات:أنا حرام على المجتهدين، أنا حرام على المتصدقين، أنا حرام على الصائمين.

و على الباب السابع منها مكتوب ثلاث كلمات:حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبو، و وبخوا أنفسكم قبل أن توبخو، و ادعوا الله قبل أن تردوا عليه و لا تقدرون على ذلك». [٩]

جلاله عليه السلام في القيامة

إن نظام الحياة الفردية يوم القيامة يكون على عكس الحياة المادية في الدني، فإن كل إنسان يتلقى في القيامة نتائج أعماله و جزاءها و هو رهين ما قدم من أعمال كل أمرىء بما كسب رهين [١٠] ، و في الحديث:«الدنيا مزرعة الآخرة»إلا فئة من الناس لا يكونون رهن شيء، و اولئك هم أصحاب اليمين، كما يعبر القرآن عنهم بذلك كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين. [١١] إن الأحرار الذين يفعلون ما يشاؤون خيرا أو شرا في الدنيا معذبون في الآخرة، و الطلقاء اليوم مقيدون غد، إلا أصحاب اليمين، فإنهم ينعمون بسرور خاص.

و ينبغي الالتفات إلى أنه بغض النظر عن الجنة، و ما اعد فيها من النعم للمؤمنين، و النار و ما فيها من أنواع العذاب الذي ينتظر المجرمين، فإنه توجد في القيامة أنوار و سعادات هي عين وجود الإنسان المؤمن، و سلسلة من الظلمات و أنواع العذاب هي عين وجود الإنسان الكافر الضال، يقول القرآن الكريم في المؤمنين:يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم. [١٢] و يقول في موضع آخر:فأما إن كان من المقربين فروح و ريحان و جنة نعيم. [١٣]

و على عكس ذلك فإنه يصف الكافرين بأنهم حطب جهنم و وقوده، فيقول:فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة. [١٤] و يقول في موضع آخر:و أما القاسطونفكانوا لجهنم حطبا. [١٥]

و إذا عرفنا درجات علي بن أبي طالب و مراتبه السامية، فهو نفس النبي صلى الله عليه و آله و أخوه و وصيه بلا فصل، و هو الذي كان نورا بكل وجوده في هذه الدني، و هو الطاهر العدل الذي كان يضحي بنفسه في سبيل الإسلام، و فيه نزلت:و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله [١٦] و هو مظهر الصفات الحميدة و مكارم الأخلاق، و هو قدوة الإنسانية و نموذج الإنسان الكامل بعد رسول الله، و كان يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه و آله خطوة بعد خطوة و لا يحيد عنه أبدا...

إذا عرفنا ذلك فإنه سير تقي في القيامة أعلى الدرجات، و يتجلى بأجمل صفات الأنبياء و المقربين.

و إذا لاحظنا الأخبار و الروايات المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و الموجودة في كتب الفريقين، و التي تشير إلى عظمة علي عليه السلام و جلاله في يوم القيامة، عرفنا مدى تلك العظمة و الجلال، و نحن نذكر بعضا من تلك الأخبار:

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه سئل عن قول الله عز و جل :وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجرا عظيما [١٧] قال:سأل قوم النبي صلى الله عليه و آله فقالوا:فيمن نزلت هذه الآية، يا نبي الله؟

قال:«إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض، فإذا مناد:ليقم سيد المؤمنين و معه الذين آمنوا بعد بعث محمد صلى الله عليه و آله، فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، و يعرض الجميع عليه رجلا رجلا فيعطى أجره و نوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم:قد عرفتموضعكم و منازلكم من الجنة، إن ربكم يقول:عندي مغفرة و أجر عظيم، يعني الجنة، فيقوم علي و القوم تحت لوائه معهم حتى يدخل بهم الجنة.

ثم يرجع إلى منبره، فلا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة، و ينزل أقواما إلى النار، فذلك قوله تعالى:و الذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم أجرهم و نورهم. [١٨] يعني السابقين الأولين من المؤمنين و أهل الولاية و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم [١٩] ، يعني بالولاية بحق علي، و حق علي عليه السلام الواجب على العالمين». [٢٠]

٢ ـ و روى الصفوري الشافعي و أبو نعيم الأصفهاني و الجويني، عن أنس، قال:بعثني النبي صلى الله عليه و آله إلى أبى برزة الأسلمي، فقال له و أنا أسمع:«يا أبا برزة، إن رب العالمين عهد إلي

عهدا في علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:إنه راية الهدى، و منار الإيمان، و نور جميع من أطاعني، و إمام أوليائي.

يا أبا برزة:علي بن أبي طالب أميني غدا في القيامة، و صاحب رايتي في القيامة، و علي مفاتيح خزائن رحمة ربي». (٢١)

٣ ـ روى الجويني، عن عامر الطائي، عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال:«قال رسول الله صلى الله عليه و آله:ليس في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقام إليه رجل من الأنصار، فقال:فداك أبي و امي و من هم؟

قال:«أنا على دابة الله البراق، و أخي صالح على ناقة الله عز و جل التي عقرت، و عمى حمزة على ناقتي العضباء، و أخي علي على ناقة من نوق الجنة، و بيده لواء الحمد، ينادي:لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فيقول الآدميون:ما هذا إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو حامل عرش، فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش:يامعشر الآدميين، ليس هذا ملكا مقرب، و لا نبيا مرسل، و لا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب». (٢٢)

٤ ـ و في الرياض النضرة عن أنس قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لعلي يوم القيامة ناقة من نوق الجنة فتركبها و ركبتك مع ركبتي، و فخذك مع فخذي، حتى تدخل الجنة». (٢٣)

٥ ـ و فيه أيضا عن علي عليه السلام، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا علي، إنك أول من يقرع باب الجنة، فتدخلها بغير حساب بعدي» (٢٤).

٦ ـ و روى الجويني، عن ابن عباس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أعطاني ربي عز و جل في علي خصالا في الدني، و خصالا في الآخرة:أعطاني به في الدنيا أنه صاحب لوائي عند كل شدة و كريهة، و أعطاني به في الدنيا أنه غامضي و غاسلي و دافني، و أعطاني به في الدنيا أنه لن يرجع بعدي كافرا.

و أعطاني به في الآخرة أنه صاحب لواء الحمد يقدمني به، و أعطاني به في الآخرة أنه متكىء في طول الحشر يوم القيامة، و أعطاني به في الآخرة أنه عون لي على حمل مفاتح الجنة». (٢٥)

٧ ـ و عنه أيض، عن ابن مسعود قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«علي بن أبي طالب حلقة معلقة بباب الجنة من تعلق بها دخل الجنة». (٢٦)

تعليقات:

١.الاسراء:هو السفر ليل، و هو يقابل السير الذي هو السفر نهار، و لذلك وردت لفظة (ليلا) لتوٴيد أن هذا السفر قد تم في ليلة واحدة، و أن السفر كان إلى المسجد الأقصى، و من هناك إلى السماوات، كما ورد في النجم.

٢.الاسراء، ١.

٣.النجم، ١٣ الى ١٨.

٤.أرجح المطالب، ص ٥٢٨، عن كفاية الطالب للكنجي الشافعي.

٥.أخبار اصبهان، ج ٢، ص ٢٢٩، لأبي نعيم الأصفهاني، مناقب الخوارزمي، ص ٢١٠.

٦.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٣٥، ح ١٨٣، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٧٣، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٢١.

٧.المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٧، ح ١٨٥، مناقب الخوارزمي، ص ٢٣٤.

٨.مناقب الخوارزمي، ص ٢٤٠، كفاية الطالب، ص ٢٧٤.

٩.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٣٨، ح ١٨٦.

١٠.الطور، ٢١.

١١.المدثر، ٣٨ و ٣٩.

١٢.الحديد، ١٢.

١٣.الواقعة، ٨٨.

١٤.البقرة، ٢٤.

١٥.الجن، ١٦.

١٦.البقرة، ٢٠٧، و قد نزلت هذه الآية في علي عليه السلام عند ما بات في فراش رسول الله صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة، و ذكرنا ذلك في هذا الفصل، في«مبيته في فراش النبي صلى الله عليه و آله».

١٧.الفتح، ٢٩.

١٨.الحديد، ١٩.

١٩.الحديد، ١٩.

٢٠.المناقب لابن المغازلي، ص ٣٢٢، ح ٣٦٩.

٢١.حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٦، نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٨، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤، ح ١٠٨.

٢٢.فرائد السمطين، ج ١ ص ٨٧، ح ٦٦.

٢٣.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٨٦.

٢٤.المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٤.

٢٥.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٢٨، ح ١٧٨.

٢٦.المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٠، ح ١٤٣.

٢٦.المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٠، ح ١٤٣.

علي عليه السلام قسيم الجنة و النار

مما لا شك فيه أن الجنة و النار في القيامة هي ثمرة أعمال الإنسان في مزرعة الدنيا فكلما كانت أعمالنا منسجمة مع مبادىء الإسلام، و منطبقة مع الموازين الشرعية الإلهية، فإنها تقربنا إلى الله جل و عل، و إلى الجنة زلفى، في نفس الوقت الذي تبعدنا عن النار، فأعمال الفرد هي الكفيلة بإيصاله إلى الجنة أو النار.

إن النبي و وصيه علي عليهما السلام يمثلان نموذجين متكاملين لقوانين الإسلام، و كذا شأن الأئمة المعصومين عليهم السلام من بعدهم، فكلما كانت أعمالنا إليهم اقرب فنحن إلى مبادىء الإسلام و إلى الجنة أقرب، و إنما نزداد قربا من النار كلما ابتعدنا عنهم.

لقد جاء في بعض الأحاديث«حب علي إيمان، و بغضه كفر» [1] و نفهم منه أن حب علي عليه السلام ميزان لمصير العباد إلى الجنة، كما أن بغضه سبب في المصير إلى النار.

و لا يخفى أن الحب و البغض هنا ليسا أمرا ذهنيا فقط، أو أمرا شعوريا كما يتوهم، بل الحب و البغض لا يكون إلا بالعمل، و لذا ورد في الحديث«هل الدين إلا الحب».

إذ من كان يبغض عليا فلا يسير على نهج علي عليه السلام، و بالنتيجة لا يكون عمله منطبقا مع مبادىء، الإسلام، و من يحب عليا و كان عمله مطابقا لعمل علي عليه السلام فهو يدخل الجنة، فلعل المراد بكونه عليه السلام«قسيم الجنة و النار»هذا المعنى، و قد يراد أنه قسيمهما فعل، حيث ورد في الحديث على ما سيأتي أنه عليه السلام يقول للنار«هذا لي، و هذا لك»و الله العالم.فعلى هذ، إن البعض ممن يدعي حب علي عليه السلام كالدراويش و الصوفية أو بعض من لا دراية له، و لكن لا يعمل بمنهج علي عليه السلام، لا يتوقع أن يدخل الجنة لمجرد محبته لعلي عليه السلام بلا عمل، كما قال الله تعالى:إن الذين آمنو و عملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة. [2]

و قال علي عليه السلام لعثمان بن حنيف عامله على البصرة:«ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدي به، و يستضيء بنور علمه» [3] ، و ليس معنى الاقتداء بالإمام إلا العمل بطريقته، و إليك بعض الأخبار التي توضح ما قلنا :

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي، عن علي عليه السلام، أنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إنك قسيم النار، و إنك تقرع باب الجنة، و تدخلها بغير حساب». [4]

٢ ـ و روى الخوارزمي بالاسناد عن علي عليه السلام، أنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا علي، إنك قسيم الجنة و النار، و إنك تقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب» [٥] .

٣ ـ و روى أيضا بالاسناد عن علي عليه السلام، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا علي، إني سألت الله فيك خمس خصال فأعطاني...إلى أن قال:و أما الخامسة فسألت ربي أن تكون قائد أمتي إلى الجنة فأعطاني، فالحمد الله الذي من علي بذلك». [٦]

٤ ـ و روى الجويني، بسنده عن عباية، عن علي عليه السلام، قال:«أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت:هذا لك، و هذا لي»

علي حبه جنة *** قسيم النار و الجنه

وصي المصطفى حقا *** إمام الإنس و الجنة [٧]

و أخرج هذا الحديث أيضا ابن كثير في البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٥٥، القاهرة ـ مصر.

٥ ـ و عن محمد بن منصور الطوسي أنه قال:كنا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل:يا أبا عبد الله، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أن عليا عليه السلام قال:«أنا قسيم النار»؟

فقال أحمد:و ما تنكرون من هذا الحديث، أليس روينا أن النبي صلى الله عليه و آله قال لعلي :«لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق؟».قلنا:بلى.قال:فأين المؤمن؟قلنا:في الجنة.قال :فأين المنافق؟قلنا:في النار.قال:فعلي قسيم النار. [٨]

٦ ـ و في صواعق ابن حجر:و أخرج الدار قطني، أن عليا عليه السلام قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاما طويلا من جملته:«أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه و آله:يا علي أنت قسيم الجنة و النار يوم القيامة، غيري؟»، قالوا:اللهم لا.

ثم قال ابن حجر:و معناه ما روي عن علي الرض، أنه صلى الله عليه و آله قال لعلي:«أنت قسيم الجنة و النار، فيوم القيامة تقول للنار:هذا لي و هذا لك». [٩]

ذكر علي عليه السلام و النظر إليه عبادة

في معنى الذكر

الذكر ربما قابل الغفلة، [١٠] و ربما قابل النسيان، [١١] و للذكر خواص و آثار تترتب عليه، و من الآثار المترتبة على الذكر هو التذكر بالقول و اللسان، يعني أن من يذكر شيئا بلسانه فهو من آثار الذكر القلبي و عدم الغفلة، و عدم نسيانه، فإطلاق الذكر على التذكر بالقول و اللسان من باب

استعمال اللفظ في فوائد المعنى، ثم كثر استعماله في التذكر بالقول و اللسان حتى صار هو السابق إلى الفهم.

و لا يخفى أن للذكر مراتب عالية و دانية، فقوله تعالى:ألا بذكر الله تطمئن القلوب [١٢] المرتبة العالية للذكر في القلب، و من مراتب الذكر قوله تعالى:فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا [١٣] ، و قوله تعالى:و اذكر ربك إذا نسيت.... [١٤]

و على هذا فقوله صلى الله عليه و آله:«ذكر علي عبادة»هو توجه القلب إلى علي عليه السلام و عدم الغفلة عن صراطه و طريقه، لأن صراطه هو صراط الله، و صراط الله هو الصراط المستقيم، و من تنبه و توجه إلى صراطه دائما سار بسيرته، و صار من شيعته، فهذا الذكر عبادة حقا.و قول من قال:ذكر علي عليه السلام باللسان عبادة، و لو مع خلو القلب عنه، لأنه يمنعه من التكلم باللغو، و يجعل لسانه معتادا بالخير.فهو بعيد عن الصواب، لأنه إذا كان الذكر مجرد لقلقة لسان بلا توجه القلب، فلا ثمرة له، بل هو نوع من اللهو، و فلا أثر في ذكره عليا عليه السلام ما لم يسر على صراطه عليه السلام.

نعم، لو كان ذكره عليه السلام باللسان ابتداء، ثم صار سببا لتوجه القلب و حضور النفس و التنبه إلى صراطه، و بعدها يصبح دافعا للالتزام بسيرته، فهو عبادة قطع، و لا نزاع في ذلك، و فيما يلي بعض الأخبار الواردة في هذا الباب:

١ ـ روى الخوارزمي في المناقب، بالاسناد عن علي عليه السلام، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا به، غفر الله له ما تقدم من ذنبه، و من كتب فضيلة من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»، ثم قال صلى الله عليه و آله:«النظر إلى علي عبادة، و ذكره عبادة، و لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته، و البراءة من أعدائه» [١٥] .

٢ ـ و في كنز العمال و غيره:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«ذكر علي عبادة». [١٦]

في معنى النظر في قوله صلى الله عليه و آله:«النظر إلى وجه علي عبادة»

النظر إلى الشيء:مشاهدته.فمعنى قوله صلى الله عليه و آله:«النظر إلى وجه علي عبادة»أي أن مشاهدته و النظر إليه بنفسه عبادة، لا أنه يحمل الناظر على العبادة كما قال ابن الأعرابي في تفسير الحديث، حيث قال:معناه أن عليا عليه السلام كان إذا برز قال الناس:لا إله إلا الله، ما أشرف هذا

الفتى!لا إله إلا الله، ما أعلم هذا الفتى!لا إله إلا الله، ما أكرم هذا الفتى، أي ما أتقى!لا إله إلا الله، ما أشجع هذا الفتى!فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التقوى. (١٧)

و هو كما ترى، أراد أن ينفي عنه عليه السلام منقبة فأثبت له مناقب، و لا ندري ما الباعث على ذلك؟و أي استبعاد في أن يكون محض النظر إليه عليه السلام عبادة؟و أي استبعاد في أن يكون النظر إلى ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و زوج فاطمة الزهراء، و أبي السبطين، و أخي الرسول و وصيه و باب علمه، و الذاب عنه بين يديه، و كاشف الكرب عن وجهه، و الباذل نفسه لله و لرسوله ليلة المبيت، و هادي الامة، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، عبادة؟ !

و يؤيد ما ذكرناه ما ورد في الحديث:«النظر إلى وجه العالم عبادة، و إلى وجه الوالدين عبادة، و إلى الكعبة عبادة».

و يؤيده أيضا أن رسول الله صلى الله عليه و آله يدعو الله تعالى أن لا يموت حتى يرى عليا عليه السلام فعن الترمذي عن ام عطية، قالت:بعث النبي صلى الله عليه و آله جيشا فيهم علي عليه السلام، قالت:فسمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و هو رافع يديه يقول:«اللهم لا تمتني حتى تريني عليا». (١٨)

و فيما يلي نذكر جملة من الأخبار الواردة في هذا الباب تتميما للفائدة و تكميلا للبحث :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«النظر إلى وجه علي عبادة». (١٩)

٢ ـ و روى الكنجي الشافعي، عن عبد الله بن مسعود قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله«النظر إلى وجه علي عبادة».

قال العلامة الكنجي:الحديث عال حسن السياق، و أما النظر إلى وجه علي فإنه عبادة من حيث إنه ابن عم الرسول، و زوج البتول، و أبو السبطين الحسن و الحسين، و أخو الرسول و وصيه. (٢٠)

٣ ـ و روى الخوارزمي، عن عائشة، قالت:كان أبو بكر يديم النظر إلى علي عليه السلام، فقيل له في ذلك؟فقال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«النظر إلى علي عبادة». (٢١)

و لا يخفى أننا في وقتنا هذا محرمون من هذا الفيض العظيم، أعني النظر إلى وجهه الشريف المبارك، بل نصيبنا اليوم زيارة بقعته المقدسة في النجف الأشرف، (اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم، و في الآخرة شفاعتهم) .

و مما لا ريب فيه أن كون النظر إلى وجهه الشريف عبادة، منزلة عظيمة و مقام عال لم يصله بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أحد غير علي عليه السلام، و هو أمر اختص به أمير المؤمنين عليه السلام من دون سائر الصحابة.

تعليقات:

١.تقدم الحديث مع تخريجه في هذا الفصل في«حب علي ايمان».

٢.البقرة، ٨٢.

٣.نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٤.المناقب لابن المغازلي، ص ٦٧، ح ٩٧.

٥.المناقب للخوارزمي، ص ٢٠٩

٦.المناقب للخوارزمي، ص ٢٠٨.

٧.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٢٦، ح ٢٥٤.و أخرج هذا الحديث أيضا في البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٥٥.

٨.كفاية الطالب، ص ٧٢، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٢٠، طبع القاهرة ـ مصر.

٩.الصواعق المحرقة، ١٢٦.

١٠.الغفلة:هي انتفاء العلم بالعلم مع وجود أصل العلم، و الذكر خلافه و هو العلم بالعلم، و منه قوله تعالى: (و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) الكهف، ٢٨.

١١.النسيان:هو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن، فالذكر خلافه، و منه تعالى: (و اذكر ربك إذا نسيت) الكهف، ٢٤.

١٢.الرعد، ٢٨.

١٣.البقرة، ٢٠٠.

١٤.الكهف، ٢٤.

١٥.المناقب، ص ٢، و أخرجه الكنجي الشافعي في الكفاية الطالب، ص ١٢٣ ـ النجف.

١٦.كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠١، ح ٣٢٨٩٤.

١٧.النهاية لأبن الأثير، ج ٥، ص ٧٧.

١٨.سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٠١، ح ٣٧٣٧، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ٩٠.

١٩.كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠١، ح ٣٢٨٩٥ و ص ٦٢٤، ح ٣٣٠٣٩.

٢٠.كفاية الطالب الكنجي الشافعي، ص ١٥٧.

٢١.المناقب للخوارزمي، ص ٢٦١.

٢١.المناقب للخوارزمي، ص ٢٦١.

جهاد علي عليه السلام

الجهاد لغة إما مأخوذ من الجهد بالضم، بمعنى الوسع و الطاقة و المشقة، و إما من الجهد بالفتح بمعنى المشقة.

و في المفردات:الجهد و الجهد:الطاقة و المشقة، و قيل:الجهد بالفتح:المشقة، و الجهد:الواسع، و قيل:و الجهد للإنسان. [1]

و أما شرعا فهو بذل النفس و ما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النفس و المال و الوسع في إعلاء كلمة الإسلام و إقامة شعائر الإيمان .

لا شك أن قيمة أي عمل إنما تقوم بإخلاص صاحبه، و ظروف الزمان و المكان الذي وقع فيه، فكلما كان العمل خالصا لله كان ذا قيمة لا تحد، و مما لا يقبل التردد فيه أن سيف علي عليه السلام و جهاده ما كان إلا في سبيل الله، و لأجل تقوية الإسلام، و نشر دين الحق، و لم يكن لديه أي هدف عدا ما ذكرناه، و مما يجب ملاحظته أن جهاد علي عليه السلام وقع في وقت كان الإسلام فيه غريبا على قلة في العدد و العدة إلى الحد الذي كان المسلمون يعانون من تهيئة متطلبات العيش اليومية، و في وقت كان مشركو مكة و اليهود و النصارى يسخرون كل ما لديهم من إمكانيات في سبيل تحطيم الإسلام و قتل النبي صلى الله عليه و آله...و في مثل هذه الظروف تكون للجهاد قيمة خاصة سامية و عالية، و قد جاهد علي عليه السلام في مثل هذه الظروف من أجل تقوية شوكة الإسلام و حفظه و بقائه، كان علي عليه السلام حاميا للمسلمين ذابا عنهم، و أينما وجد علي عليه السلام ارتجف منه العدو، و اطمأن المسلمون.

و إذا قلنا:إن الإسلام إنما استقام بسيف علي عليه السلام، و لو لا علي عليه السلام لم يكن الإسلام، بل لم يكن ثمة اسم للقرآن، أو التوحيد، لم نكن مبالغين أو مجانبين للحق، و لعل النماذج الحية لجهاد أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الرسول صلى الله عليه و آله خير شواهد على ما نقول، و بحثنا ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب، و سنشير هنا بشكل إجمالي الى بعضها.

ففي غزوة بدر، و على الرغم من أنه عليه السلام في ريعان شبابه، فقد قتل ثلاثين أو أكثر من المشركين، و بذلك نفخ في الإسلام روحا جديدة، و في هذه الحرب قويت شوكة الإسلام، و القي الرعب في قلوب المشركين.

و في غزوة احد، فر المسلمون و لم يبق مع الرسول إلا أربعة:علي عليه السلام و الزبير، و طلحة، و أبو دجانة [٢] ، و في نظرنا أنه لم يبق معه صلى الله عليه و آله إلا علي عليه السلام يدافع و يذب عنه بذي الفقار لكسر سيف البغي، و حفظ حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، و من ثم عاد المسلمون رويد، رويد، و هناك نادى مناد من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار *** و لا فتى إلا علي

و قال صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام:«يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق و أعمالهم في كفة و وضع عملك يوم احد على كفة اخرى، لرجح عملك على جميع الخلائق، و إن الله تعالى باهى بك يوم احد ملائكته المقربين، و رفع الحجب من السموات السبع، و أشرفت إليك الجنة و ما فيه، و ابتهج بفعلك رب العالمين، و إن الله تعالى يعوضك ذلك اليوم ما يغبط كل نبي و رسول و صديق و شهيد». [٣]

و في غزوة الخندق طلب رأس الشرك عمرو بن عبدود المبارزة ثلاث مرات، فلم يبرز إليه أحد، و كان علي عليه السلام السباق إلى الميدان ليرسل ابن عبدود إلى قعر جهنم، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم برز علي عليه السلام في الخندق:«برز الإيمان كلهإلى الشرك كله». [٤]

و في حنين فر المسلمون كلهم إلا تسعة رهط من أهله، و كان علي عليه السلام بين يديه مصلتا سيفه، و هكذا كان علي عليه السلام يسجل حضورا دائما حيثما طلب الجهاد في طريق الاسلام، لزلزلة مواقع الكفر و الشرك، و قتل صناديدهم، فكان مصداق الآية إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص [٥] .

من الآيات التي نزلت في فضل جهاده عليه السلام

١ ـ في قوله تعالى:أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله [٦] قال الواحدي في أسباب النزول:قال الحسن و الشعبي و القرظي:نزلت الآية في علي عليه السلام و العباس و طلحة بن شيبة، و ذلك أنهم افتخرو، فقال طلحة:أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، و إلي ثياب بيته.و قال العباس:أنا صاحب السقاية، و القائم عليها.و قال علي عليه السلام :ما أدري ما تقولان، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [٧]

و روى نحو ذلك الجويني [٨] و ابن المغازلي الشافعي [٩] و ابن الصباغ المالكي. [١٠]

٢ ـ و روى الخوارزمي بالاسناد عن أبي قيس بن عباد القيسي، قال:سمعتأباذر يقسم قسما أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم [١١] نزلت في الذين برزوا يوم بدر، في الثلاثة و الثلاثة:حمزة، و علي، و عبيدة بن الحارث، و عتبة، و شيبة، و الوليد.أخرجه البخاري و مسلم في الصحيحين من حديث أبي هاشم. [١٢]

٣ ـ و روي السيوطي و ابن عساكر و الكنجي، بالاسناد عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، أنه كان يقرأ و كفى الله المؤمنين القتال [١٣] بعلي بن أبي طالب. [١٤]

علي سيد المجاهدين

قال ابن أبي الحديد:و أما الجهاد في سبيل الله من علي عليه السلام، فمعلوم عند صديقه و عدوه أن عليا سيد المجاهدين، و هل الجهاد لأحد من الناس إلا له!و قد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه و آله و أشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي عليه السلام نصفهم، و قتل المسلمون و الملائكة النصف الآخر، دع من قتله في غيرها كاحد و الخندق.

ثم قال:و هذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة و مصر و نحوهما. [١٥]

احتجاج المأمون على فضله عليه السلام بجهاده

للمأمون احتجاج طويل مع فقهاء عصره في الوقت الذي كان الرضا عليه السلام وليالعهد، أثبت من خلاله تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على غيره من الصحابة و سائر البشر، و أنه أحق بمنصب خلافة الرسول صلى الله عليه و آله من غيره.

و مما جاء فيه:قال المأمون:يا إسحاق، ثم أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟قال إسحاق:قلت:الجهاد في سبيل الله.

قال:صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ما تجد لعلي عليه السلام في الجهاد؟قلت:في أي وقت؟قال:في أي الأوقات شئت.قلت:بدر.

قال المأمون:لا اريد غيره، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر؟أخبرني كم قتلى بدر؟قلت:نيف و ستون رجلا من المشركين.قال:فكم قتلى علي وحده؟قلت:لا أدري.

قال:ثلاثة و عشرون أو اثنين و عشرون، و الأربعون لسائر الناس.

قلت:يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه و آله في عريشه.قال:يصنع ماذا؟قلت:يدبر.قال:و يحك، يدبر دون رسول الله، أو كان معه شريك، أم افتقارا من رسول الله صلى الله عليه و آله إلى رأيه، أي الثلاث أحب إليك؟

قلت:أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله صلى الله عليه و آله، أو يكون معه شريك، أو أن يكون برسول الله افتقار إلى رأيه.قال:فما الفضيلة بالعريش، إذا كان الأمر كذلك، أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس؟قلت:يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا.

قال:صدقت، كل مجاهد، و لكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله صلى الله عليه و آله عن الجالس أفضل، أما قرأت كتاب الله:لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة و كلا وعد الله الحسنى و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما.[١٦]

قلت:و كان أبو بكر و عمر مجاهدين.قال:فهل كان لأبي بكر و عمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟قلت:نعم.قال:فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر و عمر؟!قلت:أجل.[١٧]

اشتياقه عليه السلام إلى الشهادة

إن إحدى الفروق بين دين الإسلام السماوي، دين التوحيد، و بين الأديان الأخرى أن معتنقيه يعتبرون الشهادة و القتل في سبيله فوزا عظيما خالد، و هم يأملون تحقق هذا الأمل دائما يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما [١٨] فالذين يؤمنون بالإسلام لا يخافون الشهادة، بل يهبون لاستقباله، لأنهم يعتقدون أن عالم ما بعد الموت أسمى من هذا العالم و أكثر نورانية منه، و يعتبر المؤمنون هذا العالم المادي سجنا ضيقا مظلما (الدنيا سجن المؤمن) و لذلك فإنهم يعدون الخلاص من هذا العالم عن طريق الشهادة ألذ سعادة.

إن عليا عليه السلام كان نموذجا و مظهرا للكلمات الإنسانية و الإلهية في جميع الفضائل و المناقب، و حاله في الشوق إلى الشهادة لا يختلف عن بقية حالاته، و لذلك نرى شوقه المتحرق إلى الشهادة واضحا في كلماته، فقد ذكره مرات و مرات في كتبه و رسائله، و هذا في الواقع نوع من القيادة العلمية السامية، استعمله لتعليم أصحابه و شيعته التفاني و التلهف إلى الشهادة في محاربة أعداء الله، و من جملة تلك الكلمات ما قاله في يوم من أيام صفين حين ظن بعض جنوده أنه عليه السلام

تباطأ في إصدار أمر البدء بالقتال خوفا من الموت و القتل، فأجابهم عليه السلام:«أما قولكم:أكل ذلك كراهية الموت؟فوالله ما ابالي دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إلي». [١٩]

و قال عليه السلام في خطبة اخرى:«إن أكرم الموت القتل، و الذي نفس ابن أبي طالببيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله». [٢٠]

بشارة النبي صلى الله عليه و آله إياه بالشهادة

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبع، قال:سمعت عليا عليه السلام على المنبر، و هو يقول :«ما ينتظر أشقاه، عهد إلي رسول الله صلى الله عليه و آله لتخضبن هذه من هذه».

و أشار ابن داود إلى لحيته و رأسه.فقال:يا أمير المؤمنين، من هو حتى نبتدره؟قال:«أنشد الله عز و جل رجلا قتل بي غير قاتلي». [٢١]

٢ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عبد الله بن سبع أيض، قال:خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:«و الذي فلق الحبة و برأ النسمة، لتخضبن هذه من هذه»يعني لحيته من دم رأسه. [٢٢]

٣ ـ و عنه أيضا:و عن الجويني، بسندهما عن زيد بن أسلم:أن أبا سنان الدؤلي حدثه أنه عاد عليا في شكوى اشتكاه، قال:فقلت له:لقد تخوفنا عليك ـ يا أمير المؤمنين ـ في شكواك هذه.

فقال:«لكني ـ و الله ـ ما تخوفت على نفسي منه، لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله الصادق المصدوق يقول:«إنك ستضرب ضربة هاهن ـ و أشار إلى صدغه ـ فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك، و يكون صاحبها أشقاه، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود». [٢٣]

٤ ـ و عنه أيضا:عن زيد بن وهب، قال:قدم علي عليه السلام على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له:الجعد بن بعجة، فقال له:اتق الله ـ يا علي ـ فإنك ميت.

فقال علي عليه السلام:«بل مقتول ضربة على هذا يخضب هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ عهد معهود، و قضاء مقضي، و قد خاب من افترى». [٢٤]

٥ ـ و عنه أيضا:عن أبي الطفيل، قال:إن عليا لما جمع الناس للبيعة، جاء عبد الرحمن بن ملجم فرده مرتين، ثم قال علي عليه السلام:«ما يحبس أشقاه، فوالله لتخضبن هذه من هذا»ثم تمثل :

أشدد حيازيمك للموت *** فإن الموت لاقيك

و لا تجزع من القتل *** إذا حل بواديك [٢٥]

٦ ـ و فيه أيضا:عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري ـ و كان أبو فضالة من أهل بدر ـ قال:خرجت مع أبي عائدا لعلي عليه السلام من مرض [٢٦] أصابه ثقل منه، قال:فقال له أبي:ما يقيمك بمنزلك هذا؟لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة، تحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك، و صلوا عليك.

فقال علي:«إن رسول الله صلى الله عليه و آله عهد إلي أن لا أموت حتى اؤمر، ثم يخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ »فقتل علي عليه السلام، و قتل أبو فضالة مع علي يوم صفين . [٢٧]

٧ ـ و عنه أيضا:عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، قال:سمعت عليا عليه السلامیقول:«أتاني عبد الله بن سلام و قد أدخلت رجلي في الغرز [٢٨] ، فقال لي:أين تريد؟فقلت:العراق.فقال:أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف [٢٩] ثم قال:و ايم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله مثله يقوله».

قال أبو حرب:فسمعت أبي يقول:فتعجبت منه و قلت:رجل محارب يحدث بهذا عن نفسه؟! [٣٠]

٨ ـ و عنه أيضا بسنده عن معاوية، عن جوين الحضرمي، قال:عرض على علي عليه السلام الخيل، فمر عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه ـ أو قال:عن نسبه ـ فانتهى إلى غير أبيه، فقال له:«كذبت»حتى انتسب إلى أبيه، فقال:«صدقت، أما إن رسول الله صلى الله عليه و آله حدثني أن قاتلي شبه اليهود!هو يهودي»فامضه. [٣١]

٩ ـ و عنه أيضا:عن أنس بن مالك، قال:مرض علي بن أبي طالب عليه السلام فدخل عليه النبي صلى الله عليه و آله، فتحولت عن مجلسي، فجلس النبي صلى الله عليه و آله حيث كنت جالس، و ذكر كلام، فقال صلى الله عليه و آله:«إن هذا لا يموت حتى يملأ غيظ، و لن يموت إلا مقتولا» . [٣٢]

١٠ ـ و عنه أيضا:عن أبي رافع:أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعلي عليه السلام:«أنت تقتل على سنتي». [٣٣]

١١ ـ و عنه أيضا:عن عثمان بن صهيب، عن أبيه:أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام:«من أشقى الأولين؟».قال:«عاقر الناقة»قال:«فمن أشقىالآخرين؟» .قال:«لا أدري».قال:«الذي يضربك على هذا»و أشار إلى رأسه. [٣٤]

١٢ ـ و عنه أيضا:عن عمار بن ياسر، قال:كنت أنا و علي بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه و آله أقام بها شهر، فصالح بها بني مدلج، و كان رجال منهم يعملون في عين لهم، فقال لي علي عليه السلام:«يا أبا اليقظان، هل لك أن نأتي هؤلاء و ننظر كيف يعملون؟»قال:فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشينا النوم، فعمدنا إلى صور [٣٥] من النخل في دقعاء [٣٦] من الأرض، فنمنا فيه، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه و آله بقدمه، فجلسنا و قد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام :«يا أبا تراب»لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرن، فقال:«ألا أخبر كما بأشقى الناس رجلين؟».قلنا:بلى يا رسول الله.فقال:«أحمير ثمود الذي عقر الناقة، و الذي يضربك ـ يا علي ـ على هذ، فوضع رسول الله صلى الله عليه و آله يده على رأسه، حتى يبل منها هذه و وضع يده على لحيته». [٣٧]

١٣ ـ و فيه أيضا:عن عائشة، قالت:رأيت النبي صلى الله عليه و آله التزم عليا عليه السلام و قبله و هو يقول:«بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد». [٣٨].

تعليقات:

١.مفردات الراغب، ص ١٠١، مادة (جهد) .

٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٩٣، و يستفاد من بعض المسانيد آخر غير ما ذكرناه.

٣.ينابيع المودة، ص ٦٤.

٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٨٥.

٥.الحجرات، ١٣.

٦.التوبة، ١٩.

٧.أسباب النزول، ص ١٣٨.

٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٠٣، ص ١٥٩.

٩.المناقب لابن المغازلي، ص ٣٢١، ح ٣١٧.

١٠.الفصول المهمة، ص ١٢٤.

١١.الحج، ١٩.

١٢.المناقب للخوارزمي، ص ١٠٧.

١٣.الأحزاب، ٢٥.

١٤.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٢٧/٤٢٠، كفاية الطالب، ص ٢٣٤، الدر المنثور، ج ٦، ص ٥٩٠.

١٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤.

١٦.النساء، ٩٥.

١٧.راجع تفصيل الاحتجاج في العقد الفريد، ج ٥، ص ٩٥، طبع دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨.النساء، ٧٣.

١٩.نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

٢٠.المصدر السابق، الخطبة ١٢٢.

٢١.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٠٥، ح ٢٤٢.

٢٢.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٧٣، ح ١٣٥٤.

٢٣.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٦، ح ١٣٦١، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٧، ح ٣٢٠.

٢٤.تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٣٦٤.

٢٥.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٩، ح ١٣٦٥.

٢٦.مرض علي عليه السلام بينبع في أطراف المدينة (راجع فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٠، ح ٣٢٧).

٢٧.تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٨٣، ح ١٣٧٢ (و نحوه في فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٠، ح ٣٢٧).

٢٨.الغرز:الركاب.

٢٩.ذباب السيف، طرفه الذي يضرب به.

٣٠.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٠، ح ١٣٦٧.

٣١.تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٩٣، ح ١٣٩١.

٣٢.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ١٣٤٣.

٣٣.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٦٩، رقم ١٣٤٧.

٣٤.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨١، رقم ١٣٦٨.

٣٥.الصور من النخل:صغاره.

٣٦.الدقعاء:التراب.

٣٧.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٥، رقم ١٣٧٧.

٣٨.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٤، رقم ١٣٧٦.

٣٨.المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٤، رقم ١٣٧٦.

علي عليه السلام في القوة و الأيد

حسبك في قوة علي عليه السلام و أيده قلعه باب خيبر، و جعله جسرا على الخندق، و كان يغلقه عشرون رجل، و تترسه يومئذ بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر.

فقد روى البيهقي في الدلائل و غيره، بالاسناد عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:خرجنا مع علي عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي باب الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر من سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه.

و عن جابر أنه قال:ثم اجتمع عليه سبعون رجل، فكان جهدهم أن أعادوا الباب. (١)

قال الفخر الرازي في تفسيره:إن كل من كان أكثر علما بأحوال عالم الغيب، كان أقوى قلبا و أقل ضعف، و لهذا قال علي بن أبي طالب عليه السلام:«و الله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية و لكن بقوة ربانية»و ذلك لأن عليا عليه السلام في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد، و أشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوى روحه، و تشبه بجواهر الأرواح الملكية، و تلألأت فيه أضواء عالم القدس و العظمة، فلا جرم[أن]حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره، و كذلك العبدإذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول الله:«كنت له سمعا و بصرا»فإذا صار نور جلال الله سمعا له سمع القريب و البعيد، و إذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب و البعيد، و إذا صار ذلك النور يدا له قدر على التصرف في الصعب و السهل و البعيد و القريب. (٢)

و قال ابن أبي الحديد في شرحه:أما القوة و الأيد فبه يضرب المثل فيهم، قال ابن قتيبة في المعارف:ما صارع أحدا قط إلا صرعه، و هو الذي قلع باب خيبر، و اجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، و هو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ـ و كان عظيما جد ـ و ألقاه إلى الأرض، و هو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنه، و انبط الماء من تحتها. (٣)

شجاعة علي عليه السلام

اتفق الصديق و العدو، و المحب و المبغض على شجاعة مولانا الإمام علي عليه السلام، و أنه شجاع في جميع حالاته و أوضاعه، بحيث كانت شجاعته متداولة على الألسن، و مضربا للأمثال .

عن الشارح المعتزلي في شرحه:و ما أقول في رجل تصور ملوك الفرنج و الروم صورته في بيعها و بيوت عباداته، حاملا سيفه، مشمرا لحربه، و تصور ملوك الترك و الديلم صورته على أسيافها !كان على سيف عضد الدولة بن بويه و سيف أبيه ركن الدولة صورته، و كانت على سيف إلب أرسلان و ابنه ملك شاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر و الظفر. (٤)

قال محب الدين الطبري:و شهرة إبلائه ببدر و احد و خيبر و أكثر المشاهد، قد بلغت حد التواتر، حتى صارت شجاعته معلومة لكل أحد بالضرورة، بحيث لا يمكنه دفع ذلك عن نفسه. (٥)

قال ابن الاثير في (النهاية) :و في الحديث:«كانت ضربات علي عليه السلام مبتكرات لاعونا»أي إن ضربته كانت بكر، يقتل بواحدة منه، لا يحتاج أن يعيد الضربة ثاني، يقال:ضربة بكر، إذا كانت قاطعة لا تثنى.

و العون جمع عوان، و هي في الأصل الكهلة من النساء، و يريد بها هاهنا المثناه. (٦) و في المناقب لابن المغازلي و غيره:قال رجل لابن عباس:أكان علي بن أبي طالب عليه السلام يباشر القتال بنفسه؟ قال:إي و الله، ما رأيت رجلا أطرح لنفسه في متلف من علي عليه السلام، فلربما رأيته يخرج حاسرا بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله. (٧)

قال سفيان الثوري:كان علي بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين و المشركين، أعز الله به المسلمين، و أذل به المشركين. (٨)

قال ابن أبي الحديد في كلام له:و لأن عليا عليه السلام كانت هيبته قد تمكنت في صدور الناس، فلم يكن يظن أن أحدا يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغا عظيما لم يبلغ أحد من الناس، لا من تقدم و لا من تأخر، حتى كانت أبطال العرب تفزع باسمه.

ألا ترى إلى عمرو بن معديكرب، و هو شجاع العرب الذي تضرب به الأمثال، كتب إليه عمر بن الخطاب في أمر أنكره عليه و غدر تخوفه منه:أما و الله لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثن إليك رجلا تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك!

فقال عمرو بن معديكرب لما وقف على الكتاب:هددني بعلي و الله! (٩)

و لهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لما رآه يشد الحرير على بطنه و صدره:و يلك، ما تريد أن تصنع؟قال:أقتل عليا.

قال:هبلتك الهبول، لقد جئت شيئا إد، كيف تقدر على ذلك؟فاستبعد أن يتم لابن ملجم على ما عزم عليه، و رآه مراما و عرا. [١٠]

و قال أيضا:و أما الشجاعة:فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، و محا اسم من يأتي بعده، و مقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، و هو الشجاع الذي ما فر قط، و لا ارتاع من كتيبة، و لا بارز أحدا إلا قتله، و لا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، و في الحديث:«كانت ضرباته و ترا».

و لما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهم، قال له عمرو بن عاص :لقد أنصفك، فقال معاوية:ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم!أتأمرني بمبارزة أبي الحسن، و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق!أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر و أكثر.

قالت أخت عمرو بن عبدود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله *** بكيته أبدا ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له *** و كان يدعى أبوه بيضة البلد [١١]

و انتبه يوما معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه:يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت.فقال:لقد شجعت بعدن، يا أبا بكر.

قال:و ما الذي تنكره من شجاعتي، و قد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب!قال:لا جرم!إنه قتلك و أباك بيسرى يديه، و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.

ثم قال:و جملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، و باسمه ينادى فيمشارق الأرض و مغاربها. [١٢]

و قد ذكر الشارح المعتزلي في شرحه زيادة على ما مر، فصلا طويلا في شجاعة علي عليه السلام تحت عنوان«مثل من شجاعة علي عليه السلام» [١٣] فراجعه.

جملة من الأخبار الواردة في شجاعته عليه السلام

١ ـ روى ابن عساكر بالاسناد عن هبيرة بن يريم، قال:خطبنا الحسن بن علي بعد وفاة أبيه، فقال :أيها الناس قد فارقكم اليوم رجل لم يسبقه الأولون، و لن يدركه الآخرون، إن كان رسول الله صلى

الله عليه و آله ليبعثه المبعث، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، و جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره.... (١٤)

٢ ـ و كان النبي صلى الله عليه و آله يهدد الكفار بشجاعة علي عليه السلام، و من ذلك ما قاله صلى الله عليه و آله لوفد ثقيف حين جاء:«لتسلمن أو لأبعثن رجلا مني ـ أو قال:مثل نفسي ـ فليضربن أعناقكم، و ليسبين ذراريكم، و ليأخذن أموالكم».

قال عمر:فوالله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، و جعلت أنصب صدرى له، رجاء أن يقول:هو هذ، فالتفت إلى علي عليه السلام فأخذ بيده، ثم قال:«هو هذ، هو هذا». (١٥)

٣ ـ و روى ابن الأثير عن ربعي بن خراش، عن علي عليه السلام قال:«لما كان يوم الحديبية، خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو و اناس من رؤساء المشركين.فقالوا:خرج إليك ناس من أبنائنا و إخواننا و أرقائن، و ليس بهم فقه في الدين، و إنما خرجوا فرارا من أموالنا و ضياعن، فارددهم إلينا.فقال النبي صلى الله عليه و آله:يا معشر قريش، لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن قلبه على الايمان.قالوا:من هو يا رسول الله؟فقال أبو بكر:من هو يا رسول الله؟و قال عمر:من هو يا رسول الله؟قال:خاصف النعل، و كان قد أعطى عليا عليه السلام نعلا يخصفها».

قال:ثم التفت إلينا علي عليه السلام فقال:«إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». (١٦)

٤ ـ و أخرج محب الدين الطبري، عن صعصعة بن صوحان، قال:خرج يوم صفين رجل من أصحاب معاوية، يقال له كريز بن الصباح الحميري، فوقف بين الصفين، و قال:من يبارز؟فخرج إليه رجل من أصحاب علي عليه السلام فقتله، فوقف عليه ثم قال:من يبارز؟فخرج إليه آخر فقتله و ألقاه على الأول، ثم قال:من يبارز؟فخرج إليه الثالث فقتله و ألقاه على الآخرين، و قال:من يبارز؟فأحجم الناس عنه، و أحب من كان في الصف الأول أن يكون في الآخر.

فخرج علي عليه السلام على بغلة رسول الله صلى الله عليه و آله البيضاء، فشق الصفوف، فلما انفصل منه، نزل عن البغلة، و سعى إليه فقتله، و قال:من يبارز؟فخرج إليه رجل فقتله و وضعه على الأول، ثم قال:من يبارز؟فخرج إليه رجل فقتله و وضعه على الآخرين، ثم قال:من يبارز؟فخرج إليه

رجل فقتله و وضعه على الثلاثة، ثم قال:يا أيها الناس، إن الله عز و جل يقول:الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص [١٧] و لو لم تبدأوا بهذا لما بدأن، ثم رجع إلى مكانه. [١٨]

تعليقات:

١.دلائل النبوة، ج ٤، ص ٢١٢، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢.التفسير الكبير، ج ٢١، ص ٩١.

٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١.

٤.شرح ابن أبى الحديد، ج ١، ص ٢٨.

٥.ذخائر العقبى، ص ٩٨.

٦.النهاية في اللغة، ج ١، ص ١٤٩، باب الباء مع الكاف.

٧.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٧١، ح ١٠٣، ذخائر العقبى، ٩٩.

٨.المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٦٨.

٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٥٩.

١٠.المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٥٩.

١١.بيضة البلد تعني أبا طالب، إذ لم يكن أحد مثله في الشرف.كذا فسر في لسان العرب.

١٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١.

١٣.انظر شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٦٠.

١٤.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٠٠، ح ١٤٩٨.

١٥.الاستيعاب، بهامش الاصابة، ٣، ٤٦.

١٦.اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦، و نحوه في سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٢، ح ٣٧١٥، و تذكرة الخواص، ص ٤٥.

١٧.البقرة، ١٩٤.

١٨.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

١٨.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

قوة إيمانه عليه السلام

لقد ملأ الأيمان بالله كل وجود علي بن أبي طالب، و لم يكن يقارنه أحد في رسوخ قدمه في الإيمان إلا رسول الله، فقد بلغ مرحلة اليقين حتى قال:«لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» . [1]

لم يغفل علي عن الله طرفة عين أبد، فكان المصداق الكامل لقوله تعالى:ألا بذكر الله تطمئن القلوب و كان يذوب في ذات الله حتى ينسى في صلاته كل المصاعب و المعضلات.

لم يخش علي إلا الله، و كان مؤمنا بأن لا مؤثر و لا مدبر إلا هو، فكان لذلك لا يخاف أية قدرة و لا يهاب أية دسيسة و مؤمراة، و ربما صرح بهذه العقيدة كما في محادثته مع قنبر . [2]

لقد كانت قوة الإيمان هذه مهيمنة على علي عليه السلام في جميع مراحل حياته و ظروفها المختلفة، فلم تتغير أيام ضعفه حين تخاذل الناس فأصبح جليس الدار، و لم تتغير أيام قوته و تسنمه السلطة، فلم يضطرب و لم يتضجر أيام عزلته و وحدته، و لم تسكره نشوة الغرور أيام حكومته، بل كان يئن أيام قوته آناء الليل أنين، يعجب منه من يسمعه و يراه بتلك الحالة، و الشاهد على ذلك، ما رآه نوف البكالي منه عليه السلام في أيام حكومته عليه السلام في ليلة مظلمة. [3]

بقي عليه السلام جليس الدار خمسا و عشرين سنة فصبر لله، و تحمل المصاعب و المصائب و الظلم و الطغيان لأجل بقاء دين الله، و قد نفث بهذا الهم حين قال:«فصبرت و في العين قذى» [4] **.**

فقد بلغ إيمان علي عليه السلام حدا أنه لم يكن للفرار إلى نفسه سبيل، و كان يرعب العدو في ميدان القتال، و يمنح المؤمنين قوة و اطمئنان، و مع ذلك فإنه ينهار أمام أنين اليتيم فلا يملك دموعه.

إن عليا كان دائما نصير المظلوم و خصم الظالم، و كل ذلك ينبع من عين إيمانه العظيم، و علي عليه السلام تلميذ الرسول المطيع، فقد عرف قائده رسول الله جيد، فكان مطيعا له في الحرب و الصلح، فهو يبيت على فراش رسول الله ليلة الهجرة، و يفدي رسول الله بنفسه في ساحة الحرب...لم يعترض يوما على رسول الله، بل لم يسأله في أمر يقرره قط، و قد أشار عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله:«لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله أني لم أرد على الله، و لا على رسوله ساعة قط»إلى آخره. [5]

من ذا الذي عاش (٣٣) سنة في بيت رسول الله و أطاعه في كل شيء، أيام القوة و الضعف، في طريق الرسالة الوعر غير علي عليه السلام؟.

و هذا الإيمان القوي و القلب المنير الذي كان لعلي عليه السلام هو الذي جعله ثابتا و مصرا على إقامة أحكام الله و حدوده، فلم يلحظ عن علي عليه السلام أنه انحرف عن أحكام الله أدنى انحراف، فقد وضع الجميع أمام القانون موضع المساواة، عدوه و صديقه، القريب و البعيد، و حتى أولاده و إخوته، و لم يداهن في دين الله قط، حتى و إن أدى ذلك إلى أن يعاتبه الأقربون و المحبون، بل كان صارما في إقامة الدين.

نعم، لقد ذاب علي عليه السلام في ذات الله، و آمن أن كل شيء لا يكون إلا بإذنه، فكان يريد ما أراد الله، و يطلب منه تعالى أن يجري طلبه بإذنه، و علم أن النبي صلى الله عليه و آله قدصحح و أيد هذه الفكرة، و نشير إلى موارد تبين قوة عمل علي في عصر النبي أو عصر الخلفاء، و توضح عدم تهاونه في إقامة الحق حتى مع المقربين و الأقرباء في فترة حكومته، ليكون القارىء على بينة أكبر من أمر علي، و ليكون منهجه أمام أعين جميع شيعته ليقتدوا به.

و فيما يلي نورد بعض المرويات عن قوة إيمانه و شدته في دين الله:

١ ـ روى العلامة أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بالاسناد عن عمر بن الخطاب، قال:أشهد على رسول الله صلى الله عليه و آله سمعته و هو يقول: «لو أن السماوات السبع و الأرضين السبع وضعت في كفة ميزان و وضع إيمان علي بن أبي طالب في كفة ميزان، لرجح إيمان علي عليه السلام». (٦)

و رواه المحب الطبري في ذخائر العقبى و الرياض النضرة، و رواه الصفوري في نزهة المجالس . (٧)

٢ ـ و في ينابيع المودة:و قال رسول الله صلى الله عليه و آله خطابا لعلي عليه السلام:«و الايمان مخالط لحمك و دمك، كما خالط لحمي و دمي». (٨)

٣ ـ و من كلام له عليه السلام و قد سأله ذعلب اليماني، فقال:هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟فقال عليه السلام:أفأعبد ما لا أرى؟!فقال:و كيف تراه؟قال:لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، و لكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم بلا روية، مريد لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، و تجب القلوب من مخافته. (٩)

٤ ـ و روى ابن المغازلي، عن رقبة بن مصقلة بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، قال:أتى عمر رجلان فسألاه عن طلاق العبد، فانتهى إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال:يا أصلع، كم طلاق العبد؟

فقال له باصبعيه هكذ، فحرك السبابة و التي تليه، فالتفت إليهم، فقال:«اثنتين»فقال أحدهما :سبحان الله جئناك و أنت أمير المؤمنين فسألناك فجئت إلى رجل و الله ما كلمك.فقال:ويلك !تدري من هذا؟هذا علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«لو أن السماوات و الأرض وضعتا في كفة، و وضع إيمان علي في كفة، لرجح إيمان علي». [١٠]

٥ ـ و في تاريخ الطبري:بسنده عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال:لما أقبل علي عليه السلام من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، و استخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حللا من البز الذي كان مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما دنا جيشه خرج علي عليه السلام ليلقاهم، فإذا هم عليهم الحلل، فقال:«و يحك ما هذا؟».

قال:كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس.قال:و يلك انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، قال:فانتزع الحلل من الناس، و ردها في البر، و أظهر الجيش شكاية لما صنع بهم. [١١]

٦ ـ و فيه أيضا بسند آخر عن أبي سعيد، قال:«شكا الناس على بن أبي طالب عليه السلام، فقام رسول الله صلى الله عليه و آله فينا خطيبا فسمعته يقول:«يا أيها الناس، لا تشكوا علي، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله.» [١٢]

٧ ـ و في تاريخ دمشق بعد نقل الحديث، قال:قال صلى الله عليه و آله:«فوالله، إنه لأخشين [١٣] في ذات الله، أو في سبيل الله». [١٤]

٨ ـ و أخرج المحب الطبري عن كعب بن عجزة، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«إن عليا مخشوشن في ذات الله عز و جل» [١٥]

في إجرائه الحد على النجاشي لما شرب الخمر

في الغارات:النجاشي الشاعر، و كان في عسكر علي عليه السلام بصفين، و وفد على عمر بن الخطاب، و لازم علي بن أبي طالب، و كان يمدحه عليه السلام، قال ابن قتيبة في المعارف:كان النجاشي فاسقا رقيق الإسلام، و خرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة، فمر بأبي

سمال الأسدي فوقف عليه، فقال:هل لك في رؤوس حملان في كرش في تنور من أول الليل إلى آخره، قد أينعت و تهرأت؟فقال له:ويحك، أفي شهر رمضان تقول هذا؟قال:ما شهر رمضان و شوال إلا واحد .قال:فما تسقيني عليها؟قال:شرابا كالورس، يطيب النفس، و يجري في العرق، و يكثر الطرق، و يشد العظام، و يسهل للفدم [١٦] الكلام، فثنى رجله فنزل فأكلا و شرب، فلما أخذ فيهما الشراب، تفاخر، فعلت أصواتهم، فسمع ذلك جار لهم، فأتى علي بن أبي طالب عليه السلام فأخبره، فبعث في طلبهم، فأما أبو سمال، فشق الخص [١٧] و نفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي، فأتي به علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له:«و يحك و لداننا صيام و أنت مفطر؟!»فضربه ثمانين سوط، و زاده عشرين سوط، فقال له:ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟

فقال:«هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان»ثم وقفه للناس ليروه في تبان [١٨] فهجا أهل الكوفة، فقال:

إذا سقى الله قوما صوب غادية *** فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم *** و الناكحين بشطي دجلة البقرا

و السارقين إذا ما جن ليلهم *** و الطالبين إذا ما أصبحوا السورا

و قال:

ضربوني ثم قالوا:قدر *** قدر الله لهم شر القدر [١٩]

عن أبي الزناد:لما حد علي عليه السلام النجاشي، غضب لذلك من كان مع علي من اليمانية، و كان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب بن اسامة النهدي، فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:يا أمير المؤمنين، ما كنا نرى أن أهل المعصية و الطاعة و أهل الفرقة و الجماعة عند ولاة العدل و معادن الفضل سيان في الجزاء، حتى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورن، و شتت أمورن، و حملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار.

فقال علي عليه السلام:إنها لكبيرة إلا على الخاشعين [٢٠] يا أخا بني نهد، و هل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله، فأقمنا عليه حدا كان كفارته، إن الله تعالى يقول:و لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى. [٢١]

قال:فخرج طارق من عند علي عليه السلام، فلقيه الاشتر النخعي رحمهم الله، فقال له:يا طارق، أنت القائل لأمير المؤمنين:إنك أو غرت صدورن، و شتت امورنا؟قال طارق:نعم، أنا قائلها.قال له الأشتر:و الله ما ذاك كما قلت، و إن صدورنا له لسامعة، و إن امورنا له لجامعة.

قال:فغضب طارق، و قال:ستعلم يا أشتر أنه غير ما قلت، فلما جنه الليلهمس [٢٢] هو و النجاشي إلى معاوية. [٢٣]

يرد هدية الأشعث لأنها رشوة

كان علي عليه السلام قويا في دينه، لا تأخذه في الله لومة لائم، لم يداهن و لم يصانع طرفة عين، و إلى القدر الذي يرد هدية قدمت له من أحد عماله بقوة و جرأة و دون أدنى تردد، و لم يكتف برد الهدية - إذا شم فيها رائحة الرشوة - بل و يعنف مهديها و يذمه.ففي أحد الخطب الطويلة في نهج البلاغة يقول عليه السلام:

«و الله لأن أبيت على حسك السعدان [٢٤] مسهد، [٢٥] و أجر في الأغلال مصفد، [٢٦] أحب إلي من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام ...».و يشير في أثنائها إلى هذا الموضوع حيث يقول عليه السلام:

«و أعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة [٢٧] في وعائه، و معجونة شنئتها [٢٨] ، كأنما عجنت بريق حية أو قيئه، فقلت:أصلة [٢٩] أم زكاة، أم صدقة؟فذلك محرم علينا أهل البيت!فقال:لا ذا و لا ذاك، و لكنها هدية.

فقلت:هبلتك [٣٠] الهبول! [٣١] أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟أمختبط [٣٢] أمذوجنة [٣٣] أم تهجر [٣٤] ؟». [٣٥]

و قال الشارح المعتزلي:كان أهدى له الأشعث بن قيس نوعا من الحلواء، تأنق فيه، و كان عليه السلام يبغض الأشعث، لأن الأشعث كان يبغضه، و ظن أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي كان في نفس الأشعث، و كان أمير المؤمنين عليه السلام يفطن لذلك و يعلمه، و لذلك رد هدية الأشعث، و لو لا ذلك لقبله، لأن النبي صلى الله عليه و آله قبل الهدية، و قد قبل علي عليه السلام هدايا جماعة من أصحابه.و دعاه بعض من كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل و قال:«لم عملت هذا؟».فقال:لأنه يوم نوروز، فضحك، و قال:«نورزوا لنا في كل يوم إن استطعتم» .

ثم قال ابن أبي الحديد:و كان عليه السلام من لطافة الأخلاق و سجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة، و لكنه كان ينفر عن قوم كان يعلم من حالهم الشنآن له، و عمن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين، و هيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر. [٣٦]

عبادة علي عليه السلام

إن عليا عليه السلام قد كان بلغ في العبادة غايته، و لا يستطيع أحد أن يبلغ إلى حد من حدود عبادته التي لا توصف إلا السابق إلى كل خير سيد البشر رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في عبادته عليه السلام:فكان علي عليه السلام أعبد الناس، و أكثرهم صلاة و صوم، و منه تعلم الناس صلاة الليل، و ملازمة الأوراد، و قيام النافلة، و ما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، و السهام تقع بين يديه، و تمر على صماخيه يمينا و شمال، فلا يرتاع لذلك، و لا يقوم حتى يفرغ من وظيفته!و ما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة [٣٧] البعير لطول سجوده.

و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته، و وفقت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله، و ما يتضمنه من الخضوع لهيبته، و الخشوع لعزته، و الاستخذاء [٣٨] له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، و فهمت من أي قلب خرجت و على أي لسان جرت.

و قيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ و كان الغاية في العبادة ـ :أين عبادتك من عبادة جدك؟قال :«عبادتي عند عبادة جدي، كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه و آله». [٣٩]

حديث ضرار

قال المحب الطبري في الرياض النضرة:و قد روي أن معاوية قال لضرار الصدائي:صف لي عليا .فقال:أعفني يا أمير المؤمنين.قال:لتصفنه.

قال:أما إذا لا بد من وصفه، كان و الله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصل، و يحكم عدل، يتفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرته، و يأنس إلى الليل و وحشته، و كان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، و من الطعام ما خشن، كان فينا كأحدن، يجيبنا إذا سألناه، و ينبئنا إذا استنبأناه.

و نحن و الله مع تقريبه إيانا و قربه من، لانكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، و يقرب المساكين، و لا يطمع القوي في باطله، و لا ييأس الضعيف من عدله، و أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، و قد

أرخى الليل سدوله، و غارت نجومه، قابضا لحيته، يتململ تململ السليم [٤٠] ، و يبكي بكاء الحزين، و يقول:«يا دني، غري غيري، إلي تعرضت، أم إلي تشوقت؟هيهات هيهات، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيه، فعمرك قصير، و خطرك قليل، آه آه، من قلة الزاد، و بعد السفر، و وحشة الطريق».

قال:أخرجه الدولابي و أبو عمر و صاحب الصفوة. [٤١]

تعليقات:

١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٥٣ و ج ١١، ص ١٧٩ و ج ١٣، ص ٨.

٢.في ينابيع المودة، ص ٦٤ عن جعفر الصادق عليه السلام قال:«كان قنبر يحب عليا حبا شديد، فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال:يا قنبر مالك؟قال:جئت لأمشي خلفك، قال:من أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض، و إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئا باذن الله من السماء فارجع فرجع.»

٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٢٦٥.

٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٥١.

٥.نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

٦.المناقب للخوارزمي، ص ٧٨.

٧.ذخائر العقبى، ص ١٠٠، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠، نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٧، و قال المحب الطبري :أخرجه ابن السمان، و الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية و الفضائلي.

٨.ينابيع المودة، ص ٦٣.

٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٤/ ١٨٠.

١٠.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٨٩، ح ٣٣٠.

١١.تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٠١، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٢.نفس المصدر، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٣.أخيشن:هو أفعل التفضيل من خشن خشونة ضد لان و التصغير هنا للتعظيم.

١٤.تاريخ ابن عساكر شافعي، ترجمة الامام علي، ج ١، ص ٣٨٦، ح ٤٩٢.

١٥.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٦.

١٦.الفدم:البطيء الفهم، العيي.

١٧.الخص:البيت من الشجر أو القصب.

١٨.التبان:سراويل قصيرة إلى الركبة، أو ما فوقه، يستر العورة، و قد يلبس في البحر.

١٩.الغارات، ج ٢، ص ٩٠١ و ٩٠٢.

٢٠.البقرة، ٤٥.

٢١.المائدة، ٨.

٢٢.همس:سار بالليل بلا فتور، أو مشى مستخفيا.

٢٣.الغارات، ج ٢، ص ٥٤٠، شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٨٩.

٢٤.الحسك:الشوك، و السعدان:نبت ترعاه الإبل له شوك.

٢٥.المسهد:من سهده:أي أسهره.

٢٦.المصفد:المقيد.

٢٧.الملفوفة:نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى علي عليه السلام.

٢٨.شننتها:كرهتها.

٢٩.الصلة:العطية.

٣٠.هبلتك:ثكلتك.

٣١.الهبول:المراة التي لا يعيش لها ولد.

٣٢.امختبط:أي أمختل أنت؟.

٣٣.ذوجنة:أي أصابه مس من الشيطان.

٣٤.تهجر:أي تهذي بما ليس به معنى في غير مرض.

٣٥.نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣٦.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٤٧.

٣٧.الثفنة:ما يمس الأرض من البعير بعد البروك، و يكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، و كذلك كان في جبينه عليه السلام من كثرة السجود.

٣٨.الاستخذاء:الخضوع و التذلل.

٣٩.شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧.

٤٠.السليم:الملدوغ.

٤١.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٨٧.

٤١.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٨٧.

زهد علي عليه السلام

في مفهوم الزهد

لا يخفى أن الزهد ممدوح، لأنه أحد منازل الدين، و أعلى مقامات السالكين.

الزهد ضد الدنيا و الرغبة فيه، و الزاهد لا يريد الدنيا بقلبه، و يتركها بجوارحه إلا بقدر ضرورة بدنه، و إنما يعرف زهد الزاهد فيها إذا كانت في يده و يزهد فيه، و أعلا مراتب الزهد أن يرغب عن الدنيا عدولا إلى الآخرة، أو عن غير الله عدولا إلى الله تعالى، فمن رغب عن كل ما سوى الله حتى الفردوس و لم يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق.

نعم، من رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أو طمعا في نعيم الجنة من الحور و الفواكه و الأنهار و سائر نعم الله في الجنة، فهو أيضا زاهد، و لكنه دون الأول، أما من ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض، كالذي يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسع في المعاش دون التجمل في الزينة، لا يستحق أن يسمى زاهدا.

نظرة في زهد علي عليه السلام

اعلم أن زهد علي عليه السلام بلغ حدا بحيث كان يتدوال على ألسن المحب و المبغض، فإن أكابر الصحابة في عصر خلافة عثمان و قبله، قد درت عليهم الدنيا من الفتوحات و العطاء من بيت المال، المال الكثير، فبنوا الدور، و جمعوا الأموال الكثيرة، و شيدوا القصور، و خلفوها بعدهم .

قال المسعودي في مروج الذهب ما ملخصه:في أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع و الدور، منهم الزبير بن العوام، بنى داره بالبصرة و هي المعروفة، و دارا بمصر و الكوفة و الإسكندرية، و بلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار، و خلف ألف فرس، و ألف أمة، و ألف عبد .

و كذلك طلحة بن عبيد الله التيمي:كانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، و شيد داره بالمدينة، و بناها بالآجر و الجص و الساج.

و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري:ابتنى داره و وسعه، كان على مربطه مائة فرس، و له ألف بعير، و عشرة آلاف شاة من الغنم، و بلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة و ثمانين ألفا.

و ابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكه، و وسع فضاءه، و جعل أعلاها شرفات.

و قد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمة مائة ألف دينار.

و مات يعلى بن منية و خلف خمسمائة ألف دينار، و ديونا على الناس، و عقارات، و غير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار، و هذا باب يتسع ذكره و يكثر وصفه فيمن تملك من الأموال في أيام عثمان.

و قال المسعودي أيضا:و كان عثمان في نهاية الجود و الكرم و السماحة و البذل في القريب و البعيد، فسلك عماله و كثير من أهل عصره على طريقته، و تأسوا به في فعله، و بنى داره في المدينة، و شيدها بالحجر و الكلس، و جعل أبوابها من الساج و العرعر، و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينة [1] ، و ذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار، و ألف ألف درهم، و قيمة ضياعه بواد القرى و حنين و غيرهما مائة ألف دينار، و خلف خيلا كثيرة و إبلا [2] .

ثم قال:أما علي عليه السلام لم يكن له أدنى نصيب منها في عطاء و غيره، ثم جاءته الخلافة و صارت بلاد الإسلام كلها في يده عدا الشام، و مع ذلك لم يخلف عند موته إلا ثلاثمائة درهم، لم يكن اختزنه، و إنما أعدها لخادمة يشتريها لأهله، فمات قبل شرائه، فأين ذهبت الأموال التي وصلت إلى يده، و هو لم يصرفها في مأكل و لا ملبس و لا مركوب و لا شراء عبيد و لا إماء و لا بناء دار و لا اقتناء عقار؟!.

مات علي عليه السلام و لم يضع لبنة على لبنة، و لا تنعم بشيء من لذات الدني، بل كان يلبس الخشن، و يأكل الجشب، و يعمل في أرضه، فيستنبط منها العيون، ثم يوقفها في سبيل الله، و يصرف ما يصل إلى يده من مال على الفقراء و المساكين و في سبيل الله.

و قال أيضا:لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديد، و لا اقتنى ضيعة و لا ربع، إلا شيئا كان له بينبع مما تصدق به و حبسه. [3]

ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله في زهد علي عليه السلام

في كفاية الطالب:عن عمار بن ياسر، قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلي بن أبي طالب:«يا علي، إن الله عز و جل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منه، الزهد في الدني، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئ، و لا تنال الدنيا منك شيئ، و وهب لك حب المساكين، و رضوا بك إمام، و رضيت بهم أتباع، فطوبى لمن أحبك و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب عليك، فأما

الذين أحبوك و صدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، و رفقاؤك في قصرك، و أما الذين أبغضوك و كذبواعليك، فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة». [٤]

ما قيل في زهده عليه السلام

١ ـ قال ابن أبي الحديد في وصف أمير المؤمنين عليه السلام:و أما الزهد في الدني، فهو سيد الزهاد، و بدل الأبدال، و إليه تشد الرحال، و عنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط، و كان أخشن الناس مأكلا و ملبسا.

قال عبد الله بن أبي رافع:دخلت عليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوم، فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوض، فقدم فأكل، فقلت:يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟قال:«خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت».و كان ثوبه مرقوعا بجلد تارة، و ليف اخرى، و نعلاه من ليف، و كان يلبس الكرباس [٥] الغليظ، فإذا وجد كمه طويلا قطعه بشفرة، و لم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له.

و كان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، و لا يأكل اللحم إلا قليلا.و يقول:«لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان»، و كان مع ذلك أشد الناس قوة، و أعظمهم أيد، لا ينقض الجوع قوته، و لا يخون [٦] الإقلال منته. [٧]

و هو الذي طلق الدنيا و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرقها و يمزقه، ثم يقول:

هذا جناي و خياره فيه

إذ كل جان يده إلى فيه [٨]

٢ ـ و في تاريخ دمشق، باسناده عن حسن بن صالح، قال:تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون:فلان، و قال قائلون:فلان، فقال عمر بن عبد العزيز:أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام. [٩]

٣ ـ و قال العقاد:و صدق في تقواه و إيمانه كما صدق في عمل يمينه و مقالة لسانه، فلم يعرف أحد من الخلفاء أزهد منه في لذة دنيا أو سبب دولة، و كان و هو أمير المؤمنين يأكل الشعير، و تطحنه أمرأته بيديه، و كان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير، فيقول:«لا أحب أن يدخل بطني ما لا أعلم».

قال عمر بن عبد العزيز:أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام.

و قال سفيان:إن عليا لم يبن آجرة على آجرة، و لا لبنة على لبنة، و لا قصبة على قصبة، قد أبى أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة إيثارا للخصاص التي يسكنها الفقراء، و ربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء و الطعام. [١٠]

نماذج من زهده في أيام خلافته

نشير هنا إلى نبذة مما ظهر من زهده في أيام خلافته على البلاد الإسلامية إلا الشام، عسى أن يكون ذلك أسوة و مقتدى لحكام البلاد الإسلامية في عصرنا هذا:

١ ـ في الغارات:عن عبد الله بن الحسن، عن الحسن عليه السلام، قال:«أعتق علي عليه السلام ألف أهل بيت بما مجلت [١١] يداه و عرق جبينه عليه السلام». [١٢]

٢ ـ و فيه أيض، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال:«أعتق علي عليه السلام ألف مملوك مما عملت يداه، و إن كان عندكم إنما حلواه التمر و اللبن، و ثيابه الكرابيس، و تزوج عليه السلاملیلى، [١٣] فجعل له حجلة [١٤] ، فهتكه، و قال عليه السلام:حسب أهل علي ما هم فيه». [١٥]

٣ ـ و في شرح ابن أبي الحديد، عن عنبسة العابد، عن عبد الله بن الحسين بن الحسن قال:أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله ألف مملوك مما مجلت يداه و عرق جبينه، و لقد ولي الخلافة و أتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، و لا ثيابه إلا الكرابيس. [١٦]

٤ ـ و في فرائد السمطين:عن سويد بن غفلة، قال:دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام القصر (قصر الإمارة بالكوفة) فوجدته جالسا (و) بين يديه صحفة فيها لبن حازر [١٧] ، أجد ريحه من شدة حموضته، و في يديه رغيف، أرى قشار الشعير في وجهه، و هو يكسره بيده أحيان، فإذا أعيى عليه كسره بركبتيه، و طرحه في اللبن، فقال:«ادن فأصب من طعامنا هذا»فقلت:إني صائم .فقال:«سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:من منعه الصيام من طعام يشتهيه، كان حقا على الله أن يطعمه من طعام الجنة، و يسقيه من شرابها».قال:فقلت لجاريته ـ و هي قائمة[بقرب]منه ـ و يحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ألا تنخلون له طعاما مما أرى فيه من النخالة؟فقالت :لقد تقدم إلينا أن لا ننخل له طعاما.قال:فقال لي علي عليه السلام:«ما قلت لها؟»فأخبرته .فقال:«بأبي و امي، من لم ينخل له طعام، و لم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله تعالى». [١٨]

و روى نحوه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص. [١٩]

٥ ـ و روى ابن الجوزي أيض، عن سويد بن غفلة، قال:دخلت على علي عليه السلام يوم، و ليس في داره سوى حصير رث و هو جالس عليه، فقلت:يا أمير المؤمنين، أنت ملك المسلمين و الحاكم عليهم و على بيت المال، و تأتيك الوفود، و ليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء؟فقال عليه السلام :«يا سويد، إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة، و أمامنا دار المقامة قد نقلنا إليها متاعن، و نحن منقلبون إليها عن قريب».قال:فأبكاني و الله كلامه. (٢٠)

٦ ـ و روى ابن الجوزي أيض، عن الأحنف بن قيس، قال:دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو و الحامض ما كثر تعجبي منه، ثم قال:قدموا ذاك اللون، فقدموا لونا ما أدري ما هو.فقلت:ما هذا؟فقال:مصارين (٢١) البط، محشوة بالمخ و دهن الفستق قد ذر عليه السكر.قال:فبكيت.فقال:ما يبكيك؟

فقلت:لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت و لا غيرك. فقال معاوية :و كيف؟قلت:دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي:«قم فتعش مع الحسن و الحسين».ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ، دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيرا مطحون، ثم ختمه.فقلت:يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيل، فكيف ختمت على هذا الشعير؟فقال عليه السلام:«لم أختمه بخل، و لكن خفت أن يبسه (٢٢) الحسن و الحسين بسمن أو إهالة». (٢٣) فقلت:أحرام هو؟.قال:«ل، و لكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا في الأكل و اللباس، و لا يتميزوا عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، و يراهم الغني فيزداد شكرا و تواضعا». (٢٤)

٧ ـ و في اسد الغابة عن محمد بن كعب القرظي، قال:سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول :«لقد رأيتني و إني لأربط الحجر على بطني من الجوع، و إن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار». (٢٥)

٨ ـ و في تذكرة الخواص:عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، قال:سمعت عبد الملك بن عمر يقول :حدثني رجل من ثقيف، قال:استعملني علي عليه السلام على عكبر، و قال لي:«إذا كان الظهر فأتني».قال:فأتيته فلم أجد أحدا يحجبني عنه، و وجدته جالسا وحده و بين يديه قدح من خشب، و كوز من ماء، فدعا بجراب مختوم، فقلت:لقد إئتمنني حيث يخرج إلي جوهر، و لا أعلم ما قيمته، فكسر الخاتم فإذا فيه سويق، فأخرج منه و صب في القدح ماء و ذره عليه، ثم شرب و سقاني، فلم أصبر، و قلت:يا أمير المؤمنين، قد وسع الله عليك، و الطعام بالعراق كثير.فقال:«و الله ما ختمت

عليه بخل، و إنما أبتاع قدر كفايتي، و أخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره، و إنما أفعل هذا لئلا يدخل بطني غير طيب». [٢٦]

٩ ـ و في نهج البلاغة و غيره عن عبد الله بن العباس قال:دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار [٢٧] و هو يخصف [٢٨] نعله، فقال لي:«ما قيمة هذه النعل؟».فقلت:لا قيمة لها.

فقال عليه السلام:«و الله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن اقيم حق، أو أدفع باطلا». [٢٩]

١٠ ـ و في فرائد السمطين:بسنده عن معاوية، عن رجل من بني كاهل، قال:رأيت عليا عليه السلام و عليه تبان، [٣٠] و قال:«نعم الثوب، ما أستره للعورة، و أكفه للأذى!». [٣١]

علي عليه السلام يأمر عماله بالزهد

إن عليا عليه السلام لم يكتف بكونه زاهدا في نفسه، بل كان يأمر عماله بالزهد و ترك الدنيا و زينته، و يريد من عماله في الأمصار أن يكونوا مثله أو متشبهين به على الأقل، و يتابع أوضاعهم و سيرتهم، فيبلغه عن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أنه دعي إلى مأدبة فذهب إليه، فيكتب إليه:«بلغني أن بعض فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليه، تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، و غنيهم مدعو». [٣٢]

و معنى هذا الكلام أنه كان على ابن حنيف أن لا يجب دعوة أحد من وجوه البصرة، فإن من يدعو الوالي إلى مأدبته لا يدعو معه إلا الأغنياء، و لا يدعو أحدا من الفقراء، و كيف يفعلون ذلك و ثياب الفقراء بالية، و هيئاتهم رثة ينفرون منها و من رؤيته، و إذا أرادوا أن يعطفوا على فقير منهم أرسلوا إليه شيئا من الزاد أو المال إلى بيته، و لم تسمح لهم أنفسهم أن يجالسوهم على مائدتهم.

ثم يريد من ابن حنيف أن يقتدي به في زهده، فيقول له:«ألا و إن لكل ماموم إماما يقتدي به و يستضيء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه» . [٣٣]

ثم يرى أن ذلك غير ممكن فيقول له:«ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد، و عفة و سداد». [٣٤]

ثم يحلف بالله مؤكدا فيقول:«فوالله ما كنزت من دنياكم تبر، و لا ادخرت من غنائمها و فر، و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا». [٣٥]

ثم يسوقه الألم و الحزن من أمر فدك إلى ذكرها هن، فيذكر أنه مع كونه قادرا على التنعم بملاذ الدنيا فهو يتركها زهدا فيه، مواساة للفقراء، فيقول:«و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و

لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبني هواي و أن يقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، و لعل بالحجاز و اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشبع». [٣٦]

ليس الزهد عند علي عليه السلام ترك الدنيا طرا

بعض العوام لا يعرفون حقيقة الزهد في الإسلام، فيظنون أن الزهد ترك الدنيا بالمرة، و اختيار العزلة و الانزواء دائم، و هذا أمر لا يقره الإسلام، بل الزهد في درجة عالية من تهذيب النفس و قصر الأمل، قال النبي صلى الله عليه و آله«ليس الزهد في الدنيا لبس الخشن، و أكل الجشب، و لكن الزهد في الدنيا قصر الأمل». [٣٧]

و إلى هذا المعنى يرجع قول أمير المؤمنين عليه السلام:«الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه:لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم فمن لم يأس على الماضي، و لم يفرح بالآتي، فقد استكمل الزهد بطرفيه». [٣٨]

و لو رأى أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه يترك الدنيا و يلبس العباء و يترك الملاء يذمه و يرشده إلى حقيقة الحال، كما نرى ذلك في قصة عاصم بن زياد و أخيه الربيع، و التي سنشير إليها فيما يلي:

قصة عاصم بن زياد

روى سبط ابن الجوزي عن الأحنف بن قيس، أنه قال:جاء الربيع بن زياد الحارثي إلى علي عليه السلام فقال:يا أمير المؤمنين، إعدلي على أخي عاصم بن زياد، فقال:ما باله؟فقال:لبس العباءة و تنسك و هجر أهله.

فقال عليه السلام:علي به.فجاء و قد ائتزر بعباءة و ارتدى باخرى أشعث أغبر.فقال له:و يحك يا عاصم!أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك، ألم تسمع إلى قوله تعالى:و يحل لهم الطيبات [٣٩] أترى الله أباحها لك و لأمثالك و هو يكره أن تنال منه، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه و آله:«إن لنفسك عليك حقا؟!»الحديث.

فقال عاصم:فما بالك يا أمير المؤمنين، في خشونة ملبسك، و جشوبة مطعمك، و إنما تزينت بزيك، فقال عليه السلام:«و يحك، إن الله فرض على أئمة الحق أن يتصفوا بأوصاف رعيتهم، أو بأفقر رعيتهم، لئلا يزدرى [٤٠] الفقير بفقره، و ليحمد الله الغني على غناه». [٤١]

و روى ابن أبي الحديد في شرحه هذه القصة هكذا:إعلم أن الذي رويته عن الشيوخ، و رأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب، أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كل عام، فأتاه علي عليه السلام عائد، فقال:«كيف تجدك أبا عبد الرحمن؟» .قال:أجدني ـ يا أمير المؤمنين ـ لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه.قال:«و ما قيمة بصرك عندك؟».قال:لو كانت لي الدنيا لفديته بها.قال:«لا جرم:ليعطينك الله على قدر ذلك، إن الله تعالى يعطي على قدر الألم و المصيبة، و عنده تضعيف كثير».قال الربيع :يا أمير المؤمنين، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي؟قال:«ماله؟».قال:لبس العباء [٤٢] و ترك الملأ [٤٣] و غم أهله و حزن ولده.

فقال علي عليه السلام:«ادعوا لي عاصما»فلما أتاه عبس في وجهه عليه السلام و قال:«و يحك ـ يا عاصم ـ أترى الله أباح لك اللذات و هو يكره ما أخذت منها؟!لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول:مرج البحرين يلتقيان، ثم يقول:يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان [٤٤] ، و قال:و من كل تأكلون لحما طريا و تستخرجون حلية تلبسونها [٤٥] ، أما و الله إن ابتذال نعم الله بالفعال، أحب إليه من ابتذالها بالمقال؟و قد سمعتم الله يقول:و أما بنعمة ربك فحدث [٤٦] ، و قوله:قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق. [٤٧] إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين، فقال:يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم [٤٨] و قال:يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا. [٤٩] و قال رسول الله صلى الله عليه و آله لبعض نسائه:مالي أراك شعثاء [٥٠] مرها [٥١] سلتاء [٥٢] ؟!».

قال عاصم:فلم اقتصرت ـ يا أمير المؤمنين ـ على لبس الخشن و أكل الجشب؟

قال:«إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام، كيلا يتبيغ بالفقير فقره». [٥٣]

فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء و لبس ملاءة. [٥٤]

تعليقات:

١.هل يجوز لحاكم المسلمين صرف بيت مال المسلمين في هذه الامور، و هل يجوز بذله في القريب و البعيد حتى يتأسى به عماله؟!و هل يسمى هذا البذل سماحة و كرم، بل هو تفريط ببيت المال؟ !!راجع سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الامور حتى تتضح لك الحقيقة.

٢.مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤١ و ٣٤٢.

٣.المصدر السابق، قال المسعودي في تاريخه، ج ٢، ص ٤٣٣ و دخل عليه رجل من أصحابه فقال:كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟قال:«أصبحت ضعيفا مذنب، آكل رزقي، و أنتظر أجلي»قال:و ما تقول في الدنيا؟قال:«و ما أقول في دار أولها غم، و آخرها موت؟من استغنى فيها فتن، و من افتقر فيها حزن، حلالها حساب، و حرامها عقاب»قال:فأي الخلق أنعم؟قال:«أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب، و هي تنتظر الثواب».

٤.كفاية الطالب، ص ١٩١، و روى نحوه الجويني في فرائد السمطين، ج ١، ص ١٣٦، ح ١٠٠.

٥.الكرباس ـ بالكسر ـ ثوب من القطن الأبيض، معرب.

٦.و في نسخة يخور:يعني يضعف.

٧.المنة:القوة.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦.

٩.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٢، ح ١٢٥٤.

١٠.عبقرية الإمام، ص ٢٩.

١١.مجلت يداه:ثخن جلدها و منه حديث فاطمة عليها السلام:أنها شكت إلى علي عليه السلام مجل يديها من الطحن.

١٢.الغارات، ج ١، ص ٩١.

١٣.و هي ليلي بنت مسعود النهشلية، إحدى نسائه عليها السلام، و هي أم محمد الأصغر الشهيد مع أخيه الحسين عليه السلام في كربلاء و أم عبيد الله قتيل المذار.

١٤.الحجلة:ساتر كالقبة يزين بالثياب و الستور للعروس.

١٥.المصدر السابق.

١٦.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٢.

١٧.الحارز:الحامض.

١٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٢، ح ٢٧٨ و يريد في عبارته الأخيرة رسول الله صلى الله عليه و آله.

١٩.تذكرة الخواص، ص ١٠٧.

٢٠.المصدر السابق، ص ١١٠.

٢١.المصارين:الأمعاء.

٢٢.بس السويق:خلطه بسمن أو زيت.

٢٣.الإهالة بالكسر:الشحم المذاب أو الزيت و كل ما ائتدم به.

٢٤.تذكرة الخواص، ص ١٠٦.

٢٥.اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣.

٢٦.تذكرة الخواص، ص ١٠٧.

٢٧.ذوقار:موضع قريب من البصرة، و هو اليوم أحد محافظات العراق.

٢٨.يخصف نعله أي يخرزها.

٢٩.نهج البلاغة، الخطبة، ٣٣، و روي نحوه في تذكرة الخواص، ص ١١٠.

٣٠.التبان ـ بالضم و التشديد ـ سراويل صغيرة مقدار شبر تستر العورة.

٣١.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٣، ح ٢٧٩.

٣٢.نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٣٣.نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٣٤.نفس المصدر.

٣٥.نفس المصدر.

٣٦.نفس المصدر.

٣٧.قصار الجمل، ص ٢٨٤.

٣٨.نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٣٩.

٣٩.الأعراف، ١٥٧.

٤٠.أي يحقر و يعاب.

٤١.تذكرة الخواص، ص ١٠٦.

٤٢.العباء:الكساء من الصوف، و هو لباس خشن.

٤٣.الملاء بالضم:الثوب اللين الرقيق.

٤٤.الرحمن، ١٩.

٤٥.الرحمن، ٢٢.

٤٦.الضحى، ١١.

٤٧.الاعراف، ٣٢.

٤٨.البقرة، ١٧٢.

٤٩.المؤمنون، ٥١.

٥٠.قوله:«شعثاء»التي اغبر رأسها و تلبد شعرها و انتشر لقلة تعهده بالدهن.

٥١.المرهاء:التي لا تكتحل.

٥٢.السلتاء:التي لا تختضب.

٥٣.قوله:«يتبيع بالفقير فقره»أي يهيج به الألم فيهلكه.

٥٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٥ ـ ٣٦.

٥٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٥ ـ ٣٦.

صبره عليه السلام على النوائب

في معنى الصبر و مراتبه

الصبر ضد الجزع، و هو ثبات النفس و عدم اضطرابها في الشدائد و المصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر و ما كانت عليه قبل ذلك من السرور و الطمأنينة، فيحبس لسانه عن الشكوى و أعضاءه عن الحركات غير المتعارفة، و هذا هو الصبر على المكروه و ضد الجزع .و الصبر على المكروه و مشاق العبادات و على ترك الشهوات إن كان بيسر و سهولة فهو الصبر حقيقة، و إن كان بتكلف و تعب فهو التصبر مجاز، و إذا أدام التقوى و قوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر و لم يكن له تعب و مشقة، كما قال الله تعالى:فأما من أعطى و اتقى*و صدق بالحسنى*فسنيسره لليسرى. [1] و متى تيسر الصبر و صار ملكة راسخة أورث مقام الرضى، و إذا أدام مقام الرضى أورث مقام المحبة.و لذا قال بعض العارفين:أهل الصبر على ثلاث مقامات:

الأول:ترك الشكوى، و هذه درجة التائبين.

الثاني:الرضى بالمقدر، و هذه درجة الزاهدين.

الثالث:المحبة لما يصنع به مولاه، و هذه درجة الصديقين.

و لا يخفى أن هذه الدرجة لا يبلغها إلا من كان عارفا بالله و بأسرار حكمته و قضائه و قدره، بأن يعلم أن كل أمر صدر من الله و ابتلى به عباده من ضيق أو سعة، و كل أمر موهوب أو مرغوب على وفق الحكمة و المصلحة بالذات، فإذا صار بهذه المرتبة استعدت نفسه للصبر و مقاومة الهوى في الغم و الحزن، و طابتبقضائه و قدره، و توسع صدره بمواقع حكمه، و أيقن بأن قضاءه لم يجر إلا بالخيرة.

و هذه الدرجة من الصبر كانت لعلي بن أبي طالب عليه السلام على مدى عمره الشريف، فقد صبر في جميع المشاكل و المصائب، و كان صابرا بوجه أعداء الله، و أمام المشاكل الإقتصادية و جميع الحوادث، لقد كان جليس داره خمس و عشرين سنة، و اغتصب حقه المسلم به، لكنه صبر و لم يشتك و لو لمرة واحدة، و لم يكن يعترض أو يتمنى على الله في كل ما جرى عليه.بل كان مثال الصبر و مظهر صفة الصابرين:إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. [2]

تأكيد رسول الله صلى الله عليه و آله على علي عليه السلام بالصبر

نقل ابن أبي الحديد عن أنس بن مالك، قال:كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و علي بن أبي طالب معن، فمررنا بحديقة، فقال علي:«يا رسول الله، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة؟»فقال صلى الله عليه و آله:«إن حديقتك في الجنة أحسن منها»حتى مررنا بسبع حدائق، يقول علي ما قاله، و يجيبه رسول الله صلى الله عليه و آله بما أجابه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله وقف فوقفن، فوضع رأسه على رأس علي عليه السلام و بكى، فقال علي عليه السلام:ما يبكيك، يا رسول الله؟قال:ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

قال:يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي، فأبيد خضراءهم؟قال:بل تصبر.

قال:فان صبرت؟قال:تلاقي جهدا.قال:أفي سلامة من ديني؟قال:نعم، قال:فإذن لا أبالي». [٣]

و أخرج نحوه الموفق بن أحمد في المناقب، [٤] و الجويني في الفرائد، [٥] و ابن‌عساكر في تاريخ دمشق، [٦] و الهيثمي في المجمع [٧] و أحمد بن حنبل في الفضائل [٨] و الخطيب في التاريخ. [٩]

صبره عليه السلام على الامور

١ ـ روى المحب الطبري عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله:«أن رسول الله صلى الله عليه و آله أتاها يوما فقال:أين ابناي ـ يعني حسنا و حسين ـ ؟قالت:أصبحنا و ليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي عليه السلام:أذهب بهم، فإني أتخوف أن يبكيا عليك و ليس عندك شيء، فذهب بهما إلى فلان اليهودي، فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه و آله فوجدهما يلعبان في مشربة [١٠] بين أيديهم فضل من تمر، فقال صلى الله عليه و آله:يا علي، ألا تقلب [١١] ابني قبل أن يشتد الحر عليهما.

قال:فقال علي عليه السلام:أصبحنا و ليس في بيتنا شيء، فلو جلست ـ يا رسول الله ـ حتى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و علي عليه السلام ينزع لليهودي كل دلو بتمرة حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجزته، ثم أقبل فحمل رسول الله صلى الله عليه و آله أحدهم، و حمل علي عليه السلام الآخر». [١٢]

٢ ـ روى محب الدين الطبري، عن سهل بن سعد:أن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل على فاطمة و حسن و حسين يبكيان، فقال:«ما يبكيهما؟».قالت:«الجوع»فخرج علي عليه السلام فوجد دينارا في السوق فجاء إلى فاطمة فأخبره، فقالت:«إذهب إلى فلان اليهودي، فخذ لنا به دقيقا»فجاء إلى

اليهودي فاشترى به دقيقا.فقال اليهودي:أنت ختن [١٣] هذا الذي يزعم أنه رسول الله صلى الله عليه و آله؟قال:«نعم»قال:«فخذ دينارك، و خذ الدقيق» .

فخرج علي عليه السلام حتى جاء فاطمة فأخبره، فقالت:«إذهب إلى فلان الجزار، فخذ لنا بدرهم لحما»فذهب فرهن الدينار بدرهم في لحم فجاء به، فعجنت و خبزت و طبخت، و أرسلت إلى أبيها صلى الله عليه و آله فجاءهم، و قالت:«يا رسول الله، أذكر لك، فإن رأيته حلالا أكلنا و أكلت، من شأنه كذا و كذا».فقال صلى الله عليه و آله:«كلوا باسم الله»فأكلوا فبينما هم بمكانهم، و إذا بغلام ينشد الله و الإسلام الدينار، فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله عليا:«يا علي، اذهب إلى الجزار فقل له:إن رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لك:ارسل إلي بالدينار، و درهمك علي»فأرسل به فدفعه إليه. [١٤]

حلم علي عليه السلام

الحلم:هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة، و لا يزعجها المكروه بسرعة، فهو الضد الحقيقي للغضب لأنه المانع من حدوثه.

قال الراغب:الحلم ضبط النفس و الطبع عن هيجان الغضب، و جمعه أحلام...و قوله تعالى:و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم [١٥] أي زمان البلوغ، و سمي الحلم لكون صاحبه جديرا بالحلم. [١٦]

و الحلم هو أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، قال علي عليه السلام:«لا شرف كالعلم، و لا عز كالحلم» [١٧] بل لا ينفع العلم بدون الحلم أصل، و لذا كثيرا ما يمدح العلم إذا اقترن بالحلم.

فقد كان علي عليه السلام أحلم الناس عن ذنب، و أصفحهم عن مسيء، و يحلم عند جهل الناس، و هو مثال للحلم، صدق رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال في خبر:«لو كان الحلم رجلا لكان عليا عليه السلام». [١٨]

قال ابن أبي الحديد في شرحه:و أما الحلم و الصفح فكان علي عليه السلام أحلم الناس عن ذنب، و أصفحهم عن مسيء، و قد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ و كان أعدى الناس له و أشدهم بغض ـ فصفح عنه.

و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، و خطب يوم البصرة فقال:قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب!!!، و كان علي عليه السلام يقول:«ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله»فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسير، فصفح عنه، و قال:«إذهب فلا أرينك»لم يزده على ذلك.

و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، و كان له عدو، فأعرض عنه و لم يقل له شيئا .

و قد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها و بعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس، عممهن بالعمائم، و قلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به و تأففت و قالت:هتك ستري برجاله و جنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، و قلن لها:إنما نحن نسوة.

ثم قال ابن أبي الحديد:و حاربه أهل البصرة، و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف، و شتموه و لعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، و نادى مناديه في أقطار العسكر:«ألا لا يتبع مول، و لا يجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، و لم يأخذ من أثقالهم و لا سبى ذراريهم، و لا غنم شيئا من أموالهم»و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، و لكنه أبى إلا الصفح و العفو، و تقيل سنة رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة فإنه عفا و الأحقاد لم تبرد و الإساءة لم تنس.

ثم قال:و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات، و قالت رؤساء الشام له:اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطش، سألهم علي عليه السلام و أصحابه أن يشرعوا [١٩] لهم شرب الماء، فقالوا:لا و الله و لا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة، تقدم بأصحابه، و حمل على عساكرمعاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه و شيعته:إمنعهم الماء ـ يا أمير المؤمنين ـ كما منعوك، و لا تسقهم منه قطرة، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضا بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب.فقال:«لا و الله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك»فهذه إن نسبتها إلى الحلم و الصفح فناهيك بها جمالا و حسن، و إن نسبتها إلى الدين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام. [٢٠]

تعليقات:

١.الليل، ٥ الى ٧.

٢.الزمر، ١٠.

٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٧ و ١٠٨.

٤.المناقب، ٢٦.

٥.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٥٢، ح ١١٥.

٦.ترجمة علي عليه السلام، ج ٢، ص ٣٢٢، ح ٨٣٤.

٧.مجمع الزوائد.ج ٩، ص ١١٨.

٨.فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٥١، ح ١١٠٩.

٩.تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣٩٨.

١٠.أي غرفة.

١١.أي ترجعهما.

١٢.ذخائر العقبى، ٤٩ و ١٠٤.

١٣.الختن:الصهر.

١٤.ذخائر العقبى، ص ١٠٥.

١٥.النور، ٥٩.

١٦.مفردات الراغب حرف الحاء، ص ١٢٩.

١٧.نهج البلاغة، قصار الحكم ١٠٩.

١٨.فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٨، رقم ٣٩٢.

١٩.و في نسخة:يسوغوا.

٢٠.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٢.

٢٠.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٢.

سخاءه عليه السلام و انفاقه

في مفهومي البخل و السخاء

البخل هو الإمساك فيما ينبغي البذل، كما أن الإسراف هو البذل فيما ينبغي الإمساك، و كلاهما مذمومان، و المحمود هو الوسط، و هو الجود و السخاء، إذ لم يؤمر المسلم إلا بالسخاء كما خاطب القرآن رسول الله صلى الله عليه و آله:و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط. [١] و قوله تعالى:و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما. [٢]

و في القرآن و السنة ذم للبخل، لأنه من ثمرات حب الدني، و من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق، قال الله تعالى:و لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة. [٣]

و السخاء، وسط بين الإقتار و الإسراف، و بين البسط و القبض، و هو ضد البخل، و من ثمرة الزهد، كما أن البخل من ثمرة حب الدني، فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن تكون له حالة القناعة إن لم يكن له مال، و لا ريب في أنه من شرائف الصفات و معالي الأخلاق، و هو من أشرف أوصاف النبيين و المرسلين، و ما ورد في مدحه أكثر من أن يحصى، إليك نماذج من هذه الأخبار:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«السخاء شجرة في الجنة، فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة». [٤]

نظرة في سخاء علي عليه السلام

كان علي عليه السلام نموذج الإنسانية العالي الذي يحتذى به في كل خلق حسن و سجية تثير الإعجاب، فهو مظهر و مظهر الصفات الكمالية للحق تعالى ذكره.

و علي عليه السلام نموذج الإنسانية الرائع و الاسوة الحسنة التي تستحق الاقتداء من قبل كل أتباعه في مجال الجود و السخاء سيما اولئك الذين قطعوا أنفسهم عن التعلق بزخارف الدنيا و أموالها.

إذا لم يكن بالإمكان أن نصبح كعلي عليه السلام في فضائله المتألقة الكاملة، فإننا نستطيع التحلي بصفات الفضيلة التي تحلى بها الإمام عليه السلام أو أكد عليه، كما قال عليه السلام :«لا تقدرون على ذلك، بل أعينوني بورع و اجتهاد». [٥]

لا شك أنكم كثيرا ما سمعتم عن كرم حاتم الطائي وجوده الذي أصبح مضربا للأمثال في كل الأعصار، إلا أنه بالمقارنة مع سخاء علي عليه السلام وجوده فهو ذرة غير قابلة للقياس .

و إذا قلنا:إنه لا يمكن لأي مخلوق بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أن يصل إلى مقام علي عليه السلام في الجود و السخاء، فإننا لم نكن مبالغين، و لن نعدو الصواب و الحق، و لم يكن قولنا جزافا بقدر ما هو حق، لأن عليا عليه السلام كان سخيا في كل أحواله، في السعة و ضيق ذات اليد، في العلن و في الخفاء، في توزيع المال و بذل الطعام.

و في مطالعتنا للأحاديث التي تحكي جوده و كرمه، نجده عليه السلام في كثير من الأحيان يبذل ما في يده ـ و إن كان محتاجا إليه حاجة ماسة ـ للفقراء و المساكين.

و لا يتوقف على هذا الحد بل إنه يعطي أحيانا قوت عائلته الذي لا يملكون سواه، و يطوي الليل معهم جائعا.و لا يمكن لشخص غير علي عليه السلام أن يعطي قوت عياله الوحيد إلى الفقير، و قد عمله عليه السلام انطلاقا من نور الإمامة و الولاية و علىأساس التسديد الإلهي.

كل هذا يجعل الإنسان الذي ينظر بعين الانصاف و الحق غارقا بالدهشة و التعجب، و لعل القرآن الكريم خير شاهد و دليل على ما نقول، فعلي عليه السلام و عياله هم الذين نزل فيهم قوله تعالى:و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا [٦] و قوله تعالى:و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة [٧] و غيرهما من الآيات التي تحكي لنا صورا من جوده و كرمه عليه السلام.

وجوده عليه السلام و سخاؤه كسائر فضائله و مناقبه عليه السلام، إذ نلاحظ أن العدو و الصديق وقف أمامها وقفة تجليل و تثمين، و لا شك أن تعظيم الأعداء قد تأتى دون اختيارهم، إذ أن بلوغه عليه السلام الدرجات الرفيعة في الفضائل جعلهم مضطرين لتبجيلها و تجليلها.

أما في مجال الانفاق فقد حاز أمير المؤمنين عليه السلام قصب السبق في كل مشاريع الانفاق، الواجب منها و المستحب، فهو عليه السلام السخي الذي لا يجارى، و الكريم الذي لا يبارى، و لا يمكن أن يدانيه أحد من الصحابة في هذا الفضيلة المباركة، و لا يصل إلى مقامه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.

و لعل الأوقاف التي أوقفه، و المساجد التي بناه، و الآبار التي أحياها و وضعها في خدمة المحرومين، و الطرق التي أصلحه، خير شاهد و دليل على ما نقول، و لم يكن عليه السلام سخيا بماله و حسب، بل كان جوادا بنفسه المقدسة، يلقي بها في مهاوي الردى، في سبيل نصرة الحق و الاسلام، حينما تعز النفوس و يضن به، و يقل الناصر و يشمت العدو.و لأجل توضيح هذه الحقائق، نشير إلى بعض الأقوال و الروايات الواردة في هذا الخصوص: ـ قال ابن أبي الحديد:و أما السخاء و

الجود، فحاله فيه ظاهرة، كان يصوم و يطوي، يؤثر بزاده، و فيه انزل:و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا*إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا. [٨]

و روى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليل، و بدرهم نهار، و بدرهم سر، و بدرهم علانية، فانزل فيه:الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سرا و علانية فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. [٩] و في الحديث:«أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده، و يتصدق بالاجرة، و يشد على بطنه حجرا».

٢ ـ ثم نقل ابن أبي الحديد، عن الشعبي:أن عليا عليه السلام، كان أسخى الناس، و كان على الخلق الذي يحبه الله:السخاء و الجود، ما قال:ل، لسائل قط، و قال عدوه و مبغضه الذي يجتهد في وصمه و عيبه معاوية بن أبي سفيان، لمحفن بن أبي محفن الضبي، لما قال له:جئتك من عند أبخل الناس!فقال معاوية:ويحك!كيف تقول:إنه أبخل الناس؟!لو ملك بيتا من تبر [١٠] و بيتا من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه.

ثم ذكر أنه قال:و هو الذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلي فيه، و هو الذي قال:«يا صفراء و يا بيضاء، غري غيري»و هو الذي لم يخلف ميراث، و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام [١١].

و هذا معاوية أعدى عدوه اعترف بسخائه عليه السلام وجوده، و الفضل ما شهدت به الأعداء

٣ ـ و نقل ابن عساكر الشافعي عن أبي إسحاق قال:جاء ابن أجور التميمي إلىمعاوية، فقال:يا أمير المؤمنين، جئتك من عند ألأم الناس، و أبخل الناس، و أعيا الناس، و أجبن الناس!!

فقال له معاوية:و يلك و أنى أتاه اللؤم؟!و لكنا نتحدث أن لو كان لعلي بيت من تبن و آخر من تبر لأنفد التبر قبل التبن

و أنى أتاه العي!و إن كنا لنتحدث أنه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي !

ويلك و أنى أتاه الجبن؟!و ما برزله رجل قط إلا صرعه، و الله ـ يا ابن أجور ـ لو لا أن الحرب خدعة لضربت عنقك، اخرج فلا تقيمن في بلدي.

قال عطاء:و إن كان معاوية يقاتله، فإنه كان يعرف فضله. [١٢]

عن علي عليه السلام قال:«كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا أتي بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل، و يسأل عن دينه، فان قيل:عليه دين، كف عن الصلاة عليه، و إن قيل:ليس عليه دين صلى عليه، فأتي بجنازة، فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه و آله أصحابه:هل على صاحبكم

دين؟قالوا:ديناران، فعدل صلى الله عليه و آله و قال:فصلوا على صاحبكم.فقال علي عليه السلام:هما علي، بريء منهم، فتقدم صلى الله عليه و آله، ثم قال لعلي عليه السلام :جزاك الله خير، فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت إلا و هو مرتهن بدينه، و من يفك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة».أخرجه الدار قطني، و أخرجه الحاكمي عن ابن عباس [١٣] .

قوله عليه السلام للفقير:«اكتب حاجتك على الأرض»

و في تاريخ دمشق، عن الأصبغ بن نباته، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:جاءرجل فقال :يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله و شكرتك، و إن أنت لم تقضها حمدت الله و عذرتك.

فقال له علي عليه السلام:«اكتب على الأرض، أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك»فكتب:إني محتاج، فقال علي عليه السلام:«علي بحلة»فاتي به، فأخذها الرجل فلبسه، ثم أنشاء يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها *** فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة *** و لست تبغي بما قد قلته بدلا

إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه *** كالغيث يحيي نداه السهل و الجبلا

لا تزهد الدهر في زهو تواقعه *** فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي عليه السلام:«علي بالدنانير»فاتي بمائة دينار، فدفعها إليه.

قال الأصبغ:فقلت:يا أمير المؤمنين، حلة، و مائة دينار؟!قال:«نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:انزلوا الناس منازلهم، و هذه منزلة هذا الرجل عندي». [١٤]

تواضع علي عليه السلام

في مفهومى التواضع و الكبر

التواضع ضد الكبر، و الكبر هو:الركون إلى رؤية النفس فوق الغير، و بعبارة اخرى:هو عزة و تعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير، و اعتقاد الإنسان المزية و الرجحان له على غيره، و به ينفصل عن العجب، إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعجب سبب الكبر، و الكبر من نتائج العجب.

و الكبر آفة عظيمة، و به هلك خواص الناس فضلا عن غيرهم من العوام، و هو الحجاب الأعظم المانع من الوصول إلى أخلاق المؤمنين، و أعظم التكبر، التكبر على الله تعالى بالامتناع من قبول

الحق و الإذعان له بالعبادة.ق يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، [١٥] و قال تعالى:فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون. [١٦]

و التواضع:هو إظهار الخشوع و الخضوع و الذل و الافتقار إلى الله تعالى عند ملاحظة عظمته و عند تجدد نعمه أو تذكره، و التنكر للنفس يمنع من أن يرى لذاتها مزية على الغير، و تلزمه أفعال و أقوال موجبة لاستعظام الغير و إكرامه، و لا يظن أحد أن التواضع يوجب الذلة، بل يوجب الرفعة و يزيد صاحبه كثرة في الأموال و الأولاد و الأعوان في الدنيا و الآخرة.

نموذج من تواضعه عليه السلام

كما أن النبي صلى الله عليه و آله أمره الله تعالى بالتواضع للمؤمنين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، [١٧] كان أمير المؤمنين عليه السلام كأخيه رسول الله صلى الله عليه و آله مقتديا بسيرته، إذ كان متواضعا للمؤمنين في كل حالاته في قدرته و ضعفه الظاهريين، و في عزلته و حكومته، و في حربه و سلمه.و فيما يلي نماذج تحكي لنا صورا من تواضعه عليه السلام:

١ ـ قال ابن أبي الحديد المعتزلي:عن صالح بياع الأكسية:إن جدته لقيت عليا عليه السلام بالكوفة و معه تمر يحمله، فسلمت عليه، و قالت له:أعطني ـ يا أمير المؤمنين ـ هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك؟فقال عليه السلام:«أبو العيال أحق بحمله».قالت:ثم قال لي:«ألا تأكلين منه؟» .فقلت:لا اريد.قالت:فانطلق به إلى منزله، ثم رجع مرتديا بتلك الشملة، و فيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة. [١٨]

٢ ـ و فيه أيض، عن عنبسة العابد، عن عبد الله بن الحسين بن الحسن، قال:أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله ألف مملوك مما مجلت [١٩] يداه و عرق جبينه، و لقد ولي الخلافة و أتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، و لا ثيابه إلا الكرابيس.

٣ ـ و فيه أيض، عن حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال:«ابتاع علي عليه السلام في خلافته قميصا سملا [٢٠] بأربعة دراهم، ثم دعا الخياط، فمدكم القميص، و أمره بقطع ما جاوز الأصابع». [٢١]

٤ ـ و في نهج البلاغة:قال علي عليه السلام ـ و قد لقيه عند مسيره إلى الشام (صفين) دهاقين الأنبار، فترجلوا له، و اشتدوا بين يديه:«ما هذا الذي صنعتموه»؟.فقالوا:خلق منا نعظم به امراؤنا.

فقال:«و الله ما ينتفع بهذا امراؤكم، و إنكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم و تشقون به في آخرتكم، و ما أخسر المشقة وراءها العقاب، و أربح الدعة معها الأمان من النار!» [٢٢]

٥ ـ و روى المحب الطبري، عن زيد بن وهب:أن الجعد بن بعجة من الخوارج عاتب عليا في لباسه، فقال :مالكم و لباسي؟هذا هو أبعد من الكبر، و أجدر أن يقتدي به المسلم.أخرجه أحمد و صاحب الصفوة . [٢٣]

٦ ـ و عن زاذان، قال:رأيت عليا يمشي في الأسواق، فيمسك الشسوع بيده، فيناول الرجل الشع، و يرشد الضال، و يعين الحمال على الحمولة، و هو يقرأ الآية:تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا فسادا و العاقبة للمتقين [٢٤] ثم يقول:هذه الآية نزلت في ذي القدرة من الناس.أخرجه أحمد في المناقب. [٢٥]

تعليقات:

١.الاسراء، ٢٩.

٢.الفرقان، ٦٧.

٣.آل عمران، ١٨٠.

٤.كنز العمال، ج ٦، ص ٣٩١، ح ١٦٢٠٨.

٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٠٥.

٦.الانسان، ٨.

٧.الحشر، ٩.

٨.الانسان، ٨ و ٩ و الحديث في المناقب للمغازلي، ص ٢٧٣، ح ٣٢٠.

٩.البقرة، ٢٧٤.

١٠.التبر:ذهب غير مسكوك.

١١.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١.

١٢.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥٨، ح ١١٠٠.

١٣.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

١٤.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٤٦، ح ١٣١١، كنز العمال، ج ٦، ص ٦٣٠، ح ١٧١٤٦.

١٥.غافر، ٣٥.

١٦.النحل، ٢٣.

١٧.الشعراء، ٢١٥.

١٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٢.

١٩.مجلت يداه:عملت.

٢٠.السمل:الخلق من الثياب.

٢١.نفس المصدر.

٢٢.نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٦.

٢٣.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢١٨.

٢٤.القصص، ٨٣.

٢٥.نفس المصدر.

٢٥.نفس المصدر.

الفصل الخامس ـ معجزاته و إخباره بالمغيبات

كلمة في المعجزة و الكرامة

الإعجاز:أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه و يقصر دونه. [1]

و في الإصطلاح:ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة، و مطابقة الدعوى . [2]

و الكرامة في الاصطلاح:ما صدر عن الإنسان ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة بلا دعوى له.

فالمعجزة و الكرامة في أمر خارق العادة مشتركة، إنما التمايز بينهما في المطابقة للدعوى و عدمها.

فاطلاق الإعجاز بحسب الإصطلاح فيما إذا وقع خارق العاده عقيب دعوى النبوة بعنوان شاهد صدق لدعواه، و لذا اشتراط العلماء في إطلاق الإعجاز، التحدي، و أما إذا لم يكن له دعوى أصلا فإنه كرامة نحو ما يظهر من الأولياء و الصلحاء من دون دعوى النبوة أو الإمامة.

فعلى هذا التعريف، فما صدر من خوارق العادة عن أمير المؤمنين عليه السلام و كذا سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام إن كان بداعي إثبات الإمامة فهو معجزة، و إلا يطلق عليه الكرامة، و هم ـ أعني المعجزة و الكرامة ـ صدرتا عن الأئمة عليهم السلام.

و قد ادعى مشهور علماء الإمامية و غيرهم في ظهور المعجزات على يد المعصومين عليهم السلام، و لكن بعضهم يعتقدون بأن المعجزة من مختصات النبي يأتي بالمعجزة كدليل حي يعضد قوله، و يؤيد صدق دعواه بأنه مرسل من قبل الله تعالى، كما أن المعجزة قدتقترن بالتحدي و دعوة الآخرين إلى المواجهة و المعارضة.

أما الكرامة، فانها عبارة عن أعمال خارقة للعادة و إخبار عن المستقبل، و تصدر هذه الأقوال و الأفعال عن الإمام المعصوم غير أنها لا تقترن بادعاء الإمامة، كما أنها لا تحدي فيه، لأن الإمامة تثبت عن طريق آخر، و هو نصب النبي للإمام فلا حاجة هنا للمعجزة.

إخباره عليه السلام بأمر الخوارج بالنهروان

إن عليا عليه السلام ـ لما عزم على حرب الخوارج و قيل له:إن القوم قد عبروا جسر النهروان ـ قال :«مصارعهم دون النطفة، و الله لا يفلت منهم عشرة، و لا يهلك منكم عشرة» [3] قال ابن أبي الحديد في شرحه:هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة، لاشتهاره و نقل الناس كافة له، و هو من معجزاته و أخباره المفصلة عن الغيوب، و الأخبار على قسمين :

أحدهما:الأخبار المجملة و لا إعجاز فيه، نحو أن يقول الرجل لأصحابه:إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غد، فإن نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه، و سماها معجزة، و ان لم ينصر، قال لهم:تغيرت نياتكم و شككتم في قولي، فمنعكم الله نصره، و نحو ذلك من القول، و لأنه قد جرت العادة أن الملوك و الرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر و النصر، و يمنونهم الدول، فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمن إعجازا.

و القسم الثاني:في الأخبار المفصلة عن الغيوب، مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه و في الخوارج، و وقوع الأمر بعدالحرب بموجبه، من غير زيادة و لا نقصان، و ذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه و آله، و عرفه رسول الله صلى الله عليه و آله من جهة الله سبحانه، و القوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذ، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره. (٤)

و قال ابن أبي الحديد أيضا:لما خرج علي عليه السلام الى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض، حتى انتهى إلى علي عليه السلام فقال:البشرى يا أمير المؤمنين قال:«ما بشراك؟»قال:إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له:«الله أنت رأيتهم قد عبروا!»قال:نعم، فأحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول:نعم، فقال علي عليه السلام:«و الله ما عبروه و لن يعبروه، و إن مصارعهم لدون النطفة، و الذي فلق الحبة، و برأ النسمة، لن يبلغوا الأثلاث و لا قصر بوازن، حتى يقتلهم الله، و قد خاب من افترى».

قال:ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يكترث علي عليه السلام بقوله و جاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك.

فقام علي عليه السلام فجال في متن فرسه، قال:فيقول شاب من الناس:و الله لأكونن قريبا منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه، أيدعي علم الغيب!.

فلما انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، و عرقبوا خيلهم، و جثوا على ركبهم، و حكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل فنزل ذلك الشاب فقال:يا أمير المؤمنين، إني كنت شككت فيك آنف، و إني تائب إلى الله و إليك، فاغفر لي.

فقال علي عليه السلام:«إن الله هو الذي يغفر الذنوب، فاستغفره». (٥) و روى أبو يعلى عدة أحاديث في إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل النهروان، منها ما رواه بالاسناد عن أبي كثير مولى

الأنصار قال:كنت مع سيدي علي بن أبي طالب عليه السلام حين قتل أهل النهروان، قال:فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم.

قال:فقال علي:يا أيها الناس، إن نبي الله صلى الله عليه و آله قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فلا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على قومه.و آية ذلك أن فيهم رجلا مخدج اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، إن بها سبع هلبات، فالتمسوه، فاني أراه فيهم.فالتمسوه فوجدوه على شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبر علي عليه السلام، و قال:الله أكبر، صدق الله و رسوله.و آية ذلك متقلد قوسا له عربية، فأخذها بيده، ثم جعل يطعن بها في مخدجته و يقول:الله أكبر، صدق الله و رسوله، صدق الله و رسوله، و كبر الناس حين رأوه، و استبشرو، و ذهب عنهم ما كانوا يجدون. [٦]

إخباره بحكومة الحجاج

في شرح ابن أبي الحديد، عن إسماعيل بن رجاء، قال:قام أعشى باهلة [٧] ـ و هو غلام يومئذ حدث ـ إلى علي عليه السلام و هو يخطب و يذكر الملاحم فقال:يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال علي عليه السلام:«إن كنت آثما فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف»ثم سكت، فقام رجال فقالوا:و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام:«غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكه، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه.»

قالوا:فيقتل قتلا أم يموت موتا؟

قال:«بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه».

قال إسماعيل بن رجاء:فو الله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، و قد احضر في جملة الأسرى الذين اسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج فقرعه و وبخه، و استنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس. [٨]

إخباره عن أمرأة بأنها شبيهة الرجال و النساء

في شرح ابن أبي الحديد:عن عكرمة عن يزيد الأحمسي:أن عليا عليه السلام كان جالسا في مسجد الكوفة، و بين يديه قوم منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف فوقفت، فقال لعلي عليه السلام:يا من قتل الرجال، و سفك الدماء، و أيتم الصبيان، و أرمل النساء!

فقال عليه السلام:«و إنها لهي هذه السلقلقة [٩] الجلعة المجعة [١٠] ، و إنها لهي هذه شبيهة الرجال و النساء التي ما رأت دما قط».

قال الراوي:فولت هاربة منكسة رأسه، فتبعها عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة، قال لها:و الله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أهب لك و أكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها و كشفها و نزع ثيابها لينظر صدقه عليه السلام فيما قاله عنه، فبكت و سألته ألا يكشفه، و قالت:أنا و الله كما قال عليه السلام، لي ركب [١١] النساء، و أنثيان كانثيي الرجال، و ما رأيت دما قط، فتركها و أخرجها.

ثم جاء إلى علي عليه السلام فأخبره فقال:«إن خليلي رسول الله صلى الله عليه و آله أخبرني بالمتمردين علي من الرجال و المتردات من النساء إلى أن تقوم الساعة». [١٢]

نعيه نفسه قبل شهادته و اخباره عنها

و من ذلك ما تواترت به الروايات من نعيه عليه السلام نفسه قبل وفاته، و الخبر عن الحادث في قتله، و انه يخرج من الدنيا شهيدا بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته، فكان الأمر في ذلك كما قال.

و من ذلك قوله عليه السلام:«و الله لتخضبن هذه من هذا»و وضع يده على رأسه و لحيته. [١٣]

و قوله عليه السلام:«ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم». [١٤]

و منها ما رواه أصحاب الآثار:أن الجعد بن بعجة ـ رجلا من الخوارج ـ قال له عليه السلام:اتق الله يا علي، فانك ميت.فقال أمير المؤمنين عليه السلام:«بل و الله مقتول قتل، ضربة على هذا و تخضب هذه ـ و وضع يده على رأسه و لحيته ـ عهد معهود، و قد خاب من افترى». [١٥]

و أيضا رواه الثقات عنه عليه السلام أنه كان يفطر في شهر رمضان الذي ضرب فيه ليلة عند الحسن و ليلة عند الحسين، و ليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم، فقال له الحسن ـ و قيل:الحسين ـ في ذلك، فقال:يا بني، يأتي أمر الله و أنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب من الليل. [١٦] و منها قوله عليه السلام في الليلة التي ضربه الشقي ابن ملجم في آخره، و قد توجه إلى المسجد، فصاح الإوز في وجهه، فطردهن الناس عنه، فقال:اتركوهن فانهن نوائح، و خرج فأصيب. [١٧]

إخباره بقاتل الحسين عليه السلام

١ ـ في شرح ابن أبي الحديد، عن محمد بن علي:قال:لما قال علي عليه السلام:«سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألونني عن فئة تضل مائة و تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها و سائقها»، قام إليه رجل فقال:أخبرني بما في رأسي و لحيتي من طاقة شعر.

فقال له علي عليه السلام:«و الله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك، و إن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك، و إن في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه و آله».

و كان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو، و هو سنان بن أنس النخعي. [١٨]

٢ ـ و فيه أيضا عن سويد بن غفلة:أن عليا عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره، فقال :يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له.

فقال عليه السلام:«و الله ما مات و لا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جماز» [١٩] فقال رجل آخر من تحت المنبر، فقال:يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن جماز، و إني لك شيعة و محب، فقال:«أنت حبيب بن جماز؟»قال:نعم.

فقال له ثانية:«و الله إنك لحبيب بن جماز؟»فقال:إي و الله!قال:«أما و الله إنك لحاملها و لتحملنه، و لتدخلن بها من هذا الباب»و أشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت:فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد و قد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، و جعل خالد بن عرفطة على مقدمته، و حبيب بن جماز صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل . [٢٠]

إخباره بما وقع على أصحابه

منها صلب ميثم التمار:

روي عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال:إن ميثما التمار كان عبدا لامرأة من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه.فقال له:ما اسمك؟فقال:سالم.

فقال:أخبرني رسول الله صلى الله عليه و آله أن اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم .

قال:صدق الله و رسوله، و صدقت يا أمير المؤمنين و الله إنه لا سمي.

قال:فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه و آله و دع سالم، فرجع إلى ميثم، و اكتنى بأبي سالم.

فقال له علي عليه السلام ذات يوم:«إنك تؤخذ بعدي فتصلب و تطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك و فمك دما يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة، و أقربهم من المطهرة، و امض حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها»فأراه إياها.

و كان ميثم يأتيها فيصلي عنده، و يقول:بوركت من نخلة لك خلقت، ولي غذيت، و لم يزل يتعاهدها حتى قطعت، و حتى عرف الموضع الذي يصلب عليهبالكوفة، فكان كما قال عليه السلام، الحديث . (٢١)

و منها قتل كميل بن زياد:

و من ذلك أن الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فقطع عطاء قومه، فلما رأى ذلك، قال:إني أنا شيخ كبير قد نفد عمري، فلا ينبغي أن أحرم قومي اعطياتهم.فخرج إلى الحجاج فقال:قد كنت احب أن أجد عليك جميلا.

فقال له كميل:إنه ما بقي من عمري إلا القليل فاقض ما أنت قاض، فان الموعد الله، و لقد أخبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنك قاتلي، فقال:بلى، قد كنت فيمن قتل عمر، اضربوا عنقه، فضرب عنقه. (٢٢)

و منها صلب رشيد الهجري:

روى أبو بكر ابن عياش عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال:كنت عند زياد إذ اتي برشيد الهجري، فقال له زياد:ما قال لك صاحبك ـ يعني علي ـ عليه السلام أنا فاعلون بك؟قال:تقطعون يدي و رجلي و تصلبونني.

فقال زياد:أم و الله لأكذبن حديثه، خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج، قال زياد:و الله ما نجد له شيئا شرا مما قال له صاحبه، اقطعوا يديه و رجليه و اصلبوه.

فقال رشيد:هيهات، قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، فقال زياد :اقطعوا لسانه، فقال رشيد:الآن و الله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين (٢٣) .

و منها صلب مزرع بن عبد الله:

و من ذلك ما رواه عبد العزيز بن صهيب عن أبي العالية، قال:حدثني مزرع بنعبد الله صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال:«ليقبلن جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم»، قال أبو العالية،

فقلت له:«إنك لتحدثني بالغيب؟»قال:«احفظ ما أقول لك، فإنما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب، و حدثني أيضا شيئا آخر، ليؤخذن رجل فليقتلن و ليصلبن بين شرفتين من شرف هذا المسجد».قلت له:إنك لتحدثني بالغيب؟فقال:احفظ ما أقول لك.

قال أبو العالية:فو الله ما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزرع فقتل و صلب بين شرفتين من شرف المسجد. [٢٤]

في استجابة دعائه

في التفسير الكبير للفخر الرازي، في ذيل تفسير قوله تعالى:أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا [٢٥] ، قال:و أما علي عليه السلام فيروى أن واحدا من محبيه سرق و كان عبدا أسود، فأتي به إلى علي عليه السلام، فقال له:«أسرقت؟»قال:نعم، فقطع يده.

فانصرف من عند علي عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي و ابن الكواء، فقال ابن الكواء:من قطع يدك؟فقال:أمير المؤمنين، و يعسوب المسلمين، و ختن الرسول، و زوج البتول.

فقال:قطع يدك و تمدحه؟فقال:و لم لا أمدحه، و قد قطع يدي بحق و خلصني من النار؟!فسمع سلمان ذلك، فأخبر به عليا عليه السلام، فدعا الأسود و وضع يده على ساعده و غطاه بمنديل، و دعا بدعوات، فسمعنا صوتا من السماء:ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فاذا اليد قد برئت بإذن الله تعالى و جميل صنعه. [٢٦]

في طحن الرحى دون أحد

في الرياض النضرة في مناقب العشرة، لمحب الدين الطبري، بسنده عن أبي ذر، قال:بعثني رسول الله صلى الله عليه و آله أدعو علي، فأتيت بيته، فناديته فلم يجبني، فعدت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال لي:«عد إليه ادعه فإنه في البيت»قال:فعدت اناديه، فسمعت رحى تطحن، فشارفت فإذا الرحى تطحن و ليس معها أحد، فناديته فخرج إلي منشرح، فقلت له:إن رسول الله صلى الله عليه و آله يدعوك؟فجاء، ثم لم أزل أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و ينظر إلي، ثم قال:«يا أبا ذر ما شأنك؟».

فقلت:يا رسول الله عجيب من العجب، رأيت رحى تطحن في بيت علي عليه السلام و ليس معها أحد يرحى.

فقال:«يا أبا ذر، إن لله ملائكة سياحين في الأرض، و قد وكلوا بمعونة آل محمد». [٢٧]

إلى غير ذلك من معجزاته و كراماته و هي كثيرة نكتفي بما ذكرناه روما للاختصار، و من أراد المزيد فليراجع مظانها.

تعليقات:

١.مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٤.

٢.تجريد الاعتقاد، ص ٣٥٠، انظر الالهيات، ج ٢، ص ٢١٤.

٣.نهج البلاغة، الخطبة ٥٨، و قال السيد الرضي:يعني بالنطفة ماء النهر، و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما.

٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٣.

٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧١.

٦.مسند أبي يعلى، ج ١، ص ٣٧٢، ح ٢١٨، و انظر، ص ٣٧١ الى ٣٧٦ و ص ٤٢١.

٧.أعشى باهلة، اسمه عامر بن الحارث.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٩.

٩.السلقلقة، السليطة، و أصله من السلق و هو الذئب، و السلقة:الذئبة.

١٠.الجلعة الجعة:البذية اللسان.

١١.الركب:منبت العانة.

١٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٨.

١٣.الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٤، الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٦١.

١٤.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٦١.

١٥.رواه الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٤٣، و ابن عساكر في ترجمته عليه السلام، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٣٦٤، و ابن الجوزي في التذكرة، ص ١٥٨، و المحب الطبري في الذخائر، ص ١١٢.

١٦.أخرجه الخوارزمي في المناقب، ص ٣٩٢، ح ٤١٠، و ابن الأثير في أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٥، و ابن الصباغ في الفصول المهمة، ص ١٣٩، و مصادر اخرى كثيرة و معتبرة.

١٧.أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٦، و ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ١٦٢، و المحب الطبري في ذخائر العقبى، ص ١١٢، و ابن الصباغ في الفصول المهمة، ص ١٣٩.

١٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٦.

١٩.في شرح ابن أبي الحديد:حبيب بن حمار.

٢٠.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٨، مقاتل الطالبيين، ص ٧١.

٢١.انظر شرح ابن أبي الحديد، ح ٢، ص ٢٩١، الاصابة، ج ٣، ص ٥٠٤.

٢٢.الاصابة، ج ٣، ص ٣١٨.

٢٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩٤.

٢٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٢٥.الكهف، ٩.

٢٦.التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٢١ و ٢٢، ص ٨٨.

٢٧.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٢.

٢٧.الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٢.

الفصل السادس - في الإمامة و الحكومة

كلمة في الإمامة

الامامة لغة

في المفردات: (الإمام المؤتم به) :إنسان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاب، أو غير ذلك محقا كان أو مبطل، و جمعه أئمة. [١]

و في لسان العرب: (الإمام) :كل من ائتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، إلى أن قال:إمام القوم معناه هو المتقدم لهم و يكون الإمام رئيسا كقولك:إمام المسلمين. [٢]

و في المنجد: (الإمامة) :الرئاسة العامة. [٣]

الامامة اصطلاحا

و عرفت الأمامة اصطلاحا بوجوه عدة:

١ - الإمامة:رئاسة عامة في امور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص نيابة (خلافة) عن النبي . [٤]

٢ - الإمامة:خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الامة. [٥]

٣ - الإمامة:نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا. [٦]

٤ - الإمامة:خلافة عن الرسول في إقامة الدين و حفظ الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة . [٧]

و التعريف الأول أليق على مذهب الإمامية، لأن الإمامة عندنا هي رئاسة عامة إلهية في امور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص.

و يؤيد هذا ما ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام:

«إن الإمامة زمام الدين و نظام المسلمين، إن الإمامة اس الإسلام النامي و فرعه السامي، الإمام، البدر المنير و السراج الزاهر و النور الساطع، الإمام الماء العذب على الظمأ و الدال على الهدى»الحديث . [٨]

و لا يخفى أن لفظ الإمام قد يطلق على إمام الباطل أيضا [٩] و قد يطلق على القائد، و لو في قسم خاص، فيقال:إمام الجمعة و الجماعة، إمام الجهاد، إمام الحج، و كيف كان:فالمهم في المقام هو بيان أهمية مقام الإمامة، و إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإمامة عند فرق المسلمين

قد أجمع المسلمون على وجوب الإمامة إلا من شذ منهم [١٠] ، و اختلفوا في دليلوجوبه، هل وجبت بالعقل، أو بالشرع، أو بهما معا؟ثم بعد أن ثبت وجوبها بالإجماع صاروا فريقين:

أحدهما:أن الإمامة تثبت بالاتفاق و الاختيار.

و الثاني:أنها تثبت بالنص و التعيين.

أما الفريق الأول فهم جمهور أهل السنة، و معظم الخوارج و الزيدية من الشيعة، و في هذا الفريق من يذهب إلى أنها تثبت أيضا بالقهر و الغلبة برا كان أو فاجر، و القائلون بالاختيار اختلفوا في كيفية انعقاده، فقالت طائفة منهم:لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل و العقد، و قالت اخرى:أقل من تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقده، و استدلوا على ذلك بأمرين :

أحدهما:أن بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليه، ثم تابعهم الناس فيها.

و الثاني:أن عمر جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، و غير ذلك من الأقوال. [١١]

و أما الفريق الثاني فهم الذين قالوا:لا طريق إليه إلا بالنص، و هم ثلاث فرق:البكرية، و العباسية، و الإمامية.

فقالت البكرية:إن النبي نص على أبي بكر إشارة، و هم جماعة من الحنابلة و أصحاب الحديث و بعض الخوارج.

و قالت الراوندية:إنه نص على عمه العباس تلويح، و قد نشأت هذه الطائفة في صدر الدولة العباسية، و ناصرهم الجاحظ في رسالة سماها (العباسية) ثم انقرضت هذه الطائفة في زمن قصير . [١٢]

و قالت الإمامية:نص رسول الله صلى الله عليه و آله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلامتصريحا و تلويح، و إن الإمامة عهد الله الذي لا خيرة للعباد فيه، و حاشا لله أن يترك الامة مهملة، يرى كل واحد رأي، و يسلك كل واحد سبيل، فلا بد من تعيين الإمام و النص عليه حسما للخلاف و قطعا لدابر الفتنة.

و لا يخفى أن الخلاف في الإمامة بين المسلمين واقع بالفعل من صدر الإسلام إلى يومنا هذا حتى قال الشهرستاني:أعظم خلاف بين الامة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية في كل زمان مثل ما سل على الإمامة في كل زمان. [١٣]

تعليقات:

١.المفردات، ص ٢٤.

٢.لسان العرب، ج ١، ص ١٠١.

٣.المنجد، ص ١٧.

٤.شرح الباب الحادي عشر للمحقق الحلي (ره) في فصل الإمامة، ص ٤٢، شرح التجريد للقوشجي، ص ٢٧٤.

٥.المواقف، ص ٣٤٥.

٦.مقدمة ابن خلدون، ص ١٩١.

٧.دلائل الصدق، ج ٢، ص ٤، (و التعريف للفضل بن روزبهان الأشعري) حكي عنه في الالهيات، ج ١، ص ٥١٠.

٨.سفينة البحار، ج ١، ص ٣٢ مادة أمم.

٩.في الكافي، ج ١، ص ٢١٦، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:«إن الائمة في كتاب الله إمامان:قال الله تعالى: (و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) و قال: (و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار) »الحديث.

١٠.مثل أبي بكر الأصم من قدماء المعتزلة حيث قال بعدم وجوبها إذا تناصفت الامة و لم تتظالم.

١١.انظر الأحكام السلطانية، ص ٧.

١٢.انظر الأحكام السلطانية، ص ٨، تلخيص الشافي للشيخ الطوسي، ج ٢، ص ٧.

١٣.الممل و النحل، ج ١، ص ٢٧.

١٣.الممل و النحل، ج ١، ص ٢٧.

في إثبات إمامته عليه السلام

سنكرس جهدنا هنا لإثبات إمامة مولانا أمير المؤمنين و خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و الأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى حتى ألف فيها جماعة من العلماء مصنفات كثيرة [١] و نذكر هنا بعض الأدلة التي تثبت إمامته عليه السلام اختصارا:

الأول:الآيات القرآنية:

و الآيات النازلة في إمامته و ولايته كثيرة نتعرض لبعضها:

منها:آية الولاية

قوله تعالى:إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون [٢] و هذه الآية باتفاق أكثر المفسرين و باستناد الأخبار المأثورة عن نبي الإسلام و أصحابه الكرام نزلت في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث سأله سائل و هو في الصلاة حال ركوعه فتصدق بخاتمه. [٣]

و إن دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب واضحه لأن لفظة (إنما) للحصربالنقل عن أهل اللغة و أئمة التفسير.

و لفظ (الولي) يعني المتولي في امور العباد و حقوقهم و المتصرف في امورهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، لا سائر معانيه من الناصر و المالك و العبد و المعتق و الصاحب، و غيرها من معاني المولى.

و المراد من الموصول (الذين) في الآية بعض المؤمنين لا جميعهم، لأنه لو كان جميع المؤمنين لزم أن يكون كل واحد وليا لنفسه و هو باطل، و أنه وصفهم بوصف غير حاصل لكلهم و هو إيتاء الزكاة حال الركوع في الصلاة، و المراد بذلك البعض هو علي بن أبي طالب عليه السلام و من حذا حذوه ـ أعني الأئمة المعصومين عليهم السلام ـ للنقل الصحيح و اتفاق أكثر المفسرين على أنه عليه السلام كان يصلي فسأله سائل، فأعطاه خاتمه و هو راكع، إذن فعلي بن أبي طالب عليه السلام كان أولى بالتصرف فينا بعد النبي صلى الله عليه و آله. [٤]

و منها:آية التطهير

قوله تعالى:إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا [٥] حيث إن النبي صلى الله عليه و آله لما نزلت هذه الآية عليه، دعا عليا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام و وضع

عليهم كساء و قال:«اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا». [٦] و دلالة هذه الآية على عصمة أهل البيت و هم الأئمة المعصومون، و على رأسهم علي بن أبي طالب، واضحة لا تحتاج إلى إقامة الحجة أو البرهان.

الثاني:النص الصريح المتواتر [٧]

إن من أحاط علما بسيرة النبي صلى الله عليه و آله في تأسيس دولة الإسلام، و تشريع أحكامها و تمهيد قواعده، يجد علي بن أبي طالب عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه و آله في أمره و ظهيره على عدوه، و عيبة علمه، و وراث حكمه، و ولي عهده، و صاحب الأمر من بعده، و كذلك من وقف على أقوال النبي صلى الله عليه و آله و أفعاله في حله و ترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، [٨] و إليك البيان.

منها:حديث الغدير:

إنه لما نزل قوله تعالى:يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس حين رجوع النبي صلى الله عليه و آله و أصحابه عن حجة الوداع، نزل بغدير خم وقت الظهيره و قال:«معاشر المسلمين ألست أولى بكم من أنفسكم؟»قالوا:بلى، فأخذ بضبع علي بن أبي طالب و رفعه حتى نظر الناس إلى بياض إبطه، و قال:«من كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله»الحديث.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:أليوم أكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي الآية. [٩] فقال رسول الله:«الله أكبر على إكمال الدين، و إتمام النعمة و رضا الرب برسالتي، و الولاية لعلي من بعدي».ثم أخذ الناس يهنئون عليا و يبايعونه، و ممن هنأه و بايعه في مقدم الصحابة أبو بكر، ثم عمر، كل يقول:بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة .

هذا مجمل الحديث في واقعة الغدير، و قد تقدم شرح الحديث مع الاستدلال به في ولاية علي بن أبي طالب و إمامته، فلاحظه و انظر شرح الحديث في كتب التاريخ و الحديث و كذا في كتابنا الفصول المائة. [١٠]

و منها:حديث المنزلة:

و هو قول رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي بن أبي طالب عليه السلام في مواطن كثيرة تبلغ عشرة مواطن، منها حين خلفه على أهله في المدينة عند خروجه إلى تبوك، فأرجف به المنافقون، و

قالوا:ما خلفه إلا استثقالا له، و تخوفا منه، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سلاحه و خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو نازل بالجرف [١١] فقال ما قال المنافقون، فقال رسول الله:«كذبوا و لكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع، فاخلفني في أهلي و أهلك، أفلا ترضى ـ يا علي ـ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» .فرجع علي إلى المدينة، و مضى رسول الله صلى الله عليه و آلهعلى سفره. [١٢]

و قد بين الله تعالى منزلة هارون من موسى في كثير من آيات القرآن الكريم، و أوضح أبعادها بما لا يقبل الجدل و التأويل، و من ذلك ما جاء في دعاء موسى عليه السلام في سورة طه، آية ٢٩ ـ ٣٢، قوله تعالى:و اجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري و أشركه في أمري و قوله تعالى في سورة الفرقان آية ٣٥:و لقد آتينا موسى الكتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزيرا و قال تعالى في سورة الأعراف آية ١٤٢:و قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي و أصلح...فهارون وزير موسى و من أهله و أخوه و خليفته في قومه، و كذلك منزلة علي عليه السلام من خاتم النبيين إلا النبوة.

و منها:حديث الثقلين

روى أصحاب الصحاح عن النبي الأكرم أنه قال:«يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». [١٣]

و قد قال به في غير موقف، تارة بعد انصرافه من الطائف، و اخرى يوم عرفة في حجة الوداع، و ثالثة يوم غدير خم، و رابعة على منبره في المدينة، و في غير ذلكمن موارد اخر و بنصوص متقاربة.

فعدم الافتراق إلى يوم القيامة (حتى يراد علي الحوض) دلالة كون عترة الرسول صلى الله عليه و آله معصومين فيما يقولون و يروون، و إلا فكيف يمكن أن يكون قرناء القرآن أعداءه، أو أن يكونوا من الخاطئين فيما يحكمون و يبرمون، أو يقولون و يحدثون؟!!لا سامح الله، و قد تقدم الحديث مع بحث مفصل حوله، فراجع.

و منها:حديث السفينة

روى المحدثون عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أنه قال:«إنما مثل أهل بيتي في امتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نج، و من تخلف عنها غرق» [١٤] فشبه رسول الله صلى الله عليه و آله أهل

البيت بسفينة نوح في أن من لجأ إليهم في الدين و أخذ اصوله و فروعه عنهم، نجا من عذاب النار، و من تخلف عنهم كمن يأوي يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، و لا تكون عاقبة ذلك إلا غرقا في الماء و هذا هو العذاب الأليم .

و غير ذلك من الأحاديث الصريحة كقوله صلى الله عليه و آله:«إن عليا وصيي و خليفتي، و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي».

و راجع في هذا المجال بحث (علي عليه السلام أول من آمن بالله) و (علي عليه السلام يوم الإنذار) و (حديث سد الأبواب) و (حديث الطير المشوي) و (مثل علي كمثل عيسى) و غير ذلك من الأحاديث المتقدمة في تضاعيف الكتاب.

الثالث:إنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله

يجب أن يكون الإمام ـ المنصوب من قبل الله تعالى ـ أفضل أهل زمانه لقبحتقديم المفضول على الفاضل، أما عقلا فواضح، و أما سمعا لقوله سبحانه:أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون، [١٥] و أما كون علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله فيكفي شاهدا على ذلك قوله تعالى في آية المباهلة:و أنفسنا و أنفسكم إذ جعل الله سبحانه عليا نفس الرسول في الآية، بناء على ما صرح به أئمة التفسير و الروايات الصحاح المتواترة من أن المراد من (أنفسنا) هو علي بن أبي طالب، إذ دعاه يوم المباهلة دون غيره من الأصحاب، و من البين أنه ليس المراد من النفسية حقيقة الإتحاد لامتناعه عقل، بل المراد منها المساواة فيما يمكن المساواة فيه من الفضائل و الكمالات، لأنه أقرب المعاني المجازية إلى المعنى الحقيقي، فيحمل عليها عند تعذر الحقيقة، على قاعدة الاصول، و لا ريب أن الرسول أفضل الناس إتفاق، و مساوي الأفضل على جميع الناس أفضل عليهم قطع، و قد ذكرنا توضيح الحديث مع مسانيده في بحث (علي عليه السلام و آية المباهلة) فراجعه.

الرابع:إنه أعلم الصحابة

يجب أن يكون المتقدم لإمامة المسلمين أعلم الناس في عصره و زمانه، و تقدم غير الأعلم عليه قبيح عقل، لأن الإمامة ـ كما قلنا في تعريفه ـ هي رئاسة عامة إلهية في امور الدين و الدني، فلا بد أن يكون الإمام النائب عن النبي صلى الله عليه و آله أعلم بالأحكام الإلهية و العلوم الدينية، و وجهه واضح.

و قد استدل على كونه عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بوجوه :

١ ـ إنه كان شديد الحدس و الذكاء و الحرص على التعلم و دائم المصاحبة للرسول صلى الله عليه و آله الذي هو الكامل المطلق بتسديد الله تعالى، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله شديد المحبة له و الحرص على تعليمه حتى علمه صلى الله عليه و آله ـ في مرضه الذي قبض فيه ـ ألف باب من العلم، و انفتح له من كل باب ألف باب آخر. (١٦)

٢ ـ إنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه و آله من صغره، و في كبره كان أخاه و وصيه و حامل لوائه، و ختنا له يدخل عليه في كل وقت و يستفيد من فيوضات علمه. (١٧)

٣ ـ رجوع أكابر الصحابة و التابعين إليه في الوقائع التي تعرض لهم، و يأخذون بقوله و يرجعون عن اجتهادهم، و ذلك بين في كتب التاريخ و السير. (١٨)

٤ ـ قوله عليه السلام:«لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، و الله ما من آية نزلت في ليل أو نهار أو سهل أو جبل إلا و أنا أعلم فيمن نزلت و في أي شيء نزلت»، و ذلك يدل على إحاطته عليه السلام بمجموع العلوم الإلهية. (١٩)

٥ ـ قول النبي صلى الله عليه و آله في حقه:«أقضاكم علي»و معلوم أن القضاء يحتاج إلى العلوم الكثيرة و الذكاء و الدراية، و«أقضى الامة»، معناه أكثرهم علما و فهما و دراية. (٢٠)

و هذه الوجوه الخمسة دالة على أعلمية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كان الأعلم، كان متعينا للإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.

الخامس:إنه صاحب سائر الكمالات

يجب اتصاف الإمام بجميع صفات الكمال، و يجب أن يكون أفضل و أكمل من كل أحد من أهل زمانه، و يجب أن يكون أيضا منزها عن الرذائل الخلقية و العيوب الخلقية، كما أن النبي صلى الله عليه و آله لا بد أن يكون كذلك.و وجهه واضح لا يحتاج إلى دليل، و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب جميع الكمالات و الفضائل، و المنزه عن كل العيوب الخلقية و الرذائل الخلقية.

عن ابن عباس، قال:قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لو أن الغياض أقلام، و البحر مداد، و الجن حساب، و الإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب». (٢١)

و اعترف بفضائله و مناقبه الموافق و المخالف، و المحب و المبغض، و نشير هنا إلى بعض كلماتهم :

في (أسنى المطالب) لمحمد بن الجزري الشافعي، عن أحمد بن حنبل يقول:ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب. [٢٢]

و في (الصواعق المحرقة) لأبن حجر الهيتمي الشافعي، عن إسماعيل القاضي و النسائي و أبي علي النيشابوري قالوا:لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي عليه السلام. [٢٣]

و في (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي الحنفي قال:و فضائل علي عليه السلام أشهر من الشمس و القمر، و أكثر من الحصى و المدر. [٢٤]

و في (شواهد التنزيل) للحاكم الحسكاني الحنفي، عن ابن عباس، قال:لقد كان لعلي عليه السلام ثماني عشرة منقبة، لو كانت واحدة منها لرجل من هذه الامة لنجا به، و لقد كانت له اثنتا عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الامة. [٢٥]

و فيه أيضا عن مجاهد:أن لعلي عليه السلام سبعين منقبة، ما كانت لأحد من أصحابالنبي مثله، و ما من شيء من مناقبهم إلا و قد شركهم فيها. [٢٦]

و فيه أيضا عن عكرمة، عن ابن عباس قال:ما في القرآن آية (الذين آمنوا و عملوا الصالحات) إلا و على أميرها و شريفه، و ما من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله رجل إلا و قد عاتبه الله، و ما ذكر عليا إلا بخير، ثم قال عكرمة:إني لأعلم أن لعلي منقبة لو حدثت بها لنفدت أقطار السموات و الأرض ـ أو قال ـ الأرض. [٢٧]

و في (المناقب) لموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده :قال:قال رجل لابن عباس:سبحان الله!ما أكثر مناقب علي و فضائله، إني لأحسبها ثلاثة آلاف؟ !فقال ابن عباس:أو لا تقول إنها إلى ثلاثين ألفا أقرب [٢٨] .

و لقد حاولنا في كتابنا هذا إلقاء بعض الضوء على كمالات و فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و مع كل الجهد المتواضع الذي بذلناه في فصوله المختلفة، كإسلامه، و هجرته، و جهاده، و شجاعته، و زهده، و إنفاقه، و عبادته، و خلوصه، و خشوعه و غير ذلك، فهو لا يعدو كونه قطرة في بحر فضائله و مناقبه الزاخر الفياض.

و أنى لنا إحصاء فضائله و كمالاته؟و هو الذي مع النبي من شجرة واحدة و باقي الخلائق من شجر شتى، [٢٩] بل إنه من العسر الوصول إلى كنه كمالاته و مناقبه، و إزاء هذه الصفات، أليس من الجدير و اللائق أن يكون الرجل الذي لا يماثله أحد و لا يناظره أحد إماما للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و خليفة له بلا فصل؟

السادس:إنه عليه السلام معصوم

يجب أن يكون الإمام المنصوص عليه من الله تعالى معصوما عند أهل الحق، [٣٠] و من ليس بمعصوم فليس بإمام، و لا شك أنه ليس أحد ممن ادعى الإمامة بعد النبي صلى الله عليه و آله غير علي بن أبي طالب عليه السلام بمعصوم إجماع، لسبق الكفر، و الشرك، و العصيان منهم، مما ينافي العصمة قطع، فلا يكون غيره إمام، فاختصت الإمامة به بعد رسول الله عليه السلام.

الأدلة على عصمة الامام

يستدل على عصمة الامام بوجوه كثيرة، نشير هنا إلى بعضها و نحيل القراء الأعزاء إلى مظانها من الكتب المفصلة في هذا المجال. [٣١]

منها:آية الابتلاء

و قد استدل بقوله تعالى:و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين. [٣٢]

وجه الاستدلال به:أن الله تعالى قد بين صراحة أنه لا يعهد بالإمامة إلى ظالم، و الظالم من ارتكب معصية في حياته مهما كان نوعها حتى و لو تاب بعده، فلن يكون العاصي إمام، إذ الإمامة على شرافتها و عظمتها لا ينالها إلا من كان سعيد الذات بنفسه، أما من تلبست ذاته بالظلم و الشقاء و الكفر و الشرك و لو لحظة من عمره، لا يصلح لهذا المقام الرفيع بمقتضى الآية، و مما يوضح دلالة الآية على ذلك هو أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام :

١ ـ من كان ظالما في جميع عمره.

٢ ـ من كان طاهرا و نقيا جميع فترات عمره.

٣ ـ من هو ظالم في أول عمره و تائب في آخره.

٤ ـ و من هو بعكس الثالث.

و قول إبراهيم عليه السلام: (و من ذريتي) أجل شأنا من أن يسأل الإمامة للقسم الأول و الرابع من ذريته، فبقي القسمان الآخران، و قد نفى الله تعالى أحدهم، و هو الذي يكون ظالما في أول عمره و تائبا في آخره، فبقى القسم الثاني بمقتضى الآية، و هو الذي كان نقي الصحيفة طيلة عمره، و لم يرمنه أي انحراف عن جادة الحق، و لم يعص الله لحظة من عمره، و أمير المؤمنين عليه السلام هو مصداق ذلك، فثبت أنه الإمام المعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .

و منها:آية التطهير

فقوله تعالى:إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا [٣٣] أدل دليل على عصمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و غيره من أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله، إذ إرادة الله تعالى تعلقت على إذهاب الرجس عن أهل البيت، و تطهيرهم من كل شيء يتنفر منه، على غرار تعلق إرادته بايجاد الأشياء في صحيفة الوجود، و قد ذكرنا شرحا مفصلا حول الآية فراجعه.

و منها:أن الإمامة استمرار للرسالة

و مما يستدل على اشتراط العصمة في الإمام:أن الإمامة ـ كما مرت الإشارة إليه ـ هي رئاسة عامة الهية في امور الدين و الدني، فكما أن الرسول يجب أن يكون معصوما من العصيان و الخطأ حتى تثق الامة بقوله و فعله، فكذلك الإمام الذي يلي الرسول في وظائفه لا بد أن يكون معصوما من العصيان و الخطأ و السهو، فما دل على أن النبي يجب أن يكون معصوما كذلك يدل على وجوب العصمة في من قام مقامه بلا زيادة و لا نقصان. [٣٤]

تعليقات:

١.راجع في هذا المجال الصراط المستقيم للعلامة البياضي.و الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس، و الشافي في الإمامة للسيد المرتضى، و الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للعلامة الحلي، و غيرها من الكتب.

٢.المائدة، ٥٥.

٣.انظر تفصيل ذلك في تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٢٦، أسباب النزول، ص ١١٥، الدر المنثور، ج ٣، ص ١١٧، فتح القدير للشوكاني، ج ٢، ص ٦٠، تفسير المنار، ج ٦، ص ٤٦٣، شواهد التنزيل،

ج ١، ص ١٨٨ ـ ١٩٣، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٨٩ ـ ١٩٠، المناقب للخوارزمي، ص ١٨٦ تذكرة الخواص، ص ١٥ ـ ١٦، كفاية الطالب، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، فضائل أحمد، ج ٢، ص ٦٧٨/ ١١٥٨.

٤.لمزيد من الاطلاع على الروايات و الاستدلال، راجع الجزء الثاني من كتابنا الفصول المائة، فصل (علي عليه السلام و آية الولاية) .

٥.الاحزاب، ٣٣.

٦.صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٣، ح ٢٤٢٤، تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨٠، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٥١، ح ٣٢٠٥ و ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٧ و ص ٦٦٩، ح ٣٨٧١، مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٨٣، ح ٤٧٩٥، جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٧٠، الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٧، أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦، مسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٧ و ج ٦، ص ٢٩٢ و ٣٠٤، المستدرك، ج ٢، ص ٤١٦ و ج ٣، ص ١٤٨، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٨٣، الصواعق المحرقة باب ١١، فصل ١، ص ١٤٣ و غيرها كثير.

٧.قد تعرضنا لمسألة الحكومة و الولاية ببيان آخر و ذكرنا أيضا أخبارا كثيرة في هذا المجال في فصل (علي عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله و وصيه و وراثه) في الجزء الثالث من كتابنا (الفصول المائة) ، فلاحظه.

٨.كتاب الإلهيات، ج ٢، ص ٥٧٨.

٩.المائدة، ٣.

١٠.انظر في تفصيل خطبة الغدير تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٢١، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٢٧٩، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١، كنز العمال، ج ١٣، ص ١٣١، ح ٣٦٤١٩.و نص الحديث مخرج في الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣، ح ٣٧١٣، مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤ و ٨٨ و ١١٩ و ١٥٢، ج ٤، ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، و ج ٥، ص ٣٥٨ و ٣٤٧ و ٣٦٦ و ٤١٩ و غيرها.المستدرك، ج ٣، ص ١١٠ و ١٣٤ و ٣٧١ و ٥٣٣، مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٢، ح ٤٧٦٧، سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٥، ح ١٢، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٧٤ و ج ٧، ص ٣٧٧، و ج ٨، ص ٢٩٠ و ج ١٢، ص ٣٤٤ و ج ١٤، ص ٢٣٦ و غيرها من المصادر التي خرجته عن الثقات العدول بطرق صحيحة و أسانيد معتبرة تجاوزت حد التواتر.

١١.الجرف:موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة.

١٢.حديث المنزلة لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الحديث و السيرة النبوية، و ممن أخرجه البخاري في الصحيح، ج ٥، ص ٨٩، ح ٢ و ٥٢، مسلم في الصحيح، ج ٤، ص ١٨٧٠، ح ٢٤٠٤، في ستة طرق، و الترمذي في السنن، ج ٥، ص ٣٧٣٠، الحاكم في المستدرك، ج ٢، ص ٢٢٧، أحمد في المسند، ج ١، ص ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٢ و ٣٣١، مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٠، ح ٦٧٦٢، جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٦٨، ح ٦٤٧٧ و غيرها .

١٣.روي حديث الثقلين في أغلب كتب الصحاح و السنن و بطرق عدة و بأسانيد مقيدة، فمن أخرجه مسلم في الصحيح، ج ٤، ص ١٨٧٣، ح ٢٤٠٨، بعدة طرق، و الترمذي في السنن، ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٨، الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٤٨، أحمد في المسند، ج ٥، ص ١٨٢ و ١٨٩، و ج ٣، ص ١٤ و ١٧، و الفضائل له أيض، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ١٠٣٥، و غيرها.

١٤.المستدرك، ج ٢، ص ٢١٣، و ج ٣، ص ١٥١، الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٤٦٦، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٥٣٣، المعارف لابن قتيبة، ص ١٤٦، روح المعاني، ج ٢٥، ص ٣٢، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٣، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩١، حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨ و غيرها.

١٥.يونس، ٣٥.

١٦.راجع بحث (علمه عليه السلام) .

١٧.راجع (موضعه عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه و آله في هذا الكتاب) .

١٨.سيأتيك في رجوع الخلفاء إليه في مشاكلهم في (قضاء علي عليه السلام) .

١٩.راجع (علي عليه السلام و سعة علمه) .

٢٠.سيأتي بحث مفصل في قضاء علي عليه السلام فراجع.

٢١.المناقب للخوارزمي، ص ٢، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٦.

٢٢.أسنى المطالب، ص ٤٦.

٢٣.الصواعق المحرقة، ص ١٢٠.

٢٤.تذكرة الخواص، ص ٢٣.

٢٥.شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦.

٢٦.المصدر السابق، ج ١، ص ١٧.

٢٧.المصدر السابق، ج ١، ص ٢١.

٢٨.المناقب للخوارزمي، ص ٣.

٢٩.مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٢٤٠ بسنده عن جابر بن عبد الله قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لعلي:«يا علي»، الناس من شجر شتى و أنا و أنت من شجرة واحدة، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله: (و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان تسقى بماء واحد) »قال الحاكم:هذا حديث صحيح الاسناد.

٣٠.العصمة عند المحققين لطف، أي شيء يقرب العبد إلى الطاعة و يبعده عن المعصية، يفعله الله تعالى بالمكلف و يوجده فيه، أي ملكة خلقها الله فيه لطفا بحيث لا يكون له داع يفضي إلى ترك الطاعة و ارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك المذكور من ترك الطاعة و ارتكاب المعصية، لأنه لو لا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله، فانتفت فائدة البعثة و هو محال. (راجع:شرح الباب الحادي عشر للمحقق الحلي (ره) ، ص ٤١) .و تفسير الميزان، ج ٨، ص ١٤٢، نقلا عن الالهيات، ج ١، ص ١٤٨ و قد فسر العصمة بقوله:قوة تمنع الإنسان عن اقتراف المعصية و الوقوع في الخطأ.

٣١.استدل العلامة الحلي (ره) ب (٩٩) دليلا على عصمة الإمام عليه السلام فراجع الألفين، ص ٥٢ - ١٣٩.

٣٢.البقرة، ١٢٤.

٣٣.الأحزاب، ٣٣.

٣٤.راجع في عصمة الامام عليه السلام تلخيص الشافي لأبي جعفر الطوسي، ج ٢، ص ٢٥٦، و الصراط المستقيم العلامة البياضي، ج ١، ص ١١٢.

المستقيم العلامة البياضي، ج ١، ص ١١٢.

سياسته عليه السلام وجودة رأيه

في معنى السياسة

في النهاية لابن الأثير:في الحديث:«و كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»، قال:أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء و الولاة بالرعية، و السياسة:القيام على الشيء بما يصلحه. [1]

و في مجمع البحرين:و في وصف الأئمة:«أنتم ساسة العباد»و فيه:«الإمام عارف بالسياسة»و في الحديث:«ثم فوض إلى النبي صلى الله عليه و آله أمر الدين و الأمة ليسوس عباده»كل ذلك من سست الرعية سياسة:أمرتها و نهيته، إلى أن قال:و السياسة:القيام على الشيء بما يصلحه. [2]

و في لسان العرب:السياسة:القيام على الشيء بما يصلحه، و السياسة:فعل السائس، و الولي يسوس رعيته، و في الحديث:«كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم»أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء و الولاة بالرعية. [3]

فيستفاد من كلام أئمة اللغة أن السياسة هي:القيام على الشيء بما يصلحه، فإذا لم يكن القيام على إصلاح و إجراء عدل و إحقاق حق و إبطال باطل فليس بسياسة، بل هي التسلط و السيطرة و الغدر، فمن قام على أمور العباد بحسن السيرة كان سائسا حق، و إلا فهو جبار متكبر.

سياسة علي عليه السلام و رأيه لحساب الدين و لبقاء الإسلام

قال ابن أبي الحديد:و إنما قال أعداؤه:لا رأي له، لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافه، و لا يعلم بما يقتضي الدين تحريمه، و قد قال عليه السلام:«لو لا الدين و التقى لكنت أدهى العرب»و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوقفه سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن.

و لا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، و من كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتشار أقرب. [4]

أقول:إن عليا عليه السلام يعرف الفرص و الأسباب التي يبلغ معها الملك و السلطنة الطويلة، و لكنه لا يستفيد منها على حساب دينه، و إنه عليه السلام لا يعلم من النجاح و الظفر إلا مرضاة الله و العمل بالحق و العدل، فإنه عليه السلام لم يكن طالب ملك و لا إمارة و لا طالب دني، و إنما كان هدفه الأعلى و مقصده الوحيد و غايته المطلوبة رضا الله و إقامة عمود الحق و محو الباطل، و الدنيا و

المال و الملك لا تساوي عنده جناح بعوضة، فكيف يمكن أن يتوصل إليها بضد ما هو هدفه و مقصده و غايته؟!

و لم يكن يطمح إلى الوصول إلى الملك و الإمارة من أي طريق كان، و بأي وجه اتفق، و لا يستحل التوصل إلى تثبيت ملكه بشيء يخالف الشرع من قتل النفوس البريئة و نقض العهود و دس السموم و سلب الأموال و المداهنة و غير ذلك، و من كانت هذه صفته و هذه حاله لا يصح أن ينسب إليه القصور في الرأي و الضعف في التدبير، و لا أن يوصف خصمه الذي كان يسعى إلى تحصيل الملك و الإمارة بكل ما يمكنه بأنه أصح منه تدبيرا و أسد رأي، فنسبة عدم الرأي إنما تطلق على من يدبر أمرا ليتوصل به إلى مطلوبه فتكون نتيجته بالعكس لجهله بمواقعالأمور، و شيء من هذا لم يحصل لأمير المؤمنين عليه السلام و لا يمكن أن يحصل، فهو أعلم الناس بمواقع الأمور، و قد أبان عن هذا مرارا في مواقف متعددة بعبارات مختلفة، منها قوله:«و الله ما معاوية بأدهى مني». [٥]

و قال عليه السلام:«و لقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيس، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله؟!قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، و دونه مانع من أمر الله و نهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليه، و ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين». [٦]

سياسته عليه السلام و تدبيره على وفق الكتاب و السنة

قال علي عليه السلام في خطبة له:«و الله ما معاوية بأدهى [٧] مني، و لكنه يغدر و يفجر، و لو لا كراهية [٨] الغدر [٩] لكنت من أدهى الناس، و لكن كل غدرة فجرة [١٠] و كل فجرة كفرة، و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، و الله ما أستغفل بالمكيدة و لا أستغمز [١١] بالشديدة [١٢] ».

و هو عليه السلام في هذه الخطبة دفع توهم من كان يعتقد أن معاوية و أمثاله أجود رأيا و أكثر تدبيرا منه، و تعرض بها لمعاوية من أجل عدم تحرزه في تدبيره الأمور عنالغدر و الفجور، و صدر الكلام بالقسم البار، تأكيدا للمقصود بقوله«و الله ما معاوية بأدهى مني»ثم قال:«و لكنه يغدر و يفجر»أي:يستعمل الغدر في أموره السياسية، فيزعم أهل الجهل أنه أدهى، في حين أن عليا عليه السلام كان ملازما في جميع حركاته قوانين الشريعة، و رفض ما هو المعتاد في ذاك العصر في الحروب و إدارة الشؤون، كتدابير الدهاء و الخبث و المكر و الحيلة و الإجتهادات في النصوص، مما لم ترخص فيه الشريعة، أما غيره مثل معاوية فليجأ إلى جميع تلك الوسائل، سواء كان وافق شريعة الإسلام أم ل، فكانت وجوه الحيل و التدبير عليهم أوسع، و كان مجالها عليه أضيق.

ثم نبه علي عليه السلام في الخطبة في وجه على ما منع الناس من أن يصفوه بالدهاء، مع كونه أعرف به من معاوية، فقال:«لو لا كراهية الغدر»أي المكر و استلزامه الكذب و الغش و الخيانة و الفجور المنافي لمرتبة العصمة«لكنت من أدهى الناس».

و أصرح منه قوله هنا في الخطبة:«و لكن كل غدرة فجرة، و كل فجرة كفرة».

و وجه لزوم الكفر هنا:أن استباحة ما علم تحريمه من الشرع و جحده هو الكفر، كما استباح معاوية و أتباعه محرمات الإسلام.

أما علي عليه السلام فإنه لم يكن طالب دنيا و لا إمرة و لا سلطنة، بل طالب آخرة، و هدفه إقامة الحق و خذلان الباطل، فكيف يتوسل بالباطل إلى نيل الملك، و هو الذي كان يقول:«و الله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسبلها جلب شعيرة ما فعلته». [١٣]

و هو الذي يقول في نعله التي لا تساوي درهما:«و الله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا». [١٤] و هو الذي لم يقبل يوم الشورى أن يبايعه عبد الرحمن بن عوف إلا على كتاب الله و سنة رسوله و رأيه، و لم يرض أن يدخل سيرة الشيخين حتى عدل عنه إلى من قبل ذلك. [١٥]

و هو الذي جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته، فقال له:إن لك حق الطاعة و النصحية، و إن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، و إن الضياع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، و أقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم و بيعة الجنود استبدلت أو تركت؟فأبى، و قال:«لا أداهن في ديني، و لا أعطي الدنية في أمري».

قال المغيرة:فإن كنت أبيت علي فانزع من شئت و اترك معاوية، فإن في معاوية و هو في الشام يستمع له، و لك حجة في إثباته...إذ كان عمر قد ولاه الشام؟

فقال علي عليه السلام:«لا و الله...لا أستعمل معاوية يومين...». [١٦]

هذا علي عليه السلام لم يترك الدين و الإسلام على مدى حكومته لحظة و لم يغفل عنه طرفة عين رغم جميع المواقف الصعبة و الظروف القاهرة التي مرت بها حكومته عليه السلام.

سياسة علي عليه السلام و رأيه مثل سياسة رسول الله صلى الله عليه و آله و رأيه

قال الشارح المعتزلي:و اعلم أن قوما ممن لم يعرفوا حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام زعموا أن عمر كان أسوس منه و إن كان هو أعلم من عمر، ثم زعم أعداؤه و مبغضوه أن معاوية كان أسوس منه، و أصح تدبيرا.

و أجاب بما ملخصه:أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقه، و متى لم يعمل في السياسة بمقتضى ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق‌حاله، و أمير المؤمنين عليه السلام كان مقيدا بقيود الشريعة، مدفوعا إلى اتباعها و رفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافق، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك.

و لسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب و لا ناسبين إليه ما هو منزه عنه، و لكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس و الاستحسان و المصالح المرسلة، و يرى تخصيص عمومات النص بالآراء و بالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، و يكيد خصمه و يأمر أمراءه بالكيد و الحيلة، و يؤدب بالدرة و السوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك.

و لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك، و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعداها إلى الاجتهاد و الأقيسة، و يطبق أمور الدنيا على أمور الدين، و يسوق الكل مساقا واحد، و لا يضع و لا يرفع إلا بالكتاب و النص، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة و السياسة، و كان عمر مع ذلك شديد الغلظة و السياسة، و كان علي عليه السلام كثير الحلم و الصفح و التجاوز، فازدادت خلافة ذاك قوة، و خلافة هذا (علي عليه السلام) لين - إلى أن قال: - و كل هذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي و انحلال معاقد ملكه، و لم يتفق لعمر شيء من ذلك، فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة و صحة تدبير الخلافة.

فإن قلت:فما قولك في سياسة الرسول صلى الله عليه و آله و تدبيره؟أليس كان منتظما سديدا مع أنه كان لا يعمل إلا بالنصوص و التوقيف من الوحي!فهلا كان تدبير علي عليه السلام و سياسته كذلك؟!إذا قلتم:إنه لا يعمل إلا بالنص.

قلت:أما سياسة الرسول صلى الله عليه و آله و تدبيره فخارج عما نحن فيه، لأنه معصوم لا تتطرق الغفلة إلى أفعاله، و لا واحدا من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا [١٧] إلى آخر كلامه. [١٨]

في الفرق بين سياسة علي عليه السلام و سياسة معاوية و أتباعه

أما القول في سياسة معاوية فإن شنأة علي عليه السلام و مبغضيه زعموا أن سياسة معاوية خير من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، فكيفينا في الكلام عليه ما قاله الدكتور طه حسين، و ما قاله أبو عثمان الجاحظ [١٩] و نحن نحكيهما بألفاظهما.

قول الدكتور طه حسين المصري في ذلك

قال الدكتور طه حسين:إن الفرق بين علي عليه السلام و معاوية في السيرة و السياسة كان عظيما بعيد المدى، كان الفرق بين الرجلين عظيما في السيرة و السياسة، فقد كان علي مؤمنا بالخلافة...يرى أن من الحق عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس، لا يؤثر منهم أحدا على أحد، و يرى أن من الحق عليه أن يحفظ على المسلمين ما لهم لا ينفقه إلا بحقه، فهو لا يستبيح لنفسه أن يصل الناس من بيت المال، بل هو لا يستبيح لنفسه أن يأخذ من بيت المال لنفسه و أهله إلا ما يقيم الأود لا يزيد عليه.

فأما معاوية...لا يجد في ذلك بأسا و لا جناح، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، و كان الزاهدون يجدون عند علي عليه السلام ما يحبون.

و ما رأيك في رجل جاء أخوه عقيل مسترفد، فقال لابنه الحسن:«إذا خرج عطائي فسر مع عمك إلى السوق فاشتر له ثوبا جديد، و نعلين جديدتين»ثم لميزد ذلك شيئ، و ما رأيك في رجل آخر ـ يعني معاوية ـ يأتيه عقيل هذا نفسه بعد أن لم يرض صلة أخيه فيعطيه من بيت المال مائة ألف؟.

و علي عليه السلام لا يداهن في الدين، و لم يكن يبغض شيئا كما يبغض وضع درهم من بيت مال المسلمين في غير موضعه أو إنفاقه في غير حقه، كما كان يبغض المكر و الكيد، و كل ما يتصل بسبب من أسباب الجاهلية الاولى. [٢٠]

قول أبي عثمان الجاحظ في ذلك

قال أبو عثمان ما ملخصه:و ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل و العلم و يظن أنه من الخواص ـ و هو من العوام ـ يزعم أن معاوية كان أبعد غورا و أصح فكرا و أجود مسلكا من علي عليه السلام !و ليس الأمر كذلك، و سأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه، و ذلك أن عليا عليه السلام كان لا يستعمل في حروبه إلا ما يوافق الكتاب و السنة، و كان معاوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهم، و يسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان إذا لاقى رتبيل.

و كان علي عليه السلام يقول لأصحابه:«لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، و لا تتبعوا مدبر، و لا تجهزوا على جريح، و لا تفتحوا بابا مغلقا»هذه سيرته في ذي الكلاع، و في أبي الأعور السلمي، و في عمرو بن العاص، و في حبيب بن مسلمة، و في جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية و الأتباع، و لكن أصحاب الحروب إنما يقصدون الوجه الذي به هلاك الخصم، و ينتظرون وجه الفرصة، سواء

كان مخالفا للشريعة كالحريق و الغريق و دس السموم و التضريب بين الناس بالكذب و إلقاء الكتب في العسكر بالسعاية أو موافقا للشريعة، فعلي عليه السلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله رض، و ممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضى، و لا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله و يحبه، و لا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب و السنةدون أصحاب الدهاء و النكراء و المكائد، فلما رأت العوام نوادر معاوية في المكائد و كثرة غرائبه في الخداع و ما اتفق له و تهيأ على يده، و لم يروا ذلك من علي عليه السلام ظنوا بقصر عقولهم و قلة علومهم أن ذلك من رجحان عند معاوية و نقصان عند علي عليه السلام.

ثم انظر بعد ذلك كله، هل يعد لمعاوية من الخدع إلا رفع المصاحف ـ في صفين ـ ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأي علي عليه السلام و خالف أمره من أصحابه!؟.

فإن زعمت أنه نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت، و ليس في هذا اختلفن، و لا عن غرارة أصحاب علي عليه السلام و عجلتهم و تسرعهم و تنازعهم دفعن، و إنما كان البحث في التمييز بينه و بين معاوية في الدهاء و المكر و صحة العقل و الرأي، إلى آخره. (٢١)

قال الشارح المعتزلي:و من تأمل هذا الكلام بعين الإنصاف و لم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكره، و أن أمير المؤمنين عليه السلام دفع ـ من اختلاف أصحابه و سوء طاعتهم له، و لزومه سنن الشريعة و منهج العدل، و خروج معاوية و عمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة الناس إليهم بالرغبة و الرهبة ـ إلى ما يدفع إلى غيره، فلو لا أنه عليه السلام كان عارفا بوجوه السياسة و تدبير أمر السلطان و الخلافة و حاذقا في ذلك، لم يجتمع عليه إلا القليل من الناس، و هم أهل الآخرة خاصة، الذين لا ميل لهم إلى الدني، فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه، و اجتمع عليه من العساكر و الأتباع ما يتجاوز العد و الحصر، و قاتل بهم أعداءه الذين حالهم حالهم، فظفر في أكثر حروبه، و وقف الأمر بينه و بين معاوية على سواء، و كان هو الأظهر و الأقرب إلى الانتصار، علمنا أنه من معرفة تدبير الدول و السلطان بمكان مكين. (٢٢)

تعليقات:

١.النهاية لابن الأثير، ج ٢، ص ٤٢١.

٢.مجمع البحرين، ج ٤، ص .٧٨

٣.لسان العرب، ج ٢، ص .٢٣٩

٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص .٢٨

٥.نهج البلاغة، الخطبة .١٩١

٦.نهج البلاغة، الخطبة .٤١

٧.الدهى و الدهاء:الفكر وجودة الرأي.

٨.الكراهية هنا بمعنى الحرمة لا معناها المعروف في مصطلح المتشرعة.

٩.الغدر هو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة تحت العفة.

١٠.الفجور:مقابل لفضيلة العفة.

١١.و لا استغمز بالزاي المعجمة:أي لا يطلب غمزي و إضعافي، فإني لا أضعف عما أرمى به من الشدائد، و لا أستجهل بشدائد المكائد.

١٢.نهج البلاغة، الخطبة .٢٠٠

١٣.نهج البلاغة، الخطبة .٢١٥

١٤.نفس المصدر، الخطبة .٣٣

١٥.راجع في هذا المجال شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص .٢٤٥

١٦.عبقرية الإمام علي، ص ١٢٢، و راجع نحوه في مروج الذهب، ج ٢، ص .٣٦٣

١٧.لا يخفى أن اعتقادنا نحن الامامية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه معصوم كالنبي صلى الله عليه و آله و اختلافهم ـ في الوحي و النبوة، كما روى ابن أبي الحديد في شرحه، ج ١٠، ص ٢٢٢ عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال:«أخصمك بالنبوة و لا نبوة بعدي، و تخصم الناس بسبع»، و قد قررنا عصمة الإمام علي عليه السلام اختصارا في هذا الفصل نعم قوله:إن عمر بن الخطاب ليس بمعصوم هو الحق.

١٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص .٢١٢

١٩.أخذنا هذا اللفظ من شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص .٢٢٧

٢٠.علي و بنوه للدكتور طه حسين، ص .٥٩

٢١.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص .٢٢٨

٢٢.المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٣١، و من أراد الاطلاع على حيل معاوية و مكره و بعض حالاته

فليراجع المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٤.

فليراجع المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٤.

عدالته عليه السلام

علي عليه السلام و جوهرة العدالة

لقد لازمت شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام السامية جوهرة العدالة الثمينة، و اقترن اسمه المقدس بالعدالة، فقد كان عادلا يأنس بالعدالة و يهتم بها.

إن كل مجتمع أو جماعة أو فرد مناد بالعدالة، و يأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط و العدل، يضع عدل علي عليه السلام نصب عينه، و يتخذ اسلوب علي عليه السلام في تطبيق العدالة و نظامه العادل قدوة له في برنامجه الذي يسعى إلى تطبيقه.

حقا لم يعرف تاريخ الانسانية شخصا كعلي عليه السلام خلد اسمه إلى الأبد و ارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر، فقد كان عاشقا للعدالة مولعا بها إلى غايتها القصوى.

علي عليه السلام مصداق بارز لآية (كونوا قوامين بالقسط)

نعم، لقد كانت هذه العدالة ضالة علي عليه السلام، و كان كالظامىء الذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه، كان علي عليه السلام يسعى إلى معين العدالة العذب.

كان علي عليه السلام مظهر العدالة و جوهرتها حق، فقد بعد عن كل ظلم و جور، و في فكر علي عليه السلام السامي لم يكن ممكنا أن تقاس العدالة بأي أمر آخر، و كان لا يعبأ حتى بأعز إنسان عليه من أجل الحق، و ذلك أن ربه قد أمره بذلك فكيف يعصي مولاه؟ (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان) .[1]

لم يكن علي عليه السلام يرضى بالكف عن تطبيق العدالة و التراجع عنها مهما كلف الثمن، و لم يرض أن يتخطى العدالة خطوة حتى من أجل تثبيت أركان حكومتهالفتية، و أبى أن يساوم أو يتبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن، كما أنه لم يرض أن يضحي بالعدالة و يقع تحت تأثير الرحمة و التحرق شفقة، فيعرض بذلك هذا الركن المقدس للتزلزل و الانهيار، فقد كان مصداقا و مظهرا بارزا للآية الشريفة:«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط».[2] القسط هو العدل، و القيام بالقسط العمل به و التحفظ له، فالمراد بالقوامين بالقسط القائمون به أتم قيام و أكمله، من غير انعطاف و عدول عنه إلى خلافه لعامل من هوى و عاطفة، أو خوف، أو طمع، أو غير ذلك، و هل توجد هذه الصفة بتمامها و كمالها في غير علي بن أبي طالب عليه السلام؟ !إنه مصداق بارز و كامل لهذه الصفة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، كما سيظهر ذلك من المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

ما قاله النبي صلى الله عليه و آله في عدله

أخرج السيوطي و الحافظ الكنجي، بإسنادهما عن أبي هريرة، قال:جئت إلى النبي صلى الله عليه و آله و بين يديه تمر، فسلمت عليه، فرد علي، و ناولني من التمر ملء كفه، فعددته ثلاثا و سبعين تمرة، ثم مضيت من عنده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و بين يديه تمر، فسلمت عليه، فرد علي، و ضحك إلي، و ناولني من التمر ملء كفه، فعددته فإذا هو ثلاث و سبعون تمرة، فكثر تعجبي من ذلك، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه و آله.فقلت:يا رسول الله، جئتك و بين يديك تمر، فناولتني ملء كفك فعددته ثلاثا و سبعين تمرة، ثم مضيت الى علي بن أبي طالب عليه السلام و بين يديه تمر، فناولني ملء كفه، فعددته ثلاثا و سبعين تمرة، فعجبت من ذلك، فتبسم النبي صلى الله عليه و آله و قال:«يا أبا هريرة، أما علمت أن يدي و يد علي بن أبي طالب في العدل سواء». [٣]

و في (المناقب) لابن المغازلي و (فرائد السمطين) للجويني، بإسنادهما إلىحبشي بن جنادة، قال :كنت جالسا عند أبي بكر، فأتاه رجل، فقال:يا خليفة رسول الله، إن رسول الله صلى الله عليه و آله و عدني أن يحثو لي ثلاث حثيات من تمر؟قال أبو بكر:ادعوا لي عليا.

فجاء علي عليه السلام فقال أبو بكر:يا أبا الحسن، إن هذا يزعم أن رسول الله صلى الله عليه و آله وعده أن يحثو له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له.فحثا له ثلاث حثيات.ثم قال :«عدوها»فعدوها فوجدوا في كل حثوة ستين تمرة لا تزيد واحدة على الاخرى.

فقال أبو بكر:صدق الله و رسوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة و نحن خارجون من مكة إلى المدينة يقول:«يا أبا بكر كفي و كف علي في العدل سواء». [٤]

و أخرجه بهذا السند و اللفظ الخطيب في تاريخ بغداد، و الخوارزمي في المناقب، و العلامة القندوزي في ينابيع المودة عن صاحب الفردوس. [٥]

المجتمع لا يطيق عدالته عليه السلام

لقد كان علي عليه السلام يعلم أن ذلك المجتمع لا يتحمل تطبيق العدالة التي يريد الإمام تطبيقه، و لما كان عليه السلام لا يتبع إلا الحق و إقامة العدل فإنه رفض قبول الخلافة بالرغم من ضغط الناس عليه و تسابقهم بالبيعة له، لأنه كان يعلم أن الإنحرافات، و التفاوت الطبقي، و عدم المساواة الذي عم المجتمع، لا يمكن أن يدعه يطبق العدالة دون إثارة العراقيل و المشاكل في وجهه و وضع الصعوبات في طريقه، و لذلك قال عليه السلام:«دعوني و التمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول، و إن الآفاق قد أغامت و المحجة قد تنكرت، و اعلموا أني

إن أجبتكم ركبتبكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب، و إن تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا». [٦]

و عند ما اضطر علي عليه السلام أن يقبل الخلافة، و سار على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و اجتهاده و رأيه الذي كان يعني إقامة العدل في المجتمع الاسلامي بالرغم من غضب أصحاب الثروات غير المشروعة و المتساهلين في أمر الدين و رفضهم لاسلوب علي عليه السلام و طريقته في إقامة العدل، و هي طريقة رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان عليه السلام قد أشار إلى أهمية العدالة في تقسيم المال في أول خطبة خطبها حين اجتمع إليه المهاجرون و الأنصار بعد مقتل عثمان، حيث قال عليه السلام:«إني قد كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا و إنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا و إنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟قالوا:نعم، قال:اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك» [٧] و لذلك ثارت نائرة الحقد في صدورهم فأشعلوا تلك الحروب ضد علي عليه السلام.

عدالة علي عليه السلام شهد بها العدو و الصديق

لقد كان علي عليه السلام مثالا للعدل و المساواة و عاشقا للحق و الإنصاف، و كان نموذجا متكاملا لمحبة الناس و الرحمة و الرأفة و الإحسان، و كانت عدالته عليه السلام ذكرا يلهج به لسان الخاص و العام و العدو و الصديق حتى كانت كثرة عدله سببا لقتله عليه السلام، و نشير هنا إلى ما قاله البعض في عدله.

١ ـ يقول شبلي شميل ـ و هو من الماديين ـ في علي عليه السلام:إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمام بني الانسان و مقتداهم، و لم ير الشرق و الغرب نموذجا يطابقه أبدا لا فيالغابر و لا في الحاضر. [٨]

٢ ـ يقول الكاتب المسيحي جبران خليل جبران:قتل علي في محراب عبادته لشدة عدله. [٩]

٣ ـ قال ابن الاثير في (اسد الغابة) :إن زهده و عدله لا يمكن استقصاؤهما. [١٠]

٤ ـ و قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) :كان علي عليه السلام إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه، و لا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، و يقول :يا دنيا غري غيري، و لم يكن يستأثر من الفيء بشيء، و لا يخص به حميما و لا قريب، و لا يخص بالولايات إلا أهل الديانات و الأمانات، و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: (قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا

الكيل و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين و ما أنا عليكم بحفيظ) [١١] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك»ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول:«اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقك». [١٢]

٥ ـ روى ابن أبي الحديد، عن علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال:آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام، أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفا على مشروف و لا عربيا على عجمي، و لا يصانع الرؤساء و امراء القبائل كما يصنع الملوك، و لا يستميل أحدا إلى نفسه، و كان معاوية بخلافذلك فترك الناس عليا و التحقوا بمعاوية . [١٣]

٦ ـ قال سيد قطب:لقد جاء علي عليه السلام ليدخل نظرية الإسلام في الحكم في قلوب القادة و الناس من جديد و ليطبقها عمليا...جاء ليأكل خبز الشعير الذي طحنته زوجته بيديه، و يختم على جرابه و يقول:«لا احب أن آكل ما لا أعلم»...و ربما باع سيفه ليشتري بثمنه غذاء و لباس، و أبى أن يسكن القصور الزاهية الفخمة. [١٤]

أقول:حقيق أن يقال:إن عليا عليه السلام ليس إمام زمانه فقط، بل هو مقتدى الأجيال و القرون، و هو التلميذ الأول لرسول الله صلى الله عليه و آله و المعلم الثاني للامم طول التأريخ .

و لو كان علي عليه السلام يمشي وراء السياسة لعرفه التأريخ رجلا سياسيا فحسب، و ما كانت الملوك و العظماء، يطأطئون هاماتهم أمام عدالته و عظمته، و ينظرون إليه نظرة التقدير و التقديس، كما أنشأت سودة بنت عمارة الهمدانية عند معاوية أعدى عدوه:

صلى الإله على روح تضمنها ***قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ***فصار بالحق و الإيمان مقرونا [١٥]

صور من عدله عليه السلام على مدى حكومته

و من أجل نتعرف أكثر على عدل الامام علي عليه السلام و لترسم هذه الحقيقة بأجلى صورها نشير إلى موارد توضح صورة تلك العدالة:

منها:صادر كل الأموال الموهوبة بغير حق في عهد عثمان

عندما تسلم علي عليه السلام زمام حكومة المسلمين بعد عثمان صادر كل الأموالالموهوبة بغير حق إلى طبقة الأشراف، و قد بين سياسته للناس عبر خطبته التي يقول فيها (فيما رده على المسلمين من

قطائع) :«و الله و لو وجدته قد تزوج به النساء و ملك به الاماء لرددته، فإن في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق». [١٦]

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في ذيل هذه الخطبة، عن ابن عباس:أن عليا عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فقال:«ألا إن كل قطيعة [١٧] أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، و لو وجدته قد تزوج به النساء، و فرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، و من ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق [١٨] »إلى أن قال:قال الكلبي:ثم أمر عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان في داره، مما تقوى به على المسلمين فقبض، و أمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، و أمر بقبض سيفه و درعه، و أمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، و بالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره و في غير داره، و أمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث اصيبت أو اصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، و كان بأيلة من أرض الشام، أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزله، فكتب إلى معاوية:ما كنت صانعا فاصنع، إذ قشرك ابن‌أبي طالب من كل مال تملكه كما يقشر عن العصا لحاها. [١٩]

و منها:إطفاؤه السراج لأن زيته من بيت المال

قال الكشفي الحنفي في المناقب المرتضوية:كان أمير المؤمنين عليه السلام قد دخل ليلة في بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة و الزبير، فأطفأ عليه السلام السراج الذي بين يديه، و أمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك؟

فقال عليه السلام:«كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه». [٢٠]

خطابه الى عماله، و عتابه لهم بما بدر منهم

في هذا المجال خطابات كثيرة نشير إلى نبذة منها رعاية للإختصار:

منها:من كتاب له إلى مصقلة بن هبيرة

في (نهج البلاغة) من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، و هو عامله على أردشير خره [٢١] :«بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك و أغضبت إمامك، إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم، و اريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك [٢٢] من أعراب قومك،

فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا و لتخفن عندي ميزان، فلا تستهن بحق ربك، و لا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمال، ألا و إن حق من قبلك [٢٣] و قبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه، ويصدرون عنه». [٢٤]

و منها:من كتاب له إلى عثمان بن حنيف و هو عامله على البصرة

قد كان علي عليه السلام يراقب أعمال ولاته مراقبة شديدة حتى إنه لما بلغه أن و اليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري قد أجاب دعوة جماعة من أهل البصرة إلى وليمة فيها ألوان الطعام فتناول منها شيئ، و في البصرة فقراء محتاجون منعوا من حضوره، أرسل إليه كتابا يوبخه فيه:«أما بعد ـ يابن حنيف ـ فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم [٢٥] مجفو و غنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه [٢٦] ، و ما أيقنت بطيب وجهه فنل منه، ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدي به و يستضيء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه [٢٧] ، و من طعمه [٢٨] بقرصيه، ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد، و عفة و سداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبرا [٢٩] ، و لا ادخرت من غنائمها وفرا [٣٠] ، و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا[و لا حزت من أرضها شبر، و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة، [٣١] و لهيفي عيني أوهى و أهون من عفصة مقرة [٣٢]]. [٣٣]

و روي في شرح الإحقاق عن (ذخيرة الملوك للهمداني، ص ١٠٢) أن عليا عليه السلام ـ بعد إرسال الكتاب إلى عثمان بن حنيف ـ عزله عن الحكومة. [٣٤]

و منها:توبيخه عليه السلام أبا رافع لإعارته بنته عليه السلام عقد لؤلؤ من بيت المال

روى ابن الأثير في التاريخ:كان أبو رافع [٣٥] مولى رسول الله صلى الله عليه و آله خازنا لعلي عليه السلام على بيت المال، فدخل علي يوما و قد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال:«من أين لها هذه؟لأقطعن يدها!»فلما رأى أبو رافع جده في ذلك، قال:أنا و الله يا أمير المؤمنين زينتها به، فقال علي عليه السلام:«لقد تزوجت بفاطمة، و ما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل، و نعلف عليه ناضحنا بالنهار، و ما لي خادم غيرها». [٣٦]

و روى الطبري في التاريخ بسنده عن عباس بن الفضل، عن أبيه، عن جده ابن أبي رافع، نحوه. [٣٧]

علي عليه السلام مع أخيه عقيل و قصة الحديدة المحماة

عند ما طلب منه أخوه عقيل أن يزيد في عطائه من بيت المال، أحمى له حديدةو قربها منه، و من أجل أن يفهم أخاه أنه يرفض الظلم و الجور قال:«و الله لأن أبيت على حسك [٣٨] السعدان [٣٩] مسهدا [٤٠] و اجر في الأغلال مصفدا [٤١] أحب إلي من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام، و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها [٤٢] ، و يطول في الثرى [٤٣] حلولها؟»

ثم قال عليه السلام:«و الله لقد رأيت عقيلا و قد أملق [٤٤] حتى استماحني [٤٥] من بركم صاع، و رأيت صبيانه شعث [٤٦] الشعور، غبر [٤٧] الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم [٤٨] ، و عاودني موكد، و كرر علي القول مردد، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، و أتبع قياده [٤٩] مفارقا طريقتي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر به، فضج ضجيج ذي دنف [٥٠] من ألمه، و كاد أن يحترق من ميسمها. [٥١]

فقلت له:ثكلتك الثواكل [٥٢] يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، و تجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟أتئن من الأذى و لا أئن من لظى [٥٣] ».

و ساق كلامه عليه السلام إلى أن قال:«و الله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة [٥٤] ما فعلته، و إن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمه، ما لعلي و لنعيم يفنى، و لذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات [٥٥] العقل و قبح الزلل [٥٦] و به نستعين». [٥٧]

نبذة من أخبار عقيل و قصته مع معاوية

قال ابن أبي الحديد:و اختلف الناس في عقيل، هل التحق بمعاوية و أمير المؤمنين حي؟.فقال قوم:نعم، و رووا أن معاوية قال يوما و عقيل عنده:هذا أبو يزيد، و لو لا علمه أني خير له من أخيه، لما أقام عندنا و تركه.

فقال عقيل:أخي خير لي في ديني، و أنت خير لي في دنياي، و قد آثرت دنياي، أسأل الله خاتمة خير.

و قال قوم:إنه لم يعد إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، و استدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه في آخر خلافته، و الجواب الذي أجابه عليه السلام، قال ابن أبي الحديد:و هذا القول هو الأظهر عندي. [٥٨]

سؤال معاوية لعقيل عن قصة الحديدة المحماة

سأل معاوية عقيلا عن قصه الحديدة المحماة المذكورة.فقال:نعم أقويت [٥٩] و أصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني و جئته بهم و البؤس و الضر ظاهران عليهم، فقال:«ائتني عشية لأدفع إليك شيئا»فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي، ثم قال:«ألا فدونك»فأهويت حريصا قد غلبني الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب نار، فلما قبضتها نبذتها و خرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي:«ثكلتك امك!هذا من حديدة أوقدت لها نار الدني، فكيف بك و بي غدا إن سلكنا في سلاسل جهنم!»ثم قرأ: (إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون) [٦٠] ثم قال:«ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلك»فجعل معاوية يتعجب، و يقول:هيهات هيهات!عقمت النساء أن يلدن مثله! [٦١]

سيرة علي عليه السلام مع قاتله و وصيته له بالعدل و الإنصاف

في (نهج البلاغة) :من كتاب له عليه السلام في وصيته للحسن و الحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنة الله) ، قال:«يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوض، تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي.

انظروا إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوه ضربة بضربة، و لا يمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور». [٦٢]

و روى ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) :لما جيء بابن ملجم في المسجدنظر إليه علي عليه السلام ثم قال:«النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، و إن سلمت رأيت رأيي فيه». [٦٣]

خاتمة

إذا أردنا التعرض نماذج لعدالته عليه السلام لاحتجنا إلى مجلدات طوال، و إنما نقول:إن العدالة كانت نصب عينه، و ملأت وجوده و كيانه، فقد كان الامام عليه السلام يرى أنه«في العدل صلاح البرية». [٦٤]

و قال عليه السلام:«في العدل الاقتداء بسنة الله و ثبات الدول». [٦٥]

و قال عليه السلام:«في العدل الاحسان». [٦٦]

و قال عليه السلام:«العدل حياة و الجور هلاك». [٦٧]

لقد كان عليه السلام يسد جوعته بكسرة خبز يابسة و يأتدم الملح ليكون مستوى معيشته كأضعف الناس، فإنه يقول:«إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره». [٦٨]

إن هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير علي عليه السلام، فهو نتاج تربية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، قد أشار عليه السلام إلى ذلك بأن الرسول قد احتضنه طفلا و رباه كما في خطبته عليه السلام القاصعة. [٦٩] نعم إن عدالة علي عليه السلام التي نشأت من العدل الالهي و سعيه لتطبيقه، قد أصبحت نموذجا واضحا لكل القادة و طلاب العدالة على مر القرون، و مصداقا مشرفا للانسان المسلم المتكامل الذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات و خاصة في مجال الحكومة، و نرى ذلك القدوة العظيمة يعرف نفسه بقوله:«إنما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجه، فاسمعو ـ أيها الناس ـ و عو، و أحضروا آذان قلوبكم تفهموا». [٧٠]

و أخيرا اشير إلى كلمة لجورج جرادق يقول فيها:«ما ضرك أيتها الأيام لو جمعت قواك و طاقاتك فأنجبت في كل زمان إنسانا كعلي عليه السلام في عقله و روحه و نفسه، في كلامه و بيانه، و في قوته و شجاعته». [٧١]

تعليقات:

١.النحل، ٩٠.

٢.النساء، ١٣٥.

٣.السيوطي في ذيل اللآلئ ص ٥٤ و الحافظ الكنجي في الباب ٦٢ ص ٢٥٦.

٤.المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ١٢٩، ح ١٧٠، و فرائد السمطين للجويني، ج ١، ص ٥٠، ح ١٥ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه بلا تفاوت في المعنى.

٥.تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٣٧، المناقب للخوارزمي، ص ٢٣٥، ينابيع المودة، ص ٢٣٣، الفردوس، ج ٥، ص ٣٠٥، ح ٨٢٦٥.

٦.نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

٧.تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٨، حوادث سنة ٣٥.

٨.انظر الإمام علي صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٧.

٩.ملحمة الشمس لهادي دستباز، ص ٣٢٩.

١٠.اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٥.

١١.الآيات من سوره (يونس، ٥٧، الأعراف، ٨٥، الشعراء، ١٨٣، هود، ٨٦) .

١٢.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٨.

١٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٩٧.

١٤.العدالة الاجتماعية في الاسلام لسيد قطب.

١٥.بلاغات النساء، ص ٤٨.

١٦.نهج البلاغة، ص ٥٧، الخطبة ١٥.

١٧.القطائع:ما يقطعه الامام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج و يسقط عنه خراجه و يجعل عليه ضريبة يسيرة عوضا عن الخراج، و قد كان عثمان أقطع كثيرا من بني امية و غيرهم من أوليائه و أصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦٩.

١٨.تفسير هذا الكلام:أن الوالي اذا ضاقت عليه تدبيرات اموره في العدل فهي في الجور أضيق عليه لأن الجائر في مظنة أن يمنع و يصدعن جوره، شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٠.

١٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦٩.

٢٠.المناقب المرتضوية للكشفي الحنفي، ص ٣٦٥.

٢١.أردشير خرة:كورة من كور فارس، و الظاهر أنه ما يسمى في عصرنا (فيروز آباد) .

٢٢.اعتامك:اختارك من بين الناس، أصله من العيمة بالكسر، و هي خيار المال.

٢٣.القبل بكسر ففتح:ظرف بمعنى عند.

٢٤.نهج البلاغة، الكتاب ٤٣.

٢٥.عائلهم:محتاجهم.

٢٦.الفظه:اطرحه.

٢٧.الطمر بالكسر:الثوب الخلق البالي.

٢٨.طعمه بضم الطاء:ما يطعمه و يفطر عليه.

٢٩.التبر:بالكسر فالسكون، فتات الذهب و الفضة قبل أن يصاغ.

٣٠.الوفر:المال.

٣١.الاتان الدبرة، هي التي عقر ظهرها فقل أكلها.

٣٢.مقرة:مرة.

٣٣.نهج البلاغة، الكتاب ٤٥، و بين المعقوفين من شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٠٥.

٣٤.الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٩.

٣٥.أبو رافع مولى رسول الله عليه السلام و اسمه إبراهيم، أو أسلم، أو هرمز، أو ثابت، كان عبدا للعباس بن عبد المطلب، فوهبه للنبي صلى الله عليه و آله، فلما بشر النبي صلى الله عليه و آله باسلام العباس، عتقه النبي، و كان من المخلصين له و صار من شيعة أمير المؤمنين و خواصه، و كان صاحب خزائن بيت المال في عهده عليه السلام.

٣٦.الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٤١.

٣٧.تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٩.

٣٨.الحسك:الشوك.

٣٩.السعدان:نبت ترعاه الابل له شوك.

٤٠.المسهد من سهده:إذا أسهره.

٤١.المصفد:المقيد.

٤٢.قفولها:رجوعها.

٤٣.الثرى:التراب.

٤٤.أملق:افتقر أشد الفقر.

٤٥.استماحني:استعطاني.

٤٦.شعث جمع أشعث:و هو الذي تلبد شعره بالوسخ.

٤٧.الغبر:جمع أغبر متغير اللون شاحبه.

٤٨.العظلم كزبرج:سواد يصبغ به.

٤٩.القياد:ما يقاد به كالزمام.

٥٠.الدنف:المرض.

٥١.الميسم، المكواة.من ميسمها:من أثرها في يده.

٥٢.الثواكل:النساء.

٥٣.لظى:اسم جهنم.

٥٤.جلب الشعيره:قشرها.

٥٥.سبات العقل:نومه.

٥٦.الزلل:السقوط في الخطأ.

٥٧.نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥.

٥٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

٥٩.أي افتقرت.

٦٠.سوره غافر، ٧١.

٦١.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥٣.

٦٢.المصدر السابق، الكتاب ٤٧، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٣٨.

٦٣.الفصول المهمة، ص ١٣٤.

٦٤.غرر الحكم، ج ٤، ص ٤٠٢، ح ٦٤٩١.

٦٥.نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٠٣، ح ٦٤٩٦.

٦٦.نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٠١، ح ٦٤٨٢.

٦٧.نفس المصدر، ج ١، ص ٦٤ ـ ٥٧، ح ٢١٦ و ٢٤٦.

٦٨.نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

٦٩.المصدر السابق الخطبة ٢٣٤، المعروفة بالقاصعة و هي طويلة و محل الشاهد منه، ص ٨٠٢، من المصدر.

٧٠.المصدر السابق، ص ٧٤٦، الخطبة ٢٢٩.

٧١.الإمام علي صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٤٩.

٧١.الإمام علي صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٤٩.

المساواة أمام القانون

الفرق بين القانون الإسلامي و غيره

إمتاز قانون الإسلام عن غيره بأنه لا يفرق بين أفراد المجتمع و الطبقات في القوانين الحقوقية و الجزائية المترتبة عليهم، و لا فرق فيه بين الرئيس و المرؤوس، و الراعي و الرعية، و القوي و الضعيف، و العربي و الأعجمي، و الأبيض و الأسود، و الغني و الفقير، بل القانون للجميع واحد، و الحاكم واحد و المحكمة أيضا واحدة، نعم من كان متقيا و رعا فإنه يتمتع بكرامة و قدسية و منزلة معنوية، إلا أن ذلك لا يؤثر في سراية القانون عليه.قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .[١]

و في تفسير القرطبي عن أبي نضرة، قال:حدثني من شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه و آله بمنى في وسط أيام التشريق و هو على بعير فقال:«يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، و لا لعجمي على عربي، و لا لأسود على أحمر، و لا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟»قالوا:نعم، قال:«ليبلغ الشاهد الغائب».[٢]

نعم المراكز و المناصب في الاسلام لا تنال إلا بالقابليات، و لا تمنح جزاف، و أما القوانين فإنها شاملة للجميع على حد سواء، و لا يوجب الاختلاف في النسب أو اللون أو الوطن أو اللغة أو المنصب تفاوتا في المسؤولية أمامها.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع».[٣]

و في صحيح البخاري:في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد بسنده:عن عروة عن عائشة :أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت.فقالوا:من يكلم رسول الله صلى الله عليه و آله و من يجترىء عليه إلا اسامة حب[٤] رسول الله صلى الله عليه و آله، فكلم رسول الله صلى الله عليه و آله.فقال رسول الله:«أتشفع في حد من حدود الله؟»ثم قام فخطب، قال:«يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، و إذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».[٥]

نماذج من مساواة علي عليه السلام مع الآخرين أمام القانون

بعد ما مر من المقدمة في امتياز قانون الإسلام عن سائر الفرق في المساواة أمام إجراءات القانون، نعطف الكلام في ما يظهر من عمل علي بن أبي طالب عليه السلام أمام القانون، الذي يعجب العدو و

يعتز به الصديق، و في هذا المجال موارد كثيرة، و قد تعرضنا في البحث المتقدم إلى ما يناسب هذا العنوان أيض، و نشير هنا إلى نماذج منها توخيا للاختصار:

قصة درعة الذي كان عند النصراني

قال العقاد في عبقرية الامام عليه السلام:وجد درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح ـ قاضيه ـ يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه، و قال:«إنها درعي، و لم أبع و لم أهب».

فسأل شريح النصراني:ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؟.

قال النصراني:ما الدرع إلا درعي، و ما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفتشريح إلى علي عليه السلام يسأله:يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟!فضحك علي عليه السلام و قال:«أصاب شريح، مالي بينة!»...فقضى بالدرع للنصراني، فأخذها و مشى و أمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول:أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء الله، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه يقضي عليه!!، أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و الدرع و الله درعك يا أمير المؤمنين، أتبعت الجيش و أنت منطلق إلى صفين فسقطت من بعيرك الأورق.

فقال:أما إذا أسلمت فهي لك، و شهد الناس هذا الرجل بعد ذلك و هو من أصدق الجند بلاء في قتال الخوارج يوم النهروان. [٦]

و روى نحوه مع تفاوت في بعض ألفاظه ابن الأثير في الكامل. [٧]

اعتراضه على عمر لأنه كناه و لم يكن خصمه

روى الموفق بن أحمد الخوارزمي بالاسناد عن عبد الله بن عباس، قال:استعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عمر بن الخطاب، و كان علي جالسا في مجلس عمر بن الخطاب، فالتفت عمر إلى علي عليه السلام فقال:قم يا أبالحسن، فاجلس مع خصمك.فقام علي عليه السلام فجلس مع خصمه فتناظر، و انصرف الرجل و رجع علي عليه السلام إلى مجلسه فجلس فيه، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال له:يا أبا الحسن، مالي أراك متغير، أكرهت ما كان؟قال:نعم، قال:و لم ذاك؟قال:لأنك كنيتني بحضرة خصمي، فألا قلت:قم يا علي فاجلس مع خصمك؟فأخذ عمر رأس علي عليه السلام فقبل بين عينيه، ثم قال:بأبي أنتم، بكم هدانا الله، و بكم أخرجنا من الظلمات إلى النور. [٨] و رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج. [٩]

خصم قيمة العسل من ابنته عليه السلام

روى المحب الطبري عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، قال:أهدى أخي إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه أزقاق سمن و عسل فرآها قد نقصت، فسأل فقيل:بعثت أم كلثوم فأخذت منه، فبعث إلى المقومين، فقوموا خمسة دراهم، فبعث إلى أم كلثوم:ابعثي لي بخمسة دراهم، و قال:أخرجه في الصفوة. [١٠]

سيرته عليه السلام في بيت المال

لما بايع الناس عليا بالخلافة، أعلن ما يمكن أن نسميه في عصرنا الحاضر بالثورة الشاملة ضد الأوضاع الاجتماعية التي كانت على عهد عثمان، و عزمه الأكيد على تغيير الأوضاع الجديدة التي حيزت فيها الأموال بغير حق، و العودة إلى نظام المساواة الذي قرره الإسلام، و طبقه رسول الإسلام صلى الله عليه و آله، و من كلماته الشهيرة التي تعبر عن عزمه على ذلك قبل توليه الخلافة الظاهرية قوله:

«لو قد استوت [١١] قدماي من هذه المداحض [١٢] لغيرت أشياء». [١٣]

هذه واحدة من كلماته عليه السلام الملتهبة بالأسف على الإسلام و المسلمين حيث حرفوا مجرى أحكام الدين، و غيروا الحقائق باتباع الهوى، أو بسبب الجهل به، و هو يتحرق لهذا الانحراف و الانعطاف الجاهلي الذي يرجع بالإسلام القهقرى، و يوقف سيره نحو الدرجات العلى، فما لبث رويدا حتى ظهر بأسهم بينهم، و تفرقوا مذاهب شتى، و في موقف آخر يبدي سخطه عليه السلام لاحتكار بني امية الثروة الإسلامية و يتوعدهم قائلا حين منعه سعيد بن العاص حقه:«إن بني امية ليفوقونني [١٤] تراث محمد صلى الله عليه و آله تفويق، و الله لئن بقيت لهم لأنفضنهم نفض اللحام الوذام [١٥] التربة». [١٦]

لقد كانت قطائع و أراضي جعلها عمر ملكا خاصا لبيت المال، ثم جاء عثمان فأقطعها لأوليائه و أعوانه و ولاته و أهل بيته، فلما جاء علي عليه السلام ألغى تصرفات عثمان هذه، و قرر ردها إلى ملكية الدولة الاسلامية و حوزة بيت المال، و قال:«و الله لو وجدته ـ المال ـ قد تزوج به النساء، و ملك به الإمام لرددته، فإن في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق». [١٧]

و في العطاء أحدث عليه السلام تغييرا ثوري، لعله كان من أخطر التغييرات الثورية التي قرره، و التي أراد بها العودة بالمجتمع إلى روح التجربة الثورية الاسلامية الاولى، و العطاء هو نظام قسمة الأموال العامة بين الناس جنودا كانوا أم غيرهم، و سواء كانوا من أصل عربي أو كانوا من الموالي، أو غير ذلك.

و لما جاء عمر بن الخطاب ألغى نظام التسوية بين الناس في العطاء، ثم كان عهد عثمان الذي أقر القانون السابق، ثم سار على دربه أشواطا و أشواط، حتى أصبح الاختلاف الطبقي نظاما بشع، بلغت بشاعته حدا جعل الناس يثورون على عثمان، ثم انتهت ثورتهم بقتله و تولية أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة للمسلمين.

و من هنا كان قرار علي عليه السلام بالعدول عن تمييز الناس في العطاء و العودة إلى نظام المساواة قرارا من أخطر قراراته الثورية، و لذا اعترضوا على موقف علي عليه السلام.

و كان أول من اعترض عليه عليه السلام طلحة بن عبيد الله، و الزبير بن العوام، و عبد الله بن عمر، و سعيد بن العاص، و مروان بن الحكم، و رجال من قريش و غيره، و لقد بلغوا في معارضتهم لقرار التسوية هذا حد نقض بيعتهم لعلي عليه السلام، و إعلان الحرب عليه تحت ستار الطلب بدم عثمان، مع أنهم هم الذين تقدموا الناس في الثورة على عثمان؟!.

لكن علي عليه السلام ثبت على موقفه و لم يغير ما عزم عليه، و لذا لما عاتبه بعض أصحابه على التسوية في العطاء و طلبوا تمييزا للبعض ارضاء للخصوم، قال عليه السلام:«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟!و الله لا أطور به [١٨] ما سمر سمير و ما أم نجم في السماء نجم، و لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف و إنما المال مال الله؟!».

ثم قال عليه السلام:«ألا و إن إعطاء المال في غير حقه تبذير و إسراف، و هو يرفع صاحبه في الدني، و يضعه في الآخرة، و يكرمه في الناس، و يهينه عند الله، و لم يضع امرؤ ماله في غير حقه، و عند غير أهله، إلا حرمه الله شكرهم، و كان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر خدين و ألأم خليل». [١٩]

صور من سيرته عليه السلام في حفظ بيت المال

و قد ورد في الحديث و الأثر بعض الأقوال عن سيرة علي عليه السلام في حفظ بيت المال نذكر نماذج منها تكميلا للبحث.

إذا أورد عليه مال، لم يبق منه شيئا إلا قسمه

في الاستيعاب لابن عبد البر المالكي:و إذا أورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه، و لا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، و يقول:«يا دنيا غري غيري» .

و لم يكن يستأثر من الفيء بشيء، و لا يخص به حميما و لا قريب، و لا يخص بالولايات إلا أهل الديانات و الأمانات.

و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه:« (قد جاءتكم موعظة من ربكم [٢٠] فأوفواالكيل و الميزان بالقسط [٢١] و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين و ما أنا عليكم بحفيظ) [٢٢] ، إذا أتاك كتابي فاحتفظ بما في يدك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه»، ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول:«أللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقك». [٢٣]

عليه خلق قطيفة في فصل الشتاء

و في الكامل في التأريخ، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال:دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق و هو فصل شتاء و عليه خلق قطيفة، و هو يرعد فيه، فقلت:يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك و لأهلك في هذا المال نصيب، و أنت تفعل هذا بنفسك؟

فقال:«و الله ما أرزؤكم شيئ، و ما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة». [٢٤]

بيعه سيفه ليشتري إزارا

و في (تذكرة الخواص) :خرج علي عليه السلام يوما و معه سيفه ليبيعه، فقال عليه السلام :«من يشتري مني هذا السيف، فو الذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه و آله، و لو كان عندي ثمن إزار لما بعته». [٢٥]

و في الاستيعاب لابن عبد البر المالكي، روى الحديث بعينه عن أبي حيان التيمي، عن أبيه، ثم زاد في آخره:فقام إليه رجل فقال:نسلفك عن إزار، قالعبد الرزاق:و كانت بيده الدنيا كله، إلا ما كان من الشام. [٢٦]

إذا أتاه مال يقسمه و يقول:يا صفراء...

روى المحب الطبري، عن علي بن أبي ربيعة:أن علي بن أبي طالب جاءه ابن التياح، فقال:يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت المال من صفراء و بيضاء.قال:الله أكبر!فقام متوكئا على ابن التياح حتى قام على بيت المال، فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال للمسلمين، و هو يقول :يا صفراء يا بيضاء غري غيري، هاوه، حتى ما بقي منه دينار و لا درهم، ثم أمر بنضحه، فصلى فيه ركعتين.قال:أخرجه أحمد في المناقب، و الملأ و صاحب الصفوة. [٢٧]

إذا أتاه مال يكنس بيت المال و...

و في شرح ابن أبي الحديد، قال:و هو[علي عليه السلام]الذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلي فيه، و هو الذي قال:«يا صفراء و يا بيضاء غري غيري»و هو الذي لم يخلف ميراث، و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام. (٢٨)

قسم رغيفا سبع كسر بين المستحقين

و في (الاستيعاب) لابن عبد البر، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال:أتى عليا عليه السلام مال من أصفهان، فقسمه سبعة أسباع، و وجد فيه رغيفا فقسمه سبع كسر، فجعل على كل جزء منه كسرة، ثم أقرع بينهم أيهم يعطى أول، و كانت الكوفة يومئذ أسباعا. (٢٩)

و قال ابن عبد البر:و أخباره في مثل هذا من سيرته لا يحاط بها.

قصة الأترجة

و عن أبي صالح، قال:دخلت على ام كلثوم بنت علي، و إذا هي تمتشط في ستر بينها و بيني، فجاء حسن و حسين فدخلا عليها و هي جالسة و هي تمتشط، فقالت:ألا تطعمون أبا صالح شيئا؟قال:فأخرجوا لي قصعة فيها مرق بحبوب، قال:فقلت:تطعمون هذا و أنتم أمراء!فقالت أم كلثوم:يا أبا صالح، كيف لو رأيت أمير المؤمنين - تعني علي - و أتى بأترج، فذهب حسين فأخذ أو ترجة، فأخذها من يده، ثم أمر به فقسم بين الناس! (٣٠)

قلت:و هذا الخبر يدل على مساواته عليه السلام بين أولاده و بين سائر الناس أمام القانون و الحق و العدل، إضافة إلى دلالته الواضحة على عدله في تقسيم ما يرد إلى بيت المال سالما صحيحا دون أدنى نقص أو خلل.

عجب معاوية بقصة الحسين عليه السلام و العسل

و في شرح ابن أبي الحديد:سأل معاوية عقيلا عن قصة الحديدة المحماة المذكورة آنف، فبكى، و قال:أنا أحدثك يا معاوية عنه، ثم أحدثك عما سألت، نزل بالحسين ابنه ضيف، فاستسلف درهما اشترى به خبز، و احتاج إلى الأدام، فطلب من قنبر خادمهم، أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن، فأخذ منه رطل، فلما طلبها عليه السلام ليقسمه، قال:«يا قنبر، أظن أنه حدث بهذا الزق حدث؟!»فأخبره، فغضب عليه السلام و قال:«علي بحسين!»فرفع عليه الدرة، فقال حسين:«بحق عمى جعفر» - و كان علي إذا سئل بحق جعفر سكن، فقال له:«ما حملك أن أخذت منه قبل

القسمة؟»قال :«إن لنا فيه حق، فإذا اعطيناه رددناه»، قال:«فداك أبوك!و إنكان لك فيه حق، فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، أما لو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا»، ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ردائه، و قال:«إشتر به خير عسل تقدر عليه».

قال عقيل:و الله لكأني أنظر إلى يدي علي، و هي على فم الزق، و قنبر يقلب العسل فيه، ثم شده و جعل يبكي، و يقول:«أللهم اغفر لحسين، فإنه لم يعلم!».

فقال معاوية:ذكرت من لا ينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله، و أعجز من يأتي بعده!هلم حديث الحديدة... [٣١]

تعليقات:

١.حجرات، ١٣.

٢.تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٣٤٢.

٣.شرح نهج البلاغه الكتاب، ٥٣.التقديس:التطهير، غير متعتع:أي غير مضطرب.

٤.حب بكسر الأول:حبيب.

٥.صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ٢٣، ص ١٨٩، ح ٦٣٨٦.

٦.عبقرية الإمام، ص ٤٦.

٧.الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٠١.

٨.المناقب:الفصل السابع، ص ٩٨، ح ٩٩.

٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٦٥.

١٠.ذخائر العقبى، ١٠٨.

١١.استوت قدماي:كناية عن تثبيت حكومته و دفع مخالفيه.

١٢.المداحض:المزالق التي لا تثبت عليها القدم.

١٣.نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٦٤.

١٤.ليفوقونني:يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة، و هو الحلبة الواحدة من لبنها.

١٥.الوذام:و هي الحزة و القطعة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

١٦.نهج البلاغة، الخطبة ٧٦.

١٧.المصدر السابق، الخطبة ١٥.

١٨.أي لا أقربه و لا أفعله.

١٩.نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦ و هذا البحث مستفاد من (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) للسيد حسن الأمين، ج ١، ص ١٣٦.

٢٠.يونس، ٥٧.

٢١.الانعام، ١٥٢.

٢٢.هود، ٨٥ و ٨٦.

٢٣.الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٢٤.الكامل لابن الاثير، ج ٢، ص ٤٤٢، تذكرة الخواص، ص ١٠٨،

٢٥.تذكرة الخواص، ص ١٠٩.

٢٦.الإستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٥٠.

٢٧.ذخائر العقبى، ص ١٠١، الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢١١.

٢٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٢.

٢٩.الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٩، الغارات، ج ١، ص ٥١، الكامل لابن الاثير، ج ٣، ص ٣٩٩ و لفظ الحديث من الاستيعاب.

٣٠.الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢٢١، ذخائر العقبى، ص ١٠٨ و ١٠٩.

٣١.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٦٥.

٣١.شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٦٥.

سيرته عليه السلام مع معارضيه في الحكومة

كان علي عليه السلام يمثل نموذجا حيا لحكومة العدل الإلهي، في كل المجالات، و على كل الأصعدة و الجبهات، إذ أن مراعاة العدالة لا تنحصر لديه عليه السلام في تقسيم أموال بيت المال و حسب، كما لا تنحصر مع الأصدقاء دون غيرهم من الناس، بل إنه كان في الحرب و السلم، مع العدو و الصديق يسير بسيرة الرسول صلى الله عليه و آله العادلة.

لم يكن علي عليه السلام مستعدا لتجنب مسير الحق لأجل هذه الدنيا الفانية حتى مع ألد أعدائه و خصومه، فإنه كان يقدم رضا الله جل و علا على كل شيء، و يعمل وفقا للموازين الإلهية العادلة، و كان في تعامله مع معارضيه و أعدائه يأخذ بنظر الاعتبار بقاء الإسلام و ديمومته لا بقاءه هو و حسب، و لو كان يريد البقاء لتعامل مع معارضيه كما تعاملوا هم معه و مع ذريته و أولاده عليهم السلام، و لو كان يريد البقاء لاستأصلهم و استخدم أقصى أساليب القمع و الإرهاب ضدهم من نفي و طرد و إبعاد و سجن، و لخنق أصواتهم أو لأمالهم إليه بالمال و الترغيب...أبى عليه السلام أن يعمل ذلك أو غيره، و ما تعامل معهم إلا بما أملته عليه مبادىء الإسلام، و لم ينحرف عن صراطه المستقيم قيد أنملة.

في هذا الفصل سنتطرق إلى موقفه عليه السلام مع معارضيه و أعداء حكومته عليه السلام، ذلك الموقف الذي نور صفحات التاريخ و وجه الإسلام، و إذا كان ثمة سر لبقاء علي عليه السلام على طول التاريخ فهو هذا الموقف، مضافا إلى أنه عليه السلام ضحى بنفسه من أجل الإسلام و العدل و الحق دون أن يجوز شيئا لمنفعته و مصلحته.

إنه عليه السلام قبل أن تشرع حرب الجمل أبدى النصيحة لمخالفي حكومته، و حين لم تنفع معهم لم يبدأ الحرب حتى بدؤوه بالقتال، و حين انتصر عليهم عفا عنهم و عنأموالهم، و سير عائشة معززة مكرمة إلى المدينة.

و مرة اخرى تبرز عظمة علي عليه السلام في موقفه مع أعدائه في صفين حين ملك الماء عليهم و ما حرمهم منه، في الوقت الذي كان قادرا على ذلك، و رغم أنهم حرموه منه قريبا.

و تظهر عظمته عليه السلام مرة اخرى في موقفه الرجولي مع أهل النهروان، إذ دعاهم إلى الكوفة مرار، و أبلغ و جاهد في النصيحة لهم، رغم أنهم قد قتلوا أصحابه ظلما و عدوان، كما أنه لم يقطع عطاءهم من بيت المال، و حينما يواجهونه بالإهانة في مسجد الكوفة كان يبالغ في النصيحة.

و حينما تواقفوا للحرب لم يشرع في حربهم حتى شرعوا في حربه عليه السلام، و أمثال هذه المواقف كثيرة لا يبلغها الإحصاء.

فداك نفسي و أبي و أمي و ولدي يا أبا الحسن...أين نجد مثلك في العدل و الإحسان و الحق؟بل ليت الحكومات الإسلامية تطبق و لو ذرة من أسلوبك في الحكومة، و لم يسودوا وجه الإسلام الناصع بأعمالهم الشنيعة المخالفة لمبادئه الحقة.

ما روي في سيرته عليه السلام مع معارضيه في الحكومة

على رغم المحاولات الشتى المبذولة من قبل أعداء علي عليه السلام لطمس فضائله و مناقبه، و عدم السماح بتناقله، مما أحال دون وصولها إلى أسماع الناس، فبمجرد إلقاء نظرة ـ و لو سريعة ـ على ما دونه المؤرخون و العلماء، سواء الموالي منهم أو المخالف، فإننا سنلاحظ فضائله و مناقبه ساطعة جلية لا يغطيها غبار النواصب الحاقدين.

و في هذا الباب سيبدو لنا علي عليه السلام في سيرته مع مخالفيه بشكل لم يشهده عالم اليوم و لا في المستقبل، فلنسمع ذلك من أفواه المخالفين و رواياتهم لنطلع على عظمة علي عليه السلام:

قول الشارح المعتزلي

قال ابن أبي الحديد في شرحه:كان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب و السنة، و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب و السنة كما يستعمل الكتاب و السنة، و يستعمل جميع المكائد حلالها و حرامه، يسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان اذا لاقى رتبيل، [1] و علي عليه السلام يقول:«لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم، و لا تتبعوا مدبر، و لا تجهزوا على جريح، و لا تفتحوا بابا مغلقا»هذه سيرته في ذي الكلاع، و في أبي الأعور السلمي، و في عمرو بن العاص، و حبيب بن مسلمة، و في جميع الرؤساء، كسيرته في الحاشية و الحشو و الأتباع و السفلة و أصحاب الحروب.إلى أن قال:فعلي عليه السلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عز و جل رض، و ممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هو لله رض، و لا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله و يحبه، و لا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب و السنة دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء و النكراء و المكائد و الآراء، إلى آخر كلامه. [2]

قول أبي منصور التيمي

قال العلامة أبو منصور التيمي البغدادي:و ما قاتل علي عليه السلام أصحاب الجمل و أهل صفين ليسلمو، و إنما قاتلهم لبغيهم عليه عليه السلام، لذلك قال لأصحابه:«لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم»و نهى عن اتباع من أدبر منهم، و عن أن يذفف [٣] على جريح منهم. [٤]

قول القاضي أبي يوسف

و قال القاضي أبو يوسف في كتاب (الخراج) :إن الصحيح عندنا من الأخبار عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه لم يقاتل قوما قط من أهل القبلة ممن خالفه حتى يدعوهم، و أنه لم يتعرض بعد قتالهم و ظهوره عليهم لشيء من مواريثهم و لا لنسائهم و لا لذراريهم، و لم يقتل منهم أسير، و لم يذفف منهم على جريح، و لم يتبع منهم مدبرا. [٥]

رواية البيهقي عن محمد بن عمر بن علي

و روى البيهقي في (السنن الكبرى) بسنده عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب:أن عليا عليه السلام لم يقاتل أهل الجمل حتى دعا الناس ثلاث، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن و الحسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر فقالوا:قد أكثروا فينا الجراح، فقال:«يا بن أخي، و الله ما جهلت شيئا من أمرهم، إلا ما كانوا فيه»و قال:«صب لي ماء»فصب له ماء فتوضأ به ثم صلى ركعتين، حتى إذا فرغ رفع يديه و دعا ربه، و قال لهم:«إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبر، و لا تجهزوا على جريح، و انظروا ما حضرت به الحرب من آيته [٦] فاقبضوه، و ما كان سوى ذلك فهو لورثته».

و قال:قال الدار وردي:أخبرنا جعفر عن أبيه:أن عليا عليه السلام كان لا يأخذ سلبا و أنه كان يباشر القتال بنفسه، و أنه كان لا يذفف على جريح و لا يقتل مدبرا. [٧]

رواية الطبري عن محمد بن راشد

و في (تاريخ الطبري) بإسناده عن محمد بن راشد، عن أبيه، قال:كان من سيرة علي عليه السلام أن لا يقتل مدبر، و لا يذفف على جريح، و لا يكشف ستر، و لا يأخذ مال، فقال قوم يومئذ :ما يحل لنا دماءهم، و يحرم علينا أموالهم؟فقال عليه السلام:«القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا و نحن منه، و من لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر و النحر و أن لكم في خمسه لغنى»فيومئذ تكلمت الخوارج. [٨]

قول جورج جرداق المسيحي

قال جورج جرادق في كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) في وصف أمير المؤمنين عليه السلام:و مروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعد.

منها:أنه أبى على جنده ـ و هم في حال من النقمة و السخط ـ أن يقتلوا عدوا تراجع، و أن يتركوا عدوا جريحا فلا يسعفوه، كما أبى عليهم أن يكشفوا سترا أو أن يأخذوا مالا.

و منها:أنه صلى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه و سأل لهم الغفران، و أنه حين ظفر بألد أعدائه الذين يتحينون الفرص للتخلص منه، و هم:عبد الله بن الزبير، و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، عفا عنهم و أحسن إليهم، و أبى على أنصاره أن يتعقبوهم بسوء و هم على ذلك قادرون.

و من حوادث المروءة أن عليا عليه السلام ظفر بعمرو بن العاص ـ و هو لا يقل خطرا عليه من معاوية بن أبي سفيان ـ فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته و يستمر في مؤامراته ضده، لأن عمرا هذا رجاه على اسلوب خاص أن يعفو عنه، و قد أصبحذوالفقار فوق هامته، و لو قضى علي عليه السلام على عمرو آنذاك لكان قضى على المكر و الدهاء و جيش معاوية.

و في معركة صفين حاول معاوية و جماعته أن يميتوا عليا عطش، فحالوا بينه و بين الماء زمنا و هم يقولون له:و لا قطرة حتى تموت عطش، و لكن ما كان من أمره و أمر جيش معاوية بعد ذلك، كان أن حمل عليهم الفارس العظيم فأجلاهم عن الماء ثم أتاح لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، و لو منع عنهم الماء لانتصر عليهم، و اضطرهم إلى التسليم خشية الموت ظمأ .

و عرف مرة أن رجلين من أنصاره ينالان من عائشة في موقعة الجمل التي أدارتها عائشة للقضاء عليه، فأمر بجلدهما مائة جلدة، ثم أقبل على عائشة بعد انتصاره في هذه الموقعة و ودعها أكرم وداع، و سار هو نفسه في ركابها أميال، ثم أوصى بها و أرسل من يخدمها و يخف بها و يوصلها إلى المدينة مكرمة محترمة.

قيل:إنه أرسل معها عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بعمائم الرجال، و قلدهن السيوف، فلما كانت عائشة ببعض الطريق ذكرت عليا بما لا يجوز أن يذكر به، و تأففت و قالت:هتك ستري برجاله و جنده الذين و كلهم بي، فلما وصلت إلى المدينة ألقى النساء عمائمهن، و قلن لها:نحن نسوة . [٩]

و فيما يلي نورد بعض أخباره عليه السلام مع مخالفيه في حرب الجمل:

رواية البيهقي عن جويرية

في (السنن الكبرى) للحافظ البيهقي بإسناده عن جويرية بن أسماء، قال:رواه عن يحى بن سعيد، قال :حدثني عمي أو عم لي، قال:لما تواقفنا يوم الجمل و قد كان علي عليه السلام حين صفنا نادى في الناس:لا يرمين رجل بسهم و لا يطعن برمح، و لا يضرب بسيف، و لا تبدؤوا القوم بالقتال، و كلموهم بألطف الكلام».و أظنه قال:«فإن هذا مقام من فلج فيه، فلج[١٠] يوم القيامة». [١١]

رواية أبي يوسف

و في الخراج لأبي يوسف، قال:حدثنا بعض المشيخة عن جعفر بن محمد، عن أبيه:«أن عليا عليه السلام، أمر مناديه فنادى يوم البصرة:لا يتبع مدبر، و لا يذفف على جريح، و لا يقتل أسير، و من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، قال:و لم يأخذ من متاعهم شيئا». [١٢]

شراء جمل لعائشة

في تاريخ الطبري بإسناده عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال:لما فرغوا يوم الجمل، أمرني الأشتر، فانطلقت فاشتريت له جملا بسبعمائة درهم من رجل من مهرة، فقال:انطلق به إلى عائشة فقل لها:بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث؟و قال:هذا عوض من بعيرك، فانطلقت به إليه، فقلت:مالك يقرئك السلام و يقول:ان هذا البعير مكان بعيرك، قالت:لا سلم الله عليه، إذ قتل يعسوب العرب ـ تعني ابن طلحة ـ و صنع بابن اختي ما صنع، قال:فرددته إلى الأشتر و أعلمته، قال:فأخرج ذراعين شعراوين، و قال:أرادوا قتلي فما أصنع. [١٣]

و ما بعثه الأشتر إلى عائشة إلا كان بإذن مولاه و إمامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

تجهيز علي عليه السلام عائشة من البصرة

و في (تاريخ الطبري) أيضا عن محمد و طلحة قالا:و جهز علي عليه السلام عائشةبكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، و أخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، و اختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، و قال:تجهز ـ يا محمد [١٤] ـ فبلغه، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها و حضرت الناس فخرجت على الناس و ودعوها و ودعتهم، و قالت:يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء و استزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد

بشيء بلغه من ذلك، إنه و الله ما كان بيني و بين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة و أحمائه، و إنه عندي على معتبتي من الأخيار [١٥] الحديث.

ندامة عائشة بعد رجوعها من البصرة

عن العلامة سبط ابن الجوزي في (التذكرة) قال:قال هشام بن محمد:فجهزه ـ أي عائشة ـ على أحسن الجهاز، و دفع لها مالا كثير، و بعث معها أخاها عبد الرحمن في ثلاثين رجلا و عشرين امرأة من أشراف البصرة و ذوات الدين من همدان و عبد القيس، و ألبسهن العمائم، و قلدهن السيوف بزي الرجال، و قال عليه السلام لهن:«لا تعلمنها إنكن نسوة، و تلثمن و كن حوله، و لا يقربنها رجل».

و سرن معها على هذا الوصف، فلما وصلت إلى المدينة، قيل لها:كيف كان مسيرك؟فقالت عائشة :بخير ـ و الله ـ لقد أعطى فأكثر، و لكنه بعث رجالا معي أنكرتهم، فبلغ ذلك النسوة، فجئن إليها و عرفنها أنهن نسوة، فسجدت و قالت:و الله ـ يا ابن أبي طالب ـ ما ازددت إلا كرم، و ددت أني لم أخرج هذا المخرج، و أني أصابني كيت و كيت.

قال ابن الكلبي:و كانت إذا ذكرت يوم الجمل بكت، حتى تبل خمارها و تأخذ بحلقها كأنها تخنق بنفسه، و كانت إذا ذكرت ام سلمة تذكر نهيها لها و تبكي. [١٦] قال هشام بن محمد:إنما رد علي عائشة إلى المدينة امتثالا لأمر رسول الله. [١٧]

و فيما يلي نورد بعض أخباره عليه السلام مع مخالفيه في حرب صفين:

رواية عمرو بن العاص في غلبته عليه السلام على الماء

عن ابن أبي الحديد، قال:قال عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء:ما ظنك يا معاوية ـ بالقوم، إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة!.

فقال معاوية:دع عنك ما مضى، فما ظنك بعلي؟

قال:ظني أنه لا يستحل منك ما استحللت منه، و إن الذي جاء له غير الماء.قال:فقال معاوية قولا أغضبه، فقال عمرو:

أمرتك أمرا فسخفته ***و خالفني ابن أبي سرحه [١٨]

و أغمضت في الرأي إغماضة ***و لم تر في الحرب كالفسحه

فكيف رأيت كباش العراق ***ألم ينطحوا جمعنا نطحه

فإن ينطحونا غدا مثلها ***فكن كالزبيري أو طلحه

أظن لها اليوم ما بعدها ***و ميعاد ما بيننا صبحه

و إن أخروها لما بعدها *** فقد قدموا الخبط و النفحه

و قد شرب القوم ماء الفرات *** و قلدك الأشتر الفضحه [١٩]

رواية نصر بن محمد في ذلك

و فيه أيضا عن نصر بن محمد بن عبد الله، قال:فقال أصحاب علي له:إمنعهم الماء ـ يا أمير المؤمنين ـ كما منعوك.

فقال:«ل، خلوا بينهم و بينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب الله، و ندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا و إلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله». [٢٠]

قال نصر:فو الله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم و سقاة أهل الشام و رواياهم و روايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنسانا. [٢١]

سيرته مع اسارى صفين

في (الكنى و الأسماء) للعلامة الدولابي:بسنده عن يزيد بن بلال، قال:شهدت مع علي عليه السلام صفين، فكان إذا اتي بالأسير، قال عليه السلام:«لن أقتلك صبر، إني أخاف الله رب العالمين»و كان إذا أخذ الأسير أخذ سلاحه، و حلفه أن لا يقاتله، و أعطاه دراهم، و يخلي سبيله. [٢٢]

و روى الحديث العلامة المولى علي المتقي الهندي في كنز العمال عن يزيد بن بلال بعين ما تقدم عن الكنى و الاسماء إلا أنه قال:و يعطيه أربعة دراهم. [٢٣]

و عن (سنن البيهقي) عن أبي فاخته:أن عليا عليه السلام اتي بأسير يوم صفين، فقال:لا تقتلني صبرا.

فقال علي عليه السلام:«لا أقتلنك صبر، إني أخاف الله رب العالمين»فخلى سبيله، ثم قال :«أفيك خير تبايع؟!».

قال الشافعي:و الحرب يوم صفين قائمة و معاوية يقاتل جادا في أيامه كلها منتصفا أو مستعليا [٢٤] ،

و علي عليه السلام يقول لأسير من أصحاب معاوية:«لا أقتلكصبرا إني أخاف الله رب العالمين !». [٢٥]

و فيما يلي نورد بعض أخباره عليه السلام مع مخالفيه من الخوارج:

سيرته عليه السلام مع الخوارج

إن بالإمكان الادعاء بأن أية فئة لم تؤذ عليا عليه السلام بقدر ما آذته فئة الخوارج، إذ ملأوا قلبه قيح، و ذلك أنهم كانوا من شيعته، و على جباههم آثار السجود، إلا أنهم وقفوا بوجه الإمام و اتخذوا التحكيم الذي أصروا على تنفيذه ذريعة للخروج على علي عليه السلام ....

لقد كان هؤلاء اناسا متعصبين في دينهم غير أنهم جهلاء، فلم يكونوا على اتصال بالأجانب، غاية ما هناك أنهم فهموا الامور بغير وجهتها الصحيحة، و ظنوا بأفكارهم الساذجة أنهم يبتغون بهذا الخروج وجه الله تعالى!!!.

لقد أصر هؤلاء على علي عليه السلام أن يقر بأن التحكيم كان ذنب، و عليه أن يتوب منه، و لم يكن علي عليه السلام ليعترف بأن هذا ذنب اقترفه، بل كان يراه خطأ سياسيا فرض عليه من قبل الخوارج في صفين، و لم يرض الخوارج بهذا الرأي، و لذلك كانوا يعرضون بعلي عليه السلام و يصلون فرادى في المسجد الذي كان يصلي فيه جماعة.

و كانوا يتحركون في المسجد حينما يخطب، و يثيرون الضجة ليفسدوا مجالسة العلمية، و إذا ما قرأ في الصلاة كانوا ينسبون إليه الكفر و الشرك من خلال قراءتهم لبعض آيات القرآن ....

غير أن عليا عليه السلام مثال الحق، و وارث علوم الأنبياء، و الحاكم بالعدل، كان يصبر أمام كل هذه التحديات و التعريضات، و مع أن السلطة و قدرتها كانت بيده إلا أنهلم يبد أدنى رد فعل ضدهم رجاء أن ينتبه هؤلاء من غفلتهم و يتركوا طريق الانحراف الذي اختاروه، و يعودوا إلى الصواب، و لئلا يراق دم نتيجة هذه الأوضاع و لذلك كان يعظهم أحيان، و يجيبهم على اعتراضاتهم، و يبين لهم الحقيقة و لم يخرجهم من المساجد، و لا قطع عنهم عطاءهم، و لم يجد ذلك نفعا مع هؤلاء، و بلغ بهم جهلهم و حمقهم أن يخرجوا على علي عليه السلام في أربعة آلاف، فاجتمعوا عند النهروان، و شنوا حربا غير مدروسة ضد علي عليه السلام، فاستأصلهم و لم ينج منهم إلا تسعة نفر، و لم يقتل من جيش علي عليه السلام إلا تسعة شهداء على أشهر الروايات. [٢٦]

فلما انتهى الأمر هن، قال علي عليه السلام«لا تقتلوا الخوارج بعدي...» [٢٧] **و من أجل زيادة الإيضاح نورد نماذج من التصرفات المشينة للخوارج مع علي عليه السلام لتتجلى عظمة علي عليه السلام و صبره، و ليكون درسا و اسوة للجميع.**

مداراته عليه السلام الخوارج حينما اجتمعوا في الكوفة

قال ابن أبي الحديد نقلا عن الطبري في التاريخ:أن عليا عليه السلام لما دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج، و تخلف منهم بالنخيلة و غيرها خلق كثير لم يدخلوه، فدخل حرقوص بن زهير السعدي، و زرعة بن البرج الطائي - و هما من رؤوس الخوارج - على علي عليه السلام فقال له حرقوص:تب من خطيئتك، و اخرج بنا إلى معاوية نجاهده.

فقال له علي عليه السلام:«إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم، ثم الآن تجعلونها ذنبا؟ !أما إنها ليست بمعصية و لكنها عجز من الرأي، و ضعف في التدبير، و قد نهيتكم عنه».

فقال زرعة:أما و الله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك، أطلب بذلكوجه الله و رضوانه؟ !.

فقال له علي عليه السلام:«بؤسا لك ما أشقاك!كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح».قال زرعة :و ددت أنه كان ذلك، الحديث. [٢٨]

صورة اخرى

روى أبو جعفر الطبري، عن أبي رزين، قال:لما وقع التحكيم و رجع علي من صفين رجعوا مباينين له، فلما انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل علي في الناس الكوفة، و نزلوا بحر وراء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس و لم يصنع شيئ، فخرج إليهم علي عليه السلام فكلمهم حتى وقع الرضا بينه و بينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال:إن الناس قد تحدثوا أنك رجعت لهم عن كفرك، فخطب الناس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون:لا حكم إلا لله .و استقبله رجل منهم واضع إصبعه في أذنيه، فقال: (و لقد أوحي إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين) [٢٩] فقال علي عليه السلام: (فاصبر إن وعد الله حق و لا يستخفنك الذين لا يوقنون) . [٣٠]

سماحته عليه السلام و مداراته لهم لما واقفهم بالنهروان

روى ابن أبي الحديد عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، في (الكامل) ، قال:لما واقفهم علي عليه السلام بالنهروان، قال:«لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤوكم»فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

اقتلهم و لا أرى عليا

و لو بدا أو جرته الخطيا

فخرج إليه علي عليه السلام فضربه فقتله، فلما خالطه سيفه، قال:يا حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب:و الله ما أدري إلى الجنة، أم إلى النار؟!فقال رجل منهم من بني سعد:إنما حضرت اغترارا بهذا الرجل ـ يعني عبد الله ـ و أراه قد شك و اعتزل عن الحرب بجماعة من الناس، و مال ألف منهم إلى جهة أبي أيوب الأنصاري، و كان على ميمنة علي عليه السلام.

فقال علي عليه السلام لأصحابه:«احملوا عليهم، فو الله لا يقتل منكم عشرة و لا يسلم منهم عشرة»فحمل عليهم فطحنهم طحن، قتل من أصحابه عليه السلام تسعة، و ألفت من الخوارج ثمانية . (٣١)

تعليقات:

١.رتبيل:صاحب الترك.

٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٢٨.

٣.لا يذفف على جريح:أي لا يسارع في قتله.

٤.أصول الدين لأبي منصور التيمي البغدادي، ص ٢٨٤، نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٥٠.

٥.الخراج للقاضي أبي يوسف، ص ٢١٥.

٦.في نسخة:من آنية.

٧.السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٨١.

٨.تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٥.

٩.الامام علي صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٨٢.

١٠.الفلج، بوزن الفلس:الفوز و الظفر.

١١.السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٨٠.

١٢.الخراج لأبي يوسف، ص ٢١٥.

١٣.تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٥.

١٤.المراد أخوها محمد بن أبي بكر.

١٥.تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٧.

١٦.و كانت أم سلمة قد نصحت عائشة بعدم الخروج إلى علي عليه السلام فخالفتها.

١٧.التذكرة للعلامة سبط ابن الجوزي، ص ٨٠، و الإحقاق، ج ٨، ص ٦٥٧.

١٨.يريد عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

١٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٣٣٠.

٢٠.المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٠.

٢١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٣٣١.

٢٢.الاحقاق، ج ٨، ص ٦٦٢.

٢٣.كنزل العمال، ج ٧، ص ٣٤٥، ح ٣١٧٠٣.

٢٤.في سنن البيهقي، ج ٨، ص ١٨٢، عن الشيخ:قول الشافعي: (و معاوية يقاتل جادا...) معناه أنه كان يساويه ـ مرة في القتال و يعلوه اخرى، فكان فئة لهذا الأسير، و مع ذلك لم يقتله علي عليه السلام، و لم يستجز قتله، و قيل:منتصفا عند نفسه لدعواه أنه يطلب دم عثمان، و مستعليا غيره، لعلمهم بأن عليا عليه السلام كان بريئا من دم عثمان.

٢٥.السنن الكبرى للبيهقي، ج ٨، ص ١٨٢.

٢٦.اقتباس من نهج البلاغة، الخطبة ٥٨.

٢٧.نهج البلاغة، الخطبة ٦١.

٢٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٨.

٢٩.الزمر، ٦٥.

٣٠.تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٤، و الآية من الروم، ٦٠.

٣١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٢.

٣١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٢.

سيرته عليه السلام مع أهل الذمة

و فيما يلي نورد بعض النماذج من سيرته عليه السلام مع المخالفين من أهل الذمة:لقد كان علي عليه السلام تلميذ دين الإسلام حقا و رضع من ثدي النبوة علم، و ربي في حجر رسول الله صلى الله عليه و آله من الولادة إلى آخر حياة رسول الله صلى الله عليه و آله، و تعلم حقائق الإسلام منه صلى الله عليه و آله و هو وصيه و خليفته و وارث علمه، فلا يتوقع منه إلا أن يسير بسيرته صلى الله عليه و آله، و لذا كان من سيرته الرفق باليهود و النصارى من أهل الذمة، و التعامل معهم كما يتعامل مع المسلمين تحت ظل حكومته بميزان الحق و العدل، و هذا هو منطق الشرع المبين الأنور، فعلينا و على حكام الإسلام أن يقتدوا بسيرته.

نبذة مما ظهر من سيرته مع أهل الذمة

مما لا ريب فيه أن صفحات التاريخ مشرقة بالحكاية عن مروءة علي عليه السلام و رأفته و عفوه الذي يبديه لمخالفيه و معارضيه، و حتى لأولئك الذين ناصبوه العداء، و قتلوا أصحابه و مقربيه، و جيشوا الجيوش لمقاتلته، مستهدفين إضعاف حكومته و إسقاطه، إلى الحد الذي أثار اعتراض أصحابه و مؤيديه، و أذهل أعداءه و مخالفيه.

و لكنه عليه السلام كان يريد أن يفهم الناس مبادىء الإسلام المحمدي الأصيل، و أنه يقاتل لأجل هداية المجتمع و إصلاح الناس و ليس لطلب الحكم عليهم، و لهذا فإنه عليه السلام بلغ في مداراته لأعدائه حدا كلفه التضحية بنفسه، فالمهم لديه بقاء الإسلام و العدالة و حسب لا بقاء نفسه، و سنشير أدناه إلى الموارد الظاهرة منه في الخصوص:

قوله في دخول رجل من جيش معاوية على ذمية

قال علي عليه السلام بعد ما انقضت وقعة صفين و استولى معاوية على البلاد، و أكثرالقتل و الغارة في الأطراف:«و لقد بلغني أن الرجل منهم [١] ، كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهدة [٢] فينتزع حجلها [٣] و قلبها [٤] و قلائدها و رعاثها [٥] ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع [٦] و الاسترحام [٧] ، ثم أنصرفوا و افرين [٨] ما نال رجلا منهم كلم [٩] و لا اريق لهم دم، فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسف، ما كان به ملوم، بل كان به عندي جديرا». [١٠]

قال الشارح المعتزلي:هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، قد ذكرها كثير من الناس، و رواها أبو العباس المبرد في أول (الكامل) و أسقط من هذه الرواية ألفاظا و زاد فيها ألفاظ، و قال في

أولها:«إنه انتهى إلى علي عليه السلام أن خيلا وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملا له يقال له:حسان بن حسان، فخرج عليه السلام مغضبا يجر رداءه، حتى أتى النخيلة، [١١] و اتبعه الناس، فرقى رباوة [١٢] من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه صلى الله عليه و آله ثم قال:أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله الذل، و سيم الخسف»الخطبة. [١٣]

احتكامه إلى القاضي مع اليهودي

و من أظهر مظاهر عدله و مساواته أنه عليه السلام في عصر حكومته و ولايته، حضر مجلس القضاء، و جلس مع يهودي عند القاضي كما ذكرنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب و نذكره هنا تتميما للبحث.

روى ابن وكيع في (أخبار القضاة) بإسناده عن معاوية، عن ميسرة، عن شريح، قال:لما توجه علي عليه السلام إلى قتال معاوية افتقد درعا له، فلما رجع وجدها في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة، فقال عليه السلام«يا يهودي الدرع درعي، لم أهب و لم أبع»؟فقال اليهودي:درعي و في يدي، فقال عليه السلام:«بيني و بينك القاضي».

قال:فأتياني، فقعد علي عليه السلام إلى جنبي، و اليهودي بين يدي، و قال عليه السلام:«و لو لا أن خصمي ذمي لا ستويت معه في المجلس، و لكني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: [١٤] «اصغروا بهم كما أصغر الله بهم»، ثم قال:«هذه الدرع درعي لم أبع و لم أهب»، فقال لليهودي :«ما تقول؟»، قال:درعي و في يدي، قال شريح:يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟قال:«نعم الحسن ابني و قنبر يشهدان أن الدرع درعي».

قال شريح:يا أمير المؤمنين، شهادة الابن للأب لا تجوز.

فقال علي عليه السلام:«سبحان الله، أرجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟!سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة».

فقال اليهودي:أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، و قاضيه يقضي عليه، أشهد أن هذا الدين على الحق، و أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك ليل، و توجه مع علي عليه السلام يقاتل معهبالنهروان فقتل. [١٥]

أقول:هذا العمل من علي بن أبي طالب عليه السلام و هو حاكم المسلمين في ذلك العصر يدل على الديمقراطية الكاملة في حكومته، هل يمكن أن يرى في عصرنا هذا في بلاد العالم المدعي للديمقراطية مثل هذا؟!.

رسالة توبيخ منه عليه السلام

أرسل عليه السلام كتابا إلى عمر بن أبي سلمة الأرحبي يوبخه فيه لشدته مع أهل الذمة من دهاقين [١٦] فارس، جاء فيه:

«أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة و قسوة، و احتقارا و جفوة، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، و داول لهم بين القسوة و الرأفة، و امزج لهم بين التقريب و الإدناء، و الإبعاد و الإقصاء.إن شاء الله». [١٧]

خلاصة القول إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يغفل عن مراعاة حقوق أهل الذمة من اليهود و النصارى و المجوس الذين كانوا تحت ذمة الإسلام رغم قصر فترة حكومته التي دامت خمس سنوات، انقضت بالاختلافات الداخلية و المنازعات مع المارقين و القاسطين و الناكثين.و هذا يدل على تصرف ديمقراطي عادل لم تصله أو تطبقه أرقى النظم التي تدعي الديمقراطية في الوقت الحاضر، آملين من الحكومات الإسلامية و محبي الإسلام العزيز أن يجعلوا من تصرف أمير المؤمنين عليه السلام في حكومته قدوة لهم، لكي ينبهوا غير المسلمين على عدالة و سماحة ديننا الحنيف، و عند ما يدركون ذلك عمليا يتوجهون بقلوب عاشقة ملؤها الحب و الإخلاص للإسلام العزيز.

سيرته عليه السلام مع الغلاة

سبب نشأة الغلاة

كان علي عليه السلام مظهر العدالة، مظهر صفات الله، و كان جامعا للصفات الحسنة، فهو مغيث الفقراء و سندهم، و هو حاكم المجتمع العادل، كان يقسم ما في بيت المال بالسوية مساويا بين أسودهم و أبيضهم، عربهم و عجمهم، ساداتهم و مواليهم.

كان عابد الليل و شجاع النهار...كان شجعان ذلك العصر يخضعون له و يركعون أمامه و يهابونه، و رغم شجاعته هذه فإنه كان يئن لبكاء اليتيم، و لا يتمالك نفسه أمامه....

كان علي عليه السلام ثابتا على الصراط المستقيم، متفانيا في سبيل الله، و لا تأخذه في الله لومة لائم....

لقد كانت كل صفات جلاله و عظمته هذه تبهر عيون الناظرين، و تسلب لباب المتفكرين فيه، فشك فيه ضعاف الإيمان، و أوغل جماعة في الانحراف حيث لم يتحملوا هذه الصفات حتى شهروا السيوف بوجهه و قاتلوه، و أشعلوا نيران الحروب ضدة، و غلا فيه آخرون، و لما كانوا لم يعرفوا الله حق معرفته اعتقدوا بأن عليا عليه السلام هو الله!.

لم يكن علي هو الله، و إنما كان عبدا من عباد الله الصالحين، و إمام المسلمين، و حجة الله رب العالمين، عاملا بكتاب الله المبين، و سنة النبي صلى الله عليه و آله، لا يعصي الله و لا يخالفه طرفة عين، يكرم العباد الذين اتقو، و يغلظ على المارق و الناكث و القاسط كما وصف القرآن النبي الأعظم و أصحابه المتقين: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فإذا رأى الغالي يقول فيه ما ليس فيه يستتيبه، فإن لم يتب عاقبه أشد العقوبة، هكذا كان حاله مع الغلاة.

قال ابن أبي الحديد في سبب نشأة الغلاة:و بمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته و أحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غل، حتى نسب إلى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام، و قد أخبره النبي صلى الله عليه و آله بذلك، فقال:«يهلك فيك رجلان:محب غال، و مبغض قال».

و قال له تارة اخرى:«و الذي نفسي بيده، لو لا أني أشفق أن تقول طوائف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك مقالا لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة». [١٨]

أقول:لما أخبر الإمام عليه السلام بملأ من أصحابه في الخوارج قبل وقوع الحرب و قال:«مصارعهم دون النطفة، و الله لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منكم عشرة» [١٩] و وقع الأمر بعد الحرب بما قاله عليه السلام من غير زيادة و نقصان، زاد ذلك من غلو بعض أصحابه، و لم يدركوا أن ذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه و آله، و عرفه رسول الله صلى الله عليه و آله من جهة الله سبحان، و القوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذ، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره.

بدء ظهور الغلاة

قال الشارح المعتزلي:و أول من جهر بالغلو في أيامه عليه السلام عبد الله بن سبأ [٢٠] ، قام إليه و هو يخطب، فقال له:أنت، أنت، و جعل يكررها.

فقال له:«و يلك!من أنا»؟

فقال:أنت الله.فأمر بأخذه و اخذ قوم كانوا معه على رأيه.

و روى أبو العباس أحمد بن عبيد الله، عن عمار الثقفي، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه و عن غيره من مشيخته، أن عليا عليه السلام قال:«يهلك في رجلان، محب مطر يضعني غير موضعي و يمدحني بما ليس في، و مبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء».

و قال أبو العباس:و هذا تأويل الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه و آله فيه، و هو قوله صلى الله عليه و آله:«إن فيك مثلا من عيسى بن مريم، أحبته النصارى فرفعته فوق قدره، و أبغضته اليهود حتى بهتت أمه». [٢١]

ما فعله عليه السلام بأهل الغلو [٢٢]

قال الشارح المعتزلي عن أبي العباس، قال:و قد كان علي عليه السلام عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربهم، و جحدوا ما جاء به نبيهم، و اتخذوه ربا و إله، و قالوا:أنت خالقنا و رازقنا، فاستتابهم و توعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيه، طمعا في رجوعهم فأبو، فأحرقهم بالنار، و قال:

ألا ترون قد حفرت حفرا *** إني إذا رأيت أمرا منكرا

أوقدت ناري و دعوت قنبرا

و روى أصحابنا في كتب المقالات:أنه لما حرقهم، صاحوا إليه:الآن ظهر لنا ظهورا بينا أنك أنت الإله، لأن ابن عمك الذي أرسلته قال:«لا يعذب بالنار إلا رب العالمين». [٢٣]

و في شرح ابن أبي الحديد أيض، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، عن مشيخته:أن عليا عليه السلام مر بهم و هم يأكلون في شهر رمضان نهار، فقال:«أسفر أم مرضى؟»قالوا:و لا واحدة منهم، قال:«أفمن أهل الكتاب أنتم؟»، قالوا:ل، قال:«فما بال الأكل في شهر رمضان نهارا؟»

فقالوا:أنت، أنت!لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عليه السلام عن فرسه فألصق خده بالتراب، ثم قال:«ويلكم، إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله و ارجعوا إلى الإسلام»فأبو، فدعاهم مرار، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثم قال:«شدوهم وثاق، و علي بالفعلة و النار و الحطب»، ثم أمر بحفر

بئرين فحفرتا فجعل أحدهما سربا [٢٤] و الآخر مكشوفة، و ألقى الحطب في المشكوفة، و فتح بينهما فتح، و ألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، و جعل يهتف بهم، و يناشدهم:«إرجعوا إلى الإسلام»، فأبو، فأمر بالحطب و النار، و ألقى عليهم، فاحترقو، فقال الشاعر:

لترم بي المنية حيث شاءت *** إذا لم ترم بي الحفرتين

إذا ما جشتا حطبا بنار *** فذاك الموت نقدا غير دين

قال:فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حمما. [٢٥]

روى العلامة محب الدين الطبري بسنده عن عبد الله بن شريك العامري، عنأبيه، قال:أتي علي بن أبي طالب عليه السلام فقيل له:إن هاهنا قوما على باب المسجد يزعمون أنك ربهم.فدعاهم، فقال لهم:«ويلكم، ما تقولون»؟

قالوا:أنت ربنا و خالقنا و رازقنا.

قال:«ويلكم، إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، و أشرب كما تشربون، إن أطعته أثابني إن شاء الله تعالى، و إن عصيت خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله و ارجعوا»فأبوا فطردهم، فلما كان من الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال:و الله رجعوا يقولون ذاك الكلام، قال:«أدخلهم علي»، فقالوا له مثل ما قالو، و قال لهم مثل ما قال، و قال لهم:«إنكم ضالون مفتونون»فأبوا.

فلما أن كان اليوم الثالث أتوه، فقالوا مثل ذلك القول، فقال:«و الله لنن قلتم ذلك لأقتلنكم أخبث قتله»فأبوا إلا أن يموتوا على قولهم فخد لهم أخدودا بين باب المسجد و القصر، و أوقد فيه نار، و قال:«إني طارحكم فيها أو ترجعون»فأبو، فقذف بهم فيها. [٢٦]

روى العلامة المقدسي في (البدء و التاريخ) :فرقة تغلو غلوا شديد، و تقول قولا عظيم، و هم أصحاب عبد الله بن سب، يقال لهم:السبائية، قالوا لعلي عليه السلام:أنت إله العالمين، أنت خالقنا و رازقن، و أنت محيينا و مميتن، فاستعظم علي عليه السلام ذلك من قولهم و أمر بهم، فأحرقوا بالنار، فدخلوا النار و هم يضحكون و يقولون:الآن صح لنا أنك إله إذ لا يعذب بالنار إلا رب النار، و زعم إخوانهم بعد ذلك أنهم لم تمسهم النار، و إنما صارت عليهم بردا و سلام، كما صارت على إبراهيم عليه السلام و عند ذلك قال:

«إني إذا رأيت أمرا منكرا *** أججت نارا و دعوت قنبرا» [٢٧]

و في فرائد السمطين، بسنده عن عثمان بن المغيرة، قال:كنت عند علي ابن أبيطالب عليه السلام جالسا فجاءه قوم فقالوا:أنت هو، !قال:«من أنا»؟فقالوا:أنت هو، قال:«من أنا؟»، قالوا:أنت ربنا!فاستتابهم فأبوا و لم يتوبو، فضرب أعناقهم و دعا بحطب و نار فأحرقهم و جعل يرتجز و يقول:

«إني إذا رأيت أمرا منكرا *** أوقدت ناري و دعوت قنبرا» [٢٨]

ما جرى على عبد الله بن سبأ و نهاية أمر الغلاة

في شرح ابن أبي الحديد، عن أبي العباس، قال:ثم إن جماعة من أصحاب علي عليه السلام، منهم عبد الله بن عباس شفعوا في عبد الله بن سبأ خاصة، و قالوا:يا أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال:أين أذهب؟قال عليه السلام :«المدائن»، فنفاه إلى المدائن.

فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، و صارت له طائفة و فرقة يصدقونه و يتبعونه، و قال لما بلغه قتل علي عليه السلام:و الله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت، و لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، فلما بلغ ابن عباس ذلك، قال:لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، و لا قسمنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات:و اجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول، منهم :عبد الله بن صبرة الهمداني، و عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، و آخرون غيرهم، و تفاقم أمرهم و شاع بين الناس قولهم، و صار لهم دعوة يدعون إليه، و شبهة يرجعون إليه، و هي ما ظهر و شاع بين الناس من إخباره بالمغيبات حالا بعد حال، فقالوا:إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى، أو من حلت ذات الإله في جسده.

و لعمري إنه لا يقدر على ذلك إلا باقدار الله تعالى إياه عليه، و لكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الإله، أو تكون ذات الإله حالة فيه، و تعلق بعضهمبشبهة ضعيفة، نحو قول عمر، و قد فقأ علي عليه السلام عين إنسان ألحد في الحرم:ما أقول في يد الله فقأت عينا في حرم الله!و نحو قول علي عليه السلام:«و الله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، بل بقوة إلهية».

و نحو قول رسول الله صلى الله عليه و آله:«لا اله إلا الله وحده، صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده»، و الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم و فارسهم عمر، لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم. [٢٩]

تعليقات:

١.الرجل منهم:أي من جيش معاوية.

٢.المعاهدة:الذمية.

٣.الحجل بالكسر و بالفتح و بالكسرتين:الخلخال.

٤.القلب بضمتين جمع قلب بالضم و السكون:السوار المصمت.

٥.الرعث بضم الراء و العين جمع رعاث، و رعاث جمع رعثة:و هو ضرب من الخرز.

٦.الاسترجاع:ترديد الصوت بالبكاء مع القول:إنا لله و إنا إليه راجعون.

٧.الاسترحام:أي تناشده الرحمة.

٨.و افرون:تامون على كثرتهم لم ينقص عددهم.

٩.الكلم بالفتح:الجرح.

١٠.شرح نهج البلاغة الخطبة ٢٧.

١١.النخيلة:اسم موضع خارج الكوفة.

١٢.الرباوة:اسم لكل ما ارتفع من الأرض.

١٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٧٥.

١٤.و في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج ١٦، ص ٣٦.روى الحديث عن أبراهيم التيمي إلى أن قال:قال عليه السلام:«و لكني سمعت رسول الله يقول:لا تساووهم في المجلس، و لا تعودوا مرضاهم، و لا تشيعوا جنائزهم، و اضطروهم إلى ضيق الطرق، و إن سبقوكم فاضربوهم، و إن ضربوكم فاقتلوهم»ثم نقل نحو باقي الحديث.

١٥.أخبار القضاة، ج ٢، ص ٢٠٠.

١٦.الدهاقين، جمع دهقان، رئيس القرية أو الأقليم، و تطلق على التجار و أرباب الأملاك.

١٧.راجع شرح ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٣٧.

١٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٤، ذيل خطبته عليه السلام، ٥٨.

١٩.نهج البلاغة، الخطبة ٥٩.

٢٠.عبد الله بن سبأ:رأس الطائفة السبئية، نقل ابن حجر عن ابن عساكر الشافعي في تاريخه :كان أصله من اليمن و كان يهوديا فأظهر الإسلام، و طاف بالمسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة عليهم السلام و يدخل بينهم الشر، و دخل دمشق لذلك.و سيأتي أنه شفعه عبد الله بن عباس و غيره فأطلقه عليه السلام و نفاه إلى المدائن.لسان الميزان، ج ٢، ص ٢٨٤.

٢١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٥.

٢٢.و في الوسائل، عن رجال الكشي، بإسناده عن عبد الله بن سنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال:«إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، و كان يزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله ـ تعالى عن ذلك ـ فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه فسأله فأقر، و قال:نعم أنت هو، و قد كان القي في روعي أنك أنت الله و أنا نبي.فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :و يلك، قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذ ـ ثكلتك أمك ـ و تب»فأبى، فحبسه، و استتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأخرجه فأحرقه بالنار، الوسائل، ج ١٨، ص ٥٥٤.

٢٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٥.

٢٤.السرب، بفتحتين:الحفير تحت الأرض.

٢٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٦.

٢٦.ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، ص ٩٣.

٢٧.البدء و التاريخ، ج ٥، ص ١٢٥، نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٦٤٦.

٢٨.فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٤، رقم ١٣٦.

٢٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٦.

٢٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٦.

سيرته عليه السلام مع عماله

كان علي عليه السلام حاكما بالحق عادل، و ما الحكومة لديه إلا أمانة و ليست مسرحا للاستغلال و آلة لتحقيق المآرب، فهو يخاطب الأشعث بن قيس عامله على أذربايجان و يقول:«و إن عملك ليس لك بطعمة، و لكنه في عنقك أمانة». [1]

و من المتيقن أن عليا عليه السلام كان ينصب الولاة من أجل خدمة المجتمع و إدارة النظام الإسلامي على أحسن وجه، و الرأفة بالرعية و تأمين الرفاه لهم، و لم يكن علي عليه السلام ليأخذ القرابة بنظر الاعتبار، أو ينصب فلانا بدافع العلاقات العائلية و الرحمية أبدا ....

لم يكن يتبع الألا عيب السياسية وسيلة لبقائه في الحكم أطول مدة ممكنة، و لم يكن يتأثر بالشائعات و الأوضاع المفتعلة، و لم يستسلم أمام الضغوط، و إنما كان يجعل الله نصب عينيه، و لا يفكر إلا في مصلحة الرعية، فعند ما يرى أن المصلحة تقتضي عزل معاوية فإنه يصدر الأمر بعزله بالرغم من ممانعة من حوله و طلبهم منه إبقاءه في منصبه، فهو لم يرضخ لمطالبهم حتى و إن أدى الأمر إلى اشتعال نار الحرب و أدى ذلك إلى مقتله.

علي مع الحق و الحق مع علي، فحيثما كان الحق كان علي، بل حيثما كان علي كان الحق، فلم يكن يرضى أن يظلم حاكم الرعية، و ما أن يعلم أن حاكما قد ظلم في حكمه حتى يعزله عن الولاية و الحكومة، و ربما وبخه على فعله، و قد يحبسه و يعزره ليعلم جميع الحكام في البلاد الإسلامية أن عليا لا يرضى إلا برضى الله و بما يؤمن مصلحة المجتمع و لا يحب غير ذلك.و ترى حاله يتغير في بعض الأحياء إذا ما سمع بأن أحد عماله قد ظلم، فيتوجه إلى الله تعالى طالبا منه العفو و المغفرة، و أنه لم يرسله ليظلم الناس إنما بعثه ليعدل بينهم.

كان علي عادل، و كان يتخذ قراره بما يناسب حجم مخالفة عماله، فإذا رأى أن هذه المخالفة بسيطة قد يكفيها التذكير و الموعظة فعل ذلك، كما فعل ذلك مع عثمان بن حنيف حيث اكتفى بإرسال كتاب له، و إن كان البعض يرى أنه عزله عن منصبه.

و إذا ما اتبعت الحكومات الإسلامية ـ التي تدعي التزامها بالإسلام ـ سيرة علي عليه السلام مع المخالفين من عماله، فيثيبوا العامل الخدوم، و يعاقبوا المخالف المؤذي للناس، فإن المسلمين لا يبقون اسارى رتابة الدوائر، حيارى لا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلو، و ما هو الطريق الواجب اتباعه لتتم معاملاتهم، و لما سارت امورهم بهذا البطء.

يأمر عماله على البلاد بالرأفة و يحذرهم من التعدي

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) :و لا يخص عليه السلام بالولايات إلا أهل الديانات و الأمانات، و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه:«قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين و ما أنا عليكم بحفيظ) [٢] ، إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك»، ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول:«أللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقك» . [٣]

روى العلامة الزمخشري في (ربيع الأبرار) قال:و قال علي عليه السلام لعامله:«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، و لا تروعن مسلم، و لا تجتازن عليه كاره، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غيرأن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة و الوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، و لا تخدج التحية لهم، ثم تقول :عباد الله أرسلني إليكم ولي الله و خليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟فإن قال قائل:ل، فلا تراجعه، و إن أنعم لكم منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول تسلط عليه و لا عنيف به، و لا تنفرن بهيمة و لا تفزعنها و لا تسوأن صاحبها فيه». [٤]

و فيه أيضا:و قال عليه السلام للأشتر حين ولاه مصر:«و اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلم غير متعتع [٥] ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول في غير موطن:لن تقدس أمة لا يؤخذ لضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع، ثم احتمل الخرق منهم و العي [٦] ، و نح عنك الضيق [٧] و الأنفة [٨] ، يبسط الله عليك أكناف رحمته [٩] ، و يوجب لك ثواب طاعته». [١٠]

نبذة يسيرة من سيرته مع عماله

منها:توبيخ عثمان بن حنيف

في (نهج البلاغة) :من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، و هو عامله‌على البصرة، و قد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها:«أما بعد:يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، و غنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب وجهه فنل منه.

ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدي به، و يستضيء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد، و عفة و سداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبر، و لا ادخرت من غنائمها و فر، و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا»إلى أن قال:

«و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص و لا عهد له بالشبع!أو أبيت مبطانا و حولي بطون غرثى و أكباد حرى!أو أكون كما قال القائل:

و حسبك داء أن تبيت ببطنة *** و حولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال:أمير المؤمنين، و لا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»الحديث. (١١)

و في تعليقة (إحقاق الحق) روي عن الهمداني في (ذخيرة الملوك) :أن عليا عليه السلام عزله عن الحكومة. (١٢)

فتأمل في هذا الكتاب الشريف، و انظر إلى سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في مطعمه و ملبسه حينما كان متصديا للولاية العامة، و كانت في قبضته الأموال العامة و بيت مال المسلمين، و انظر إلى أنه مع كون المسافة بين الكوفة و البصرة مسافة بعيدة، ولم تكن توجد في تلك الأعصار ما يوجد اليوم من أجهزة الاتصالات، كيف كان أمير المؤمنين عليه السلام يتطلع على أحوال أمرائه و عماله، و كيف كان يناقشهم في امور جزئية تبلغه عنهم.

و منها:قصة سودة بنت عمارة

في (الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي:بسنده عن سودة بنت عمارة الهمدانية (رحمة الله عليها) :أنها قدمت على معاوية بعد موت علي عليه السلام فجعل معاوية يؤنبها على تعريضها [١٣] عليه في أيام قتال صفين، ثم أنه قال لها:ما حاجتك؟

فقالت:إن الله تعالى مسائلك عن أمرن، و ما فرض عليك من حقن، و ما فوض إليك من أمرن، و لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمقامك، و يبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، و يدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، و يذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطأه قد قدم علينا فقتل رجالن، و أخذ أموالن، و لو لا الطاعة لكان فينا عز و منعة، فإن عزلته عنا شكرناك، و إلا فإلى الله شكوانا.

فقال معاوية:إياي تعنين، و لي تهددين بقومك!لقد هممت يا سودة أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه، فينفذ حكمه فيك، فأطرقت سودة، ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمنه *** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا *** فصار بالحق و الإيمان مقرونا

فقال معاوية:من هذ، يا سودة؟.

فقالت:هذا و الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتن، فجار علين، فصادفته قائما يريد صلاة، فلما رآني انفتل من صلاته، ثم أقبل علي بوجه طلق، و رحمة و رفق، و قال:«لك حاجة»فقلت:نعم، و أخبرته بالأمر، فبكى، ثم قال:«أللهم أنت الشاهد علي و عليهم أني لم آمرهم بظلمخلقك و لا بترك حقك»ثم أخرج من جيبه قطعة جلد و كتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) [١٤] ، و إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى نقدم عليك من يقبضه و السلام»ثم دفع إلي الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولا.

فقال معاوية:اكتبوا لها بما تريد، و اصرفوها إلى بلدها غير شاكية. [١٥]

و منها:جعله هدايا أحد العمال في بيت المال

روى العلامة ابن وكيع في (أخبار القضاة) بسنده عن علي بن ربيعة:أن عليا عليه السلام استعمل رجلا من أسد، يقال له:ضبيعة بن زهير، فلما قضى عمله أتى عليا عليه السلام بجراب فيه مال،

فقال:يا أمير المؤمنين، إن قوما يهدون لي حتى اجتمع منه مال، فها هوذا؟قال:فإن كان لي حلال أكلته، و إن كان غير ذاك فقد أتيتك به؟فقال علي عليه السلام:«لو أمسكته لكان غلولا»فقبضه منه و جعله في بيت المال. [١٦]

و منها:عزله أبا الأسود عن القضاء

قال العلامة ابن الأخوة:يحكى أن علي بن أبي طالب عليه السلام ولى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثم عزله، فقال له:لم عزلتني، فو الله ما خنت و لا خونت؟.

قال عليه السلام:«بلغني أن كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك». [١٧]

تعليقات:

١.نهج البلاغة، الكتاب ٥.

٢.الآيات من يونس، ٥٧، الأعراف، ٨٥، الشعراء، ١٨٣، هود، ٨٦.

٣.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٧ دار إحياء التراث العربي.

٤.ربيع الأبرار ج ٣، ص ٧٧ و قوله:«لا تخدج التعية لهم»أي أتمها و لا تنقصها.

٥.التعتعة في الكلام:التردد فيه من حصر أو عي، و المراد غير خائف.

٦.العي بالكسر:العجز عن النطق.

٧.الضيق:ضيق الصدر لسوء الخلق.

٨.الأنفة:الاستنكاف و الاستكبار.

٩.أكناف الرحمة:أطرافها.

١٠.ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٧٨.

١١.نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

١٢.الإحقاق، ج ٨، ص ٥٤٩.

١٣.كذا في المصدر و الظاهر أنه:تحريضها.

١٤.الأعراف، ٨٥.

١٥.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٩.

١٦.أخبار القضاة، ج ١، ص ٥٩، نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٩.

١٧.معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٠٣، نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٨.

١٧.معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٠٣، نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٨.

سيرته عليه السلام مع التجار و أصحاب الحرف

اعلم أن التجارة شغل شريف لكونها وسيلة لتبادل المواد الأولية و المنتجات الصناعية و المحاصيل الزراعية و الحيوانية، و هذا التبادل ركن الحياة الاجتماعية و نظام الحيوية المدنية، و لذا وردت في مدحه أخبار كثيرة و حث على مزاولتها في الشرع الإسلامي.

ففي (الخصال) بسنده عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:«قال رسول الله صلى الله عليه و آله:البركة عشرة أجزاء، تسعة أعشارها في التجارة». [١]

و كفى في فضل التجارة أنها كانت شغل النبي صلى الله عليه و آله قبل أن يبعث نبيا عليه السلام، فقد سافر إلى الشام في التجارة مع عمه أبي طالب، ثم صار يتاجر لخديجة بنت خويلد، و سافر إلى الشام للتجارة مرة اخرى، و قد أعجبت بتجارته و أمانته، فطلبت منه أن يتزوجها .

عهده إلى مالك الأشتر في أمر التجار و أصحاب الحرف

حينما ولي علي عليه السلام أمر الحكومة توجه إلى أهل السوق و التجار و ذوي الصناعات، يوصيهم بما هو من صحيح واجبهم و كذا يوصي ولاته برعاية حقوقهم، و المنع عن الخلاف، و في عهده عليه السلام المعروف إلى مالك الأشتر النخعي، قال:

«ثم استوص بالتجار و ذوي الصناعات، و أوص بهم خير، المقيم منهم و المضطرب بماله [٢] و المترفق [٣] ببدنه، فإنهم مواد المنافع و أسباب المرافق [٤] و جلابها من المباعدو المطارح [٥] في برك و بحرك، و سهلك و جبلك، و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها [٦] ، و لا يجترؤون عليه، فإنهم سلم لا تخاف بائقته [٧] ، و صلح لا تخشى غائلته [٨] ، و تفقد امورهم بحضرتك و في حواشي بلادك، و اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا، و شحا قبيحا [٩] و احتكارا [١٠] للمنافع، و تحكما [١١] في البياعات، و ذلك باب مضرة للعامة، و عيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله منع منه، و ليكن البيع بيعا سمحا [١٢] بموازين عدل، و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع [١٣] ، فمن قارف [١٤] حكرة [١٥] بعد نهيك إياه فنكل [١٦] به و عاقبه في غير إسراف [١٧] » [١٨] .

نظرة في عهده عليه السلام إلى الأشتر النخعي

و قد وصف علي عليه السلام في عهده إلى الأشتر، التجار بما لا مزيد عليه من خدمتهمفي المجتمع الإنساني، و حمايتهم للمدنية البشرية، فقال:

أولا:«و المضطرب بماله»أي من يجعل ماله متاعا يدور به في البلاد البعيدة، يقطع المفاوز و يعرض نفسه للأخطار، ليوصل حوائج كل بلد إليه.

و قال ثانيا:«فإنهم مواد المنافع و أسباب المرافق»فقد اهتمت الدول الراقية، و الشعوب المتقدمة في هذه العصور بأمر التجارة و أدركوا حقيقة ما أفاده عليه السلام في هذه الجملة القصيرة قبل قرون طويلة من أن التجارة مواد المنافع.و قد أبلغ عليه السلام في ما أفاده بما للتجارة من الأهمية في أمر الاقتصاد، حيث جاء بكلمة المواد جمعا مضافا مفيدا للعموم، و بكلمة المنافع جمعا معرفا باللام مفيدا للاستغراق، فأفاد أن كل مادة لكل منفعة مندرجة في أمر التجارة، فالتجارة تحتاج إلى ما يتجر به من الأمتعة، و إلى سوق تباع فيه تلك الأمتعة، ثم يؤخذ بدلها متاع آخر، و يبدل بمتاع آخر فيستفاد من هذه المبادلات كلها أرباحا.

و قد بلغت أهمية التجارة في أعصارنا الحاضرة حدا بحيث صارت محورا للسياسة العامة للدول الكبيرة، و صار حمل مواردها من النفط، و الذهب، و الفضة و المحاصيل الزراعية إلى البلاد الاخرى أساسا لسياستها و مثارا للحروب الهائلة و مدارا للمعاملة مع الشعوب و سببا للتسلط على الشعوب المستضعفة.

و قد نبه علي عليه السلام في عهده على أن الروابط التجارية سبب استقرار السلم و الصلح بين أفراد الامة و المجتمع و بين الشعوب، فقال عليه السلام:«فإنهم سلم لا تخاف بائقته، و صلح لا تخشى غائلته»فيالها من جملة ذهبية حية في هذه القرون المعاصرة حيث يتعطش العالم إلى استقرار السلم العالمي بين الشعوب، و لا يخفى أنه فسر البائقة بالداهية، و هذا يعني أن التجارة الحرة السالمة ليس فيها دهاء و مكر و سوء قصد من قبيل الاستعمار و التسلط، بل فيها صلح ليس وراءه مضرة و هلاك.

و أما أمره عليه السلام بتفقد أحوال التجار و الإشراف عليهم بقوله:«تفقد أمورهم بحضرتك ...»فهو تتمة لوصيته بهم بالخير، لحماية رؤوس أموالهم من التلف، و السرقة من قبل اللصوص، و هذه توصيته بإقرار الأمن في البلاد و في طرق التجارةبحرا و بر، و قد التفتت الامم الراقية إلى ذلك، فاهتموا باسقرار الأمن في البلاد و الطرق، و بحفظ رؤوس الأموال التجارية عن المكائد الدسائس المهلكة لها.

ثم نبه عليه السلام في عهده إلى خطر في أمر التجارة يتوجه إلى عامة الناس المحتاجين في معاشهم إلى شراء الأمتعة من الأسواق، و هو مرض الشح و البخل و طلب الادخار و الاستكثار من المال، الكامن في طبع كثير من التجار، فإنه يؤول إلى الاستعمار و التسلط على اجور الزراع و العمال، و قد ينتهي إلى أن يؤخذوا عبيدا و أسرى لأصحاب رؤوس الأموال، فوصفهم بقوله عليه السلام:«إن في كثير منهم ضيقا فاحشا»أي حبا عظيما لجلب المنافع و ازدياد صيد الأموال المختصة به، و ربما بلغ حد الجنون و لا يكتفي بالمليارات.

«و شحا قبيحا»يمنع من بذل ما يزيد على حاجته، و لا يقدر على حفظه و حصره لعامة الناس.

«و احتكارا للمنافع»بلا حد و لا حساب، فيكون حاله كجهنم كلما قيل لها:هل أمتلأت؟تقول:هل من مزيد؟

«و تحكما في البياعات»أي يؤول ذلك الحرص الجهنمي إلى تشكيل الشركات الجبارة، فيجمعون حوائج الناس بمكائدهم و قوة رؤوس أموالهم و يبيعونها بأي سعر أرادو، و بأي شروط خبيثة تحفظ مزيد منافعهم، و تقهر الناس و تشدد سلاسل مطامعهم و مظالمهم على أكتافهم، و لذا استنتج عليه السلام من ذلك مفسدتين مهلكتين:

الاولى:قوله:«و ذلك باب مضرة للعامة»و أي مضرة أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي أصحاب رؤوس الأموال مصاصي دماء الناس.

الثانية:قوله:«و عيب على الولاة»و أي عيب أقبح من تسليم الامة إلى هذا الأسر المهلك؟

فشرع علي ع في بيان كيفية محاربة هذه المفاسد بقوله:«فامنع من الاحتكار»المنع من الاحتكار للمنافع و البضائع، [١٩] يعني كما لا يجوز احتكار البضائع طلبا لزيادة الربح، فكذا لا يجوز احتكار المنافع، المقصود منه الحرص على أخذ الأرباح و المنافع من التجارات زائدا عن المقدار المشروع، بحيث يؤدي هذا الحرص و الطمع إلى تشكيل الشركات و القيام بالاحتكارات التي شاعت في هذه العصور، و مال إليها أرباب رؤوس الأموال الهامة في الشركات النفطية و المعدنية.

مراقبة السوق و نصيحة التجار

في (الاستيعاب) عن أبحر بن جرموز، عن أبيه، قال:رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام يخرج من مسجد الكوفة و عليه قطريتان متزرا بالواحدة و مرتديا بالاخرى، و إزاره إلى نصف الساق، و هو

يطوف في الأسواق، و معه درة، يأمرهم بتقوى الله و صدق الحديث، و حسن البيع، و الوفاء بالكيل و الميزان. [٢٠]

و روى أبو إسحاق الثقفي الكوفي في (الغارات) عن أبي سعيد، قال:كان علي عليه السلام يأتي السوق فيقول:«يا أهل السوق، اتقوا الله، و إياكم و الحلف، فإنه ينفق السلعة، و يمحق البركة، فإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق و أعطاه، و السلام عليكم.» [٢١]

و روى أيض، بسنده عن الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، عن علي بن أبيطالب عليه السلام أنه دخل السوق فقال:«يا معشر اللحامين، من نفخ منكم [٢٢] في اللحم فليس منا»فإذا هو برجل موليه ظهره، فقال:كلا و الذي احتجب بالسبع، فضربه علي عليه السلام على ظهره ثم قال:«يا لحام، و من الذي احتجب بالسبع؟»، قال:رب العالمين، يا أمير المؤمنين، فقال له:«أخطأت ثكلتك امك، إن الله ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنه معهم أينما كانوا»، فقال الرجل:ما كفارة ما قلت، يا أمير المؤمنين؟قال:«أن تعلم أن الله معك حيث كنت»، قال :اطعم المساكين؟قال:«ل، إنما حلفت بغير ربك». [٢٣]

و رواه أيضا:بسنده عن النعمان بن سعد، عن علي عليه السلام، قال:كان علي عليه السلام يخرج إلى السوق و معه الدرة فيقول:«اللهم إني أعوذ بك من الفسوق، و من شر هذه السوق». [٢٤]

روى ابن حزم في (المحلى) بسنده عن أبي حكم:أن علي بن أبي طالب عليه السلام أحرق طعاما احتكر بمائة ألف. [٢٥]

و روى فيه أيضا:عن حبيش، قال:أحرق لي علي بن أبي طالب عليه السلام بيادر بالسواد كنت احتكرته، لو تركها لربحت فيها مثل عطاء الكوفة [٢٦] .

سيرته عليه السلام في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أهم الفرائض التي حث عليهما القرآن و السنة، بل عليهما يبتني بقاء أساس الدين و استمرار الرسالة النبوية و حفظ نظام المسلمين، و هذه الفريضة شرعت لجميع المسلمين و هي باقية إلى يوم القيامة، و قد اعتبر جميع المسلمين مسؤولين إجمالا عن تطبيقها و نشرها و حفظه، و من هنا كان على الامة الاسلامية و خصوصا إمامها و ممثلها أن تراقب بكل وجودها أوضاع المجتمع، و أن تجد في نشر المعروف و بذر الخير، و تعمل على قلع جذور الشر و إنكاره.

و قد بلغت هذه الفريضة من الأهمية حدا جعلها أمير المؤمنين عليه السلام فوق الجهاد و جميع أعمال البر بمراتب، فقال عليه السلام في نهج البلاغة:«و ما أعمال البر كلها و الجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلا كنفثة [٢٧] في بحر لجي [٢٨] ، و إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق، و أفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر». [٢٩]

و عدهما عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة من شعب الجهاد، فعن أبي جحيفة، قال:سمعت أمير المؤمنين ع يقول:«إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهادبأيديكم، ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفا و لم ينكر منكر، قلب فجعل أعلاه أسفله و أسفله أعلاه» . [٣٠]

و السر في ذلك أن قوام كل الفرائض و بقاءها رهين بإقامة هاتين الفريضتين، مضافا إلى أن الجهاد كفاح خارجي، و لا أثر له و لا أهمية ما لم يصلح الداخل، فالواجب أولا تطهير الداخل و إصلاحه، ثم الإقدام على إصلاح الخارج. [٣١]

صور من أمره عليه السلام بالمعروف و نهيه عن المنكر

في (التراتيب الإدارية) للكتاني، عن مسند عبد بن حميد، عن مطرف، قال:خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي:«ارفع إزارك فانه أنقى لثوبك و أبقى له»فمشيت خلفه و هو بين يدي مؤتزر بإزار، مرتد برادء و معه الدرة كأنه أعرابي بدوي، فقلت:من هذا؟.

فقال لي رجل:هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، حتى انتهى إلى الإبل، فقال :«بيعوا و لا تحلفو، فإن اليمين تنفق السلعة و تمحق البركة»، ثم أتى إلى أصحاب التمر فإذا خادم يبكي فقال:«ما يبكيك؟»، قال:باعني هذا الرجل تمرا بدرهم فرده علي مولاي، فقال له علي عليه السلام:«خذ تمرك و أعطه درهمه، فإنه ليس له من الأمر شيء»فدفعه. [٣٢]

و روى الحديث في الغارات، و كذا كنز العمال في باب فضائل الصحابة عن أبي مطر مع تفاوت في بعض ألفاظه. [٣٣]

عن العلامة المطرزي (المداخل في اللغة) :قال ابن الأعرابي:و منه خبر عمر بنالخطاب أنه كان يطوف بالبيت فقال له رجل:يا أمير المؤمنين إن عليا لطم عيني؟فوقف عمر حتى جاءه علي عليه السلام فقال:يا أبا الحسن ألطمت عين هذا؟قال:«نعم، يا أمير المؤمنين»، قال:و لم، يا أبا الحسن،

قال:«لأني رأيته ينظر إلى حرم المسلمين في الطواف»، فقال له عمر:أحسنت، ثم أقبل على الملطوم:فقال له:وقعت عليك عين من عيون الله تعالى.

قال أبو العباس ثعلب:فسألت ابن الأعرابي عنه، فقال:خاصة من خواص الله تعالى، و ولي من أوليائه، و حبيب من أحبائه. (٣٤)

تعليقات:

١.الخصال، ج ٢، ص ٤٤٥، باب العشرة، ح ٤٤، و وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣.

٢.المضطرب بماله:المتردد به بين البلدان.

٣.المترفق:المكتسب.

٤.المرافق:ما ينتفع به من الأدوات و الآنية.

٥.المطارح:الأماكن البعيدة.

٦.أي لا يمكن التئام الناس و اجتماعهم في مواضع تلك الموافق من تلك الأمكنة.

٧.البائقة:الداهية.

٨.الغائلة:الشر.

٩.الضيق:عسر المعاملة، و الشح:البخل مع حرص، فهو أشد من البخل.

١٠.الاحتكار:حبس الطعام و المنافع عن الناس عند الحاجة إليه، و لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.

١١.التحكيم في البياعات:التطفيف في الوزن و الزيادة في السعر.

١٢.المسامحة:المعاملة السهلة التي لا ضيق فيها و لا حرج.

١٣.المبتاع:المشتري.

١٤.قارف:خالط، قارف الذنب و غيره:إذا داناه و لا صقة.

١٥.الحكرة، بالضم:الاحتكار.

١٦.فنكل به:أي أوقع به النكال و العذاب، عقوبة له.

١٧.في غير إسراف:من غير تجاوز حد العدل.

١٨.نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

١٩.الاحتكار في الفقه هو احتكار الأطعمة، و يبحث الفقه حرمته أو كراهته مطلق، أو في بعض البضائع و السلع و هو حكم خلافي، و احتكار المنافع الذي عبر عنه الإمام عليه السلام في كلامه هو الحرص على تحصيل الأرباح و المنافع الزائدة عن الحد المشروع.إلى تشكيل الشركات و القيام بالاحتكارات، و ضرب الانحصارات التي شاعت في هذه العصور، فإنه عليه السلام منع من هذا النوع من الاحتكار، فإنه أقبح شيء في الأسواق كما شاهدنا اليوم في الدول الراقية .

٢٠.الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٢١.الغارات، ج ١، ص ١٠٩.

٢٢.النفخ في اللحم يحتمل وجهين الاول:ما هو الشائع من النفخ في الجلد لسهولة السلخ، و الثاني:التدليس الذي يفعله بعض الناس من النفخ في الجلد الرقيق الذي على اللحم ليرى سمينا و هذا أظهر.

٢٣.الغارات، ج ١، ص ١١١.

٢٤.المصدر السابق، ج ١، ص ١١٣.

٢٥.المحلى لابن حزم الاندلسي، ج ٦، ص ٦٥.

٢٦.المصدر السابق، ج ٦، ص ٦٥.

٢٧.النفثة كالنفخة:يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ.

٢٨.بحر لجي:كثير الموج.

٢٩.نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٦٦.

٣٠.المصدر السابق، ص ١٢٥٤، قصار الحكم ٣٦٧.

٣١.انظر دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢١٣ - ٢١٥.

٣٢.التراتيب الإدارية للشيخ عبد الحي الكتاني، ج ١، ص ٢٨٩.

٣٣.الغارات، ج ١، ص ١٠٤، كنز العمال، ج ١٣، ص ١٨٣، ح ٣٦٥٤٧.

٣٤.المداخل في اللغة، ص ٦٩ للمطرزي، نقلا عن الاحقاق.

٣٤.المداخل في اللغة، ص ٦٩ للمطرزي، نقلا عن الاحقاق.

علي عليه السلام و إعانة المظلوم

لقد كان لعلي عليه السلام في أيام خلافته و باقى حايته المباركة من الصفات ما لم يكن في عالم الوجود إلا لرسول الله صلى الله عليه و آله، و إذا نظرنا إلى تاريخ النماذج البشرية العلي، و الحكومات العادلة في تاريخ الدني، فلا يمكن أن نقف على من تمتع بتلك الصفات التي تمتع بها علي عليه السلام في أيام خلافته...نعم، يمكن أن نرى بعض الخصائص في بعض الحكام العادلين، لكن لا يمكن أن نرى ما كان لعلي عليه السلام على مدى سنوات حكمه الخمس من كل تلك الفضائل و الآثار النفيسة التي تمثلت في اسلوب حياته و سلوكه، بحيث طغى نوره في كل خصلة حميدة، و من هنا كان علي عليه السلام قدوة لكل إنسان عادل و حاكم مقسط.

و إن كون علي عليه السلام مرجعا للقضاء و الفصل في المنازعات التي كانت تقوم في أيام حكومته إحدى خصائصه البارزة، فقد كان يأخذ بحق المظلومين بنفسه، و يتابع مشاكل الناس، بل و قد يقوم بأعمال البعض بنفسه إن سمحت له الفرصة...ربما خرج يتمشى جنب داره حين، و اخرى يمشي في الأسواق ليعظ الناس، و يجلس ثالثة في المسجد لينصر مظلوما و يأخذ بحقه من الظالم، و قد يذهب بنفسه مع المظلوم من أجل حل معضلته، و لم يكن الحر و القر أو الليل و النهار ليقف عائقا بوجه علي عليه السلام، و هو يؤدي أعماله هذه، فهل سنجد في زاوية في العالم أو على صفحة من صفحات التأريخ حاكما كعلي عليه السلام نذر نفسه لخدمه الناس و يرى في كل مكان من أماكن المجتمع، لا يخشى غدر الخائنين و كيد الأعداء، و يقف إلى جانب المظلوم ضد الظالم بكل قوة؟و لا عجب من ذلك، فهو الذي يقول:«كونوا للظالم خصم، و للمظلوم عونا» .لا شك في أننا سوف لا نجد مثيلا له، و لم ير التأريخ له نظيرا.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله *** إن الزمان بمثله لعقيم

موارد مما ظهر من إعانة المظلوم و إغاثة اللمهوف

كان علي عليه السلام في مدى حكومته و حين قدرته معينا للمظلوم، مغيثا للملهوف، و خصما للظالم، و الموارد التي شهدت و تشهد بأفعال علي عليه السلام هذه، كثيرة، اشير إلى بعضها في طيات الفصول المختلفة، و نحن نشير هنا إلى صورة منها كمثال لذلك.

وفود سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية

و قد ذكرنا آنف، كانت سودة شاعرة و ذات بيان، و فدت على معاوية و دخلت عليه، فقال لها معاوية:كيف أنت يا سودة؟قالت:بخير يا أمير المؤمنين.

قال لها:أنت القائلة لأخيك:

شمر كفعل أبيك يابن عمارة *** يوم الطعام و ملتقى الأقران

و انصر عليا و الحسين و رهطه *** و اقصد لهند و ابنها بهوان

إن الإمام أخو النبي محمد *** علم الهدى و منارة الإيمان

فقد الجيوش و سر أمام لوائه *** قدما بأبيض صارم و سنان

قالت:نعم إي و الله، ما مثلي من رغب عن الحق، أو اعتذر بالكذب.

قال:ما حملك على ذلك؟قالت:حب علي و اتباع الحق.

قال:ما حاجتك؟قالت:هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك، فقتل رجالن، و أخذ ما لن، و لو لا الطاعة لكان فينا عز و منعة، فإما عزلته عنا فشكرناك، و إما ل، فعرفناك.

فقال معاوية:إياي تهددين بقومك!و الله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس [1] ، فينفذ حكمه فيك، فسكتت ثم قالت:

صلى الإله على جسم تضمنه *** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا *** فصار بالحق و الإيمان مقرونا

فقال معاوية:من ذلك، يا سودة؟فقالت:و الله هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال:و ما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟قالت:قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتن، فكان بيني و بينه ما بينه الغث و السمين، فأتيت عليا عليه السلام لأشكوه إليه، فوجدته قائما يصلي، فلما نظر إلي، انفتل من الصلاة، ثم قال لي برأفة و تعطف«ألك حاجة».

فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال:«أللهم إنك أنت الشاهد علي و عليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك، و لا بترك حقك»، ثم أخرج من جيبه قطعة كهيئة طرف الجراب فكتب فيها:«بسم الله الرحمن الرحيم (قد جاءتكم بينة من ربكم فأفوا الكيل و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين و ما أنا عليكم بحفيظ) [2] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك و السلام» .فأخذته منه يا معاوية، ما خزمه بخزام و لا ختمه بختام.

فقال معاوية:اكتبوا لها بالإنصاف لها و العدل عليها.

فقالت:ألي خاصة، أم لقومي عامة؟

قال:و ما أنت و غيرك؟قالت:هي و الله إذن الفحشاء و اللؤم إن لم يكن عدلا شامل، و إلا أنا كسائر قومي.قال:هيهات، لمظكم [٣] ابن أبي طالب اكرأة، و غركم قوله:

«فلو كنت بوابا على باب جنة *** لقلت لهمدان ادخلوا بسلام»

ثم قال معاوية:اكتبوا لها و لقومها بحاجتها. [٤]

و كم له (صلوات الله عليه) من الآثار و الأخبار و المناقب التي لا تستر، أو يستر وجه النهار؟!و المفاخر التي يتعلم منها من فخر، و المآثر التي تعجز من بقي كما أعجزت من غبر .

علي عليه السلام و المروة و العفو

في مفهومي الانتقام و العفو

الانتقام:هو أن يأتي المرء بمثل ما فعل به أو بأزيد منه، و إن كان محرما ممنوعا في الشريعة في بعض الامور، إذ ليس كل انتقام بجائز، فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، و البهتان بالبهتان، و الفحش بالفحش، و السعاية إلى الظلمة بمثله، و هكذا في سائر المحرمات.

و أما العفو فهو ضد الانتقام و هو:إسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامة، أو دية، و الآيات و الأخبار في مدح العفو و حسنه كثيرة، و قد أشير إليها في مظانها.

في عفو علي عليه السلام و مروءته

قال جورج جرداق المسيحي في مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام:كل ما في الطبيعة كان يعصف بالثورة إلا وجه علي بن أبي طالب عليه السلام فقد انبسط لا يحدث بانتقام، و لا يشير إلى اشتباك، فإن العواد وقفوا بباب الإمام و كلهم جازع متألم باك يدعو إلى الله أن يرحم أمير المؤمنين فيشفيه، و يشفي به آلام الناس، و كانوا قد شدوا على ابن ملجم فأخذوه، فلما أدخلوه عليه قال:«أطيبوا طعامه، و ألينوا فراشه». [٥]

و قال أيضا:و مروءة الامام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعد.

منها:أنة أبي على جنده ـ و هم في حال من النقمة و السخط ـ أن يقتلوا عدوا تراجع، و أن يتركوا عدوا جريحا فلا يسعفوه، كما أبي عليهم أن يكشفوا ستر، أو أنيأخذوا مالا.

و منها:أنه صلى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه و سأل لهم الغفران، و أنه حين ظفر بألد أعدائه الذين يتحينون الفرص للتخلص منه ـ و هم عبد الله بن الزبير و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص ـ عفا عنهم و أحسن إليهم، و أبي على أنصاره أن يتعقبوهم بسوء، و هم على ذلك قادرون...

و منها:أنه ظفر بعمرو بن العاص، فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته و يستمر في مؤامرته ضده، لأن عمرا هذا رجاه على اسلوب خاص أن يعفو عنه، و قد أصبح ذوالفقار فوق هامته، إلى آخر كلامه .[٦]

و قال العقاد في بيان مروءته عليه السلام:و يزيدها تشريفا أنها ازدانت بأجمل الصفات التي تزين شجاعة الشجعان الأقوياء، فلا يعرف الناس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات التي طبع عليها علي عليه السلام بغير كلفة، و لا مجاهدة رأي، و هي التورع عن البغي، و المروءة مع الخصم، قويا أو ضعيفا على السواء، و سلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال.

فمن تورعه عن البغي، مع قوته البالغة و شجاعته النادرة، أنه لم يبدأ أحدا قط بقتال و له مندوحة عنه، و كان يقول لابنه الحسن:«لا تدعون إلى مبارزة، فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ، و الباغي مصروع».

و علم أن جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، و قيل له:إنهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال:«لا أقاتلهم حتى يقاتلوني...و سيفعلون».

و كذلك فعل قبل وقعة الجمل، و قبل وقعة صفين، و قبل كل وقعة صغرت أو كبرت و وضح فيها عداء العدو أو غمض...يدعوهم إلى السلم، و ينهي رجاله عن المبدأة بالشر، فما رفع يده بالسيف قط إلا و قد بسطها قبل ذلك للسلم، و ساق‌الكلام إلى أن قال:

و أما مروءته في هذا الباب، فكانت أندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان، فأبى على جنده و هم ناقمون أن يقتلوا مدبرا أو يجهزوا على جريح، أو يكشفوا ستر، أو يأخذوا مال، و صلى في وقعة الجمل على القتلى من أصحابه و من أعدائه على السواء، و ظفر بعبد الله بن الزبير، و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و هم ألد أعدائه المؤلبين عليه، فعفا عنهم و لم يتعقبهم بسوء، و ظفر بعمرو ابن العاص و هو أخطر عليه من جيش ذي عدة، فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته حين كشف عن سوأته إتقاء لضربته.

و حال جند معاوية بينه و بين الماء في معركة و هم يقولون له:و لا قطرة حتى تموت عطشا ...فلما حمل عليهم و أجلاهم عنه سوغ لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده.

و زار السيدة عائشة بعد وقعة الجمل فصاحت به صفية أم طلحة الطلحات:أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي.فلم يرد عليها شيئ، ثم خرج فأعادت عليه ما استقلبته به فسكت و لم يرد عليه، فقال رجل أغضبه مقالها:يا أمير المؤمنين، أتسكت عن هذه المرأة و هي تقول ما تسمع؟فانتهره و هو يقول:«و يحك، إنا امرنا أن نكف عن النساء و هن مشركات، أفلا نكف عنهن و هن مسلمات؟»، ثم ودع السيدة عائشة أكرم و داع و سار في ركابها أميالا و أرسل معها من يخدمها و يخف بها .

إلى أن قال:و هذه المروءة كانت سنته مع خصومه، من استحق منهم الكرامة و من لم يستحقه، من كان في حرمة عائشة، و من لم تكن له قط حرمة، و هي أندر مروءة عرفت من مقاتل في و غر القتال . [٧]

و علينا أن نذكر موارد من عفوه و مروءته حين حكومته و قدرته حتى تتضحللقراء الكرام سيرة اسوة التقوى و إمام الهدى في هذا المجال.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة) :و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف و شتموه و لعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، و نادى مناديه في أقطار العسكر:ألا لا يتبع مول، و لا يجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، و لم يأخذ أثقالهم و لا سبى ذراريهم و لا غنم شيئا من أموالهم، و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، و لكنه أبى إلا الصفح و العفو و تقبل سنة رسول الله عليه السلام يوم فتح مكة، فإنه عفا و الأحقاد لم تبرد، و الإساءة لم تنس . [٨]

و قال ابن أبي الحديد أيضا:و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات، و قالت رؤساء الشام له:اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطش، سألهم علي عليه السلام و أصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء، فقالوا:لا و الله و لا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة، تقدم بأصحابه و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه و شيعته:امنعهم الماء ـ يا أمير المؤمنين ـ كما منعوك، و لا تسقهم منه قطرة، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب،

فقال:«لا و الله لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك. [٩]

ملكنا فكان العفو منا سجية *** فلما ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا *** فكل إناء بالذي فيه ينضح [١٠]

عفوه عليه السلام عن رجل من الخوارج رماه بالكفر

في نهج البلاغة:أنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:«إن أبصار هذه الفحول طوامح [١١] ، و إن ذلك سبب هبابها [١٢] ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأته».

فقال رجل من الخوارج:قاتله الله كافرا ما أفقهه!فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام :«رويدا إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب». [١٣]

وصيته بقاتله

روي أنه لما ضربه ابن ملجم أوصى إلى الحسن و الحسين عليهما السلام وصية طويلة، في آخرها :يا بني عبد المطلب، لا تخوضوا دماء المسلمين خوض، تقولون:قتل أمير المؤمنين!ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة، و لا تمثلوا به، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور»

و عن هشيم مولى الفضل، قال:لما قتل ابن ملجم عليا عليه السلام قال للحسن و الحسين عليهما السلام:عزمت عليكما لما حبستم الرجل، فان مت فاقتلوه و لا تمثلوا به. [١٤]

تعليقات:

١.القتب:الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، و أشرس:صفة لموصوف محذوف، و هو البعير.و الأشرس :الخشن الغليظ.و تكون صفة للقتب.

٢.الآيات في الأعراف، ٨٥، الشعراء، ١٨٣، هود، ٨٦.

٣.لمظه الشيء:آذاقه إياه، يريد علمكم الجرأة على الحكام، أو ملأكم غيظا عليهم.

٤.راجع، العقد الفريد، ج ٢، ص ١٠٢.

٥.الإمام علي صوت العدالة الانسانية، ج ٤، ص ١٠٠٤.

٦.المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢.

٧.عبقرية الإمام عليه السلام لعباس محمود العقاد، ص ١٨.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣.

٩.نفس المصدر.

١٠.الإمام علي للرحماني، ص ٤٨٢.

١١.طوامح:مرتفعات.

١٢.الهباب:الهيجان.

١٣.نهج البلاغة، قصار الحكم ٤١٢.

١٤.الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢٣٨.

١٤.الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢٣٨.

علي عليه السلام و القضاء

كان علي عليه السلام أقضى الامة و أعلمها بغوامض أحكام الإسلام و أعرفها بالقرآن و السنة و بحوادث زمانه بحيث أصبح متداولا على ألسنة الأصحاب بأنه أقضى الامة:و أقضى الصحابة، و أقضى أهل المدينة.

و قد اختاره رسول الله صلى الله عليه و آله قاضيا و بعثه إلى اليمن في عهده صلى الله عليه و آله، و دعا له بالخير و أثنى عليه و أبان فضله في ذلك، فدل به على استحقاقه عليه السلام الأمر من بعده صلى الله عليه و آله، و وجب تقدمه عليه السلام على من سواه في مقام الإمامة.

قال ابن الصباغ المالكي في (فصل) ذكر شيء من علومه:فمنها علم الفقه الذي هو مرجع الأحكام و منبع الحلال و الحرام، فقد كان علي عليه السلام مطلعا على غوامض أحكامه منقادا جامحا بزمامه، مشهودا له فيه بعلو محله و مقامه، و لهذا خصه رسول الله صلى الله عليه و آله بعلم القضاء كما نقله الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه (المصابيح) مرويا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و آله خصص جماعة من الصحابة كل واحد بفضيلة، و خصص عليا بعلم القضاء، فقال صلى الله عليه و آله:«و أقضاكم علي». [١]

علي عليه السلام أقضى الامة

في الإحقاق عن (أخبار القضاة) و غيره بإسناده عن ابن عمر و جابر و شداد بن أوس قالوا :قال رسول الله صلى الله عليه و آله:«أقضى امتي علي». [٢]

و فيه أيضا:عن كتاب (التبصير في الدين) قال:قال النبي صلى الله عليه و آله:في صفة عليعليه السلام:«أقضاكم علي». [٣]

و فيه أيضا:عن (مصابيح السنة) عن قتادة عن النبي صلى الله عليه و آله:«أقضاهم علي». [٤]

و روى ابن عساكر الشافعي:بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:خطبنا عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله فقال:علي أقضان، و ابي أقرأن، و إنا لندع من قول ابي أشياء، الحديث. [٥]

و عنه أيضا عن عبد الله بن مسعود، قال:كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام. [٦]

و عنه أيضا:عن أبي الأحوص، قال:قال عبد الله بن مسعود:أفرض أهل المدينة و أقضاهم علي بن أبي طالب عليه السلام. [٧]

و عنه أيضا:بإسناده عن مغيرة، عن الشعبي، قال:ليس منهم أحد أقوى قولا في الفرائض من علي بن أبي طالب. [٨]

و روى ابن سعد في (الطبقات) بسنده عن أبي إسحاق:أن عبد الله بن مسعود كان يقول:أقضى أهل المدينة ابن أبي طالب. [٩]

و روى الحاكم بسنده، عن عبد الله بن مسعود، قال:كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.قال الحاكم:هذا حديث صحيح. [١٠]

رسول الله صلى الله عليه و آله يعلمه القضاء

في (السيرة النبوية) :بعث رسول الله صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن [١١] في شهر رمضان سنة عشر، و عقد له لواء، و عممه بيده، و قال له:«امض و لا تلتفت».

فقال علي عليه السلام:«يا رسول الله، ما أصنع؟».

قال صلى الله عليه و آله:«إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، و ادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا:نعم، فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، و الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت». [١٢]

و روى أبو داود و غيره من حديث علي عليه السلام قال:«بعثني النبي صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت:يا رسول الله، تبعثني إلى قوم أسن مني، و أنا حديث السن لا أبصر القضاء» . قال:«فوضع يده في صدري و قال:أللهم ثبت لسانه و اهد قلبه، و قال:يا علي، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء».

قال علي عليه السلام:«و الله ما شككت في قضاء بين اثنين»فخرج علي عليه السلام في ثلاثمائة فارس، الحديث. [١٣]

و روى النسائي في الخصائص و كذا أحمد في الفضائل نحوه. [١٤]

و في المناقب لابن المغازلي الشافعي:بإسناده عن أبي البختري، عن علي عليه السلام، قال :«بعثني رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن لأقضي بينهم، قال:فقلت:يا رسول الله، إني لا علم لي بالقضاء، فضرب يده على صدري، و قال:أللهم اهد قلبه، و ثبت لسانه».

قال:«فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا». [١٥]

موقف علي عليه السلام من القضاة

لا يخفى على من راجع تواريخ الامم و الأجيال في العالم أن لأمر القضاء و فصل الخصومات مكانة خاصة حساسة في جميع الامم و المجتمعات البشرية، إذ عليه و على سلامة نظامه تبنى سلامة المجتمع، و أمنه، و استقرار العدل فيه، و حفظ الحقوق و الحرمات.

و لو لم يكن القضاء سالما أو فوض أمره إلى غير أهله، فشا الجور و الفساد، و ضاعت الحقوق و ضعفت الدولة، بل ربما أعقب ذلك سقوطها و زوالها.

و ذلك واضح لأن عالم الطبيعة عالم التزاحم و التصادم، و الإنسان في طبعه مجبول على الولع و الطمع، و قد زين له حب الشهوات من النساء و الأموال و المشاغل، فربما يستغل الشخص قوته و قدرته أو غفلة الآخرين، فينزو على أموال الناس و حقوقهم، و يستعقب ذلك التنازع و البغضاء، بل ربما ينتهي الأمر إلى القتال و إتلاف النفوس و الأموال.

فلا محيص عن وجود سلطة عالم عادل نافذ الأمر، تصلح بينهم أو تقضي بالحق و العدل فيرتفع النزاع و يجد كل ذي حق حقه.

عهده إلى مالك الأشتر النخعي

قال السيد الرضي رحمهم الله:من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي [١٦] لما ولاه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، و هو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن.

و في عهده هذ، قسم عليه السلام طبقات المجتمع إلى سبعة أقسام و ذلك وفقا للعمل و الحرفة :

١ ـ جنود الله.

٢ ـ كتاب العامة و الخاصة.

٣ ـ قضاة العدل.

٤ ـ عمال الإنصاف و الرفق.

٥ ـ أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس.

٦ ـ التجار و أهل الصناعات.

٧ ـ الطبقة السفلى من ذوي الحاجة و المسكنة.

و مما لا شك فيه أنه صلى الله عليه و آله لم يفضل أحدا على أحد من حيث العمل، و ليس هو في معرض الترجيح بين الطبقات، إذ كلهم يعملون و يكسبون ما يتناسب مع عملهم.

و يظهر من عهده عليه السلام خصوصية للقضاة و رؤساء القضاء في الحكومات الإسلامية، فنشير إليها في التالي:

القاضي في نظره عليه السلام

و في عهده إلى مالك رضى الله عنه أوضح أمير المؤمنين عليه السلام ما يجب أن يتحلى به القاضي من صفات و فضائل، و سنبين باختصار ما جاء في هذا العهد بخصوص الطبقة الثالثة من طبقات الناس (قضاة العدل) .

١ ـ قال عليه السلام:«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك».

لا بد من اختيار أفضل الناس للتصدي للقضاء، لأن الناس لا يمكن أن يطيعوا شخصا هم أفضل منه، حيث إن تقديم المفضول على الفاضل خلاف العقل، كما أن حكم غير المتقى على المتقي و كذلك حكم غير المتعلم على المتعلم ممنوع و قبيح عقلا.

٢ ـ «ممن لا تضيق به الامور».

يجب أن يكون القاضي متعلما بحيث إنه قادر على تحليل و تجزئة المسائل و أن لا يكون في حرج و ضيق مما يواجه من الحوادث.

٣ ـ «و لا تمحكه الخصوم».

تمحكه من المحك و هو التجربة و الاختبار، يعني أن القاضي يجب أن يكون في الهيبة و الوقار بحيث لا يسمح للخصمين أن يحاولا اختباره فيما إذا كان يقبل الرشوة بالمال أو بإظهار المحبة و الاحترام، و جاء في شرح ابن أبي الحديد:تجعله ماحكا أي لجوج، محك الرجل:لج، ماحك زيد عمرا:لاجه، يعني:يجب أن يكون عليه من صفات الهيبة و الوقار بحيث لم يجرؤ الطرفان المتخاصمان أنيلجا في حكمه أو يناقشاه.

٤ ـ «و لا يتمادى في الزلة».

إذا أخطأ القاضي في حكمه و أحس بالخطأ فعليه أن لا يصر و لا يستمر عليه، بل عليه الاعتراف و عدم التمادي لأن ذلك يؤدي به إلى مجانبة الحق و العدل.

٥ ـ «و لا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه».

يحصر:أي يعيا في المنطق، و الفيء:الرجوع إلى الحق، يعني يجب أن يكون القاضي صريحا في عودته إلى الحق إذا عرفه دون تردد أو شك كي يحق الحق و يبطل الباطل.

٦ ـ «و لا تشرف نفسه على طمع».

يجب أن لا يشغل نفسه بالنظر إلى ما في أيدي الناس، و أن لا يكون من أهل الطمع، فهو ذو مقام عال استلهمه من الخالق العزيز للحكم بين الناس، لذا يجب عليه الحفاظ على هذا المقام و أن لا ينزل به إلى مستوى منحط، إلى المادة و طمع الدنيا.

٧ ـ «و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه».

يجب على القاضي التروي في الحكم و أن لا يقضي بسرعة و بأدنى فهم، لأن ذلك يؤدي به إلى الخطأ و الزلل، فعليه أن يناقش القضية من كل جوانبه، و يسمع من الخصمين سماعا دقيق، كي تتضح المسألة لديه و يحكم على أساسها.

٨ ـ «و أوقفهم في الشبهات».

الشبهات:ما لا يتضح الحكم فيه بالنص، و فيها ينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح، فعلاوة على كون القاضي أفضل الرعية فعليه أيضا أن يتوقف عند الشبهة، و أن لا يأخذه الغرور بما لديه من المعلومات، و أن لا يعتبر السؤال و المشاورة عيبا و عارا عليه، بل العيب و العار هو التكبر و الغرور و الوقوع في مزالق الباطل.

٩ ـ «و آخذهم بالحجج».

أي عليه الاعتماد على الدليل و البرهان، و أن يحكم على أساس الحجج و القوانين و الأحكام و لا يكتفي بما يتصوره في ذهنه و حسب.

١٠ ـ «و أقلهم تبرما بمراجعة الخصم».

التبرم:الملل و الضجر، حيث ينبغي أن يكون القاضي أقل الناس تضجرا من الطرفين المتنازعين، و أن يكون متحملا صبورا في الإصغاء للخصمين حتى تنتهي الدعوى و لا يمل من كلامهما.

١١ ـ «و أصبرهم على تكشف الامور».

يجب أن يكون القاضي أكثر الناس صبر، و ذلك لأجل كشف الحقائق و تجليه، و أن لا يقطع بالحكم حتى تتبين له كل مطالب القضية، و لا يكتفي بتقرير إجمالي لها و حسب.

١٢ ـ «و أصرمهم عند اتضاح الحكم».

أصرمهم:أي أقطعهم للخصومة و أمضاهم، فإن اتضح الأمر، عليه أن يكون قاطعا حاسما في اتخاذ القرار، و أن لا يؤجله و يسوفه جاعلا الناس في حيرة.

١٣ ـ «ممن لا يزدهية إطراء».

لا يزدهيه إطراء:أي لا يستخفه زيادة الثناء عليه، فعليه أن لا يشعر بالكبر و الزهو لما يسمعه من إطراء و مدح الآخرين.

١٤ ـ «و لا يستميله إغراء».

على القاضي أن لا يحكم وفقا للمغريات التي يقدمها أحد طرفي النزاع و لا تنطلي عليه حيلة أحد الطرفين بحيث يستهويه و يحكم له.

من الطبيعي أن وجود قاض تتمثل به هذه الصفات القيمة يعد نادرا و قليل، و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام:«و اولئك قليل». (١٧)

واجب رئيس القضاء تجاه القضاة في عهده عليه السلام

ليس من وجهة نظر أمير المؤمنين عليه السلام أن يترك القاضي بمجرد تعيينه و حسب، و أن لا يخضع للمراقبة و الفحص و الاختبار من قبل رئيس القضاء أو رئيس الدولة، و في عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر رحمهم الله أوصاه بالقضاة من جانبين:

الأول:مراقبة القاضي من حيث الأحكام الصادرة.

الثاني:متابعة الوضع المادي و المعنوي للقاضي، يقول عليه السلام استمرارا لنفس العهد :

١ ـ «ثم أكثر تعاهد قضائه».

أي تتبعه بالاستكشاف و التعرف، فإنك يا مالك بعد أن عينت القاضي، عليك أن تراقبه و تتابعه و تناقش قضاياه التي حكم به، لأن القاضي قد يخط، فرئيس القضاء يجب أن يناقش القضية، و إن اكتشف أدنى خلاف فيها عليه إعادتها إلى القاضي ليستأنف الحكم.

٢ ـ «و افسح له في البذل ما يزيل علته».

أي أوسع له في العطاء بما يكفيه، و يسد حاجاته، و حاجات و متطلبات بيته و عائلته، كي لا يكون ممن ينظر إلى ما في أيدي الناس، و لا تغره الرشوة، و لكي تكون لك الحجة عليه إذا ارتشى.

٣ ـ «و تقل معه حاجته إلى الناس».

فإذا أجزلت له العطاء الكافي كفيته من حاجة الناس، حتى لا يكون متحيزا في إصدار الحكم لأحد.

٤ ـ «و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك».

لا يتوقف الإمام عليه السلام عند حد كفاية القاضي من الناحية المادية فقط، بل يتعداهإلى الناحية المعنوية، إذ يجب على رئيس الدولة أو رئيس القضاء أن يجعل للقاضي مكانة لديه، لكي لا يكون هدفا لسعاية الآخرين، و لكي يتمكن من تنفيذ الأحكام الحقة، و لا يطمع الآخرون به، و إلا فإن المحيطين برئيس القضاء أو برئيس الدولة سيطلبون منه أن يحكم لصالحهم، و إنه سيعمل ذلك من فرط الخوف.

ثم في نهاية هذه الفقرة الخاصة في القضاء من هذا العهد قال:«فانظر في ذلك نظرا بليغ، فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و تطلب به الدنيا». [١٨]

سيرته عليه السلام مع القضاة

نذكر فيما يلي نبذة من مخالفات القضاة و موقف علي عليه السلام تجاههم حتى يعرف القراء الكرام أن علمه عليه السلام كقوله سواء.

في (شرح ابن أبي الحديد) و في (فرائد السمطين) عن عبد الله بن عمر، قال:استعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب، و علي جالس، فالتفت عمر إليه، فقال:قم يا أبا الحسن، فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه و تناظر، ثم انصرف الرجل و رجع علي عليه السلام إلى محله فتبين عمر التغير في وجهه، فقال:يا أبا الحسن، مالي أراك متغير، أكرهت ما كان؟قال عليه السلام:«نعم».

قال عمر:و ما ذاك.

قال عليه السلام:«كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلت:قم يا علي، فاجلس مع خصمك»فاعتنق عمر عليا و جعل يقبل وجهه، و قال:بأبي أنتم!بكم هدانا الله، و بكم أخرجنا من الظلمة إلى النور. [١٩]

و قال ابن الإخوة:يحكى أن علي بن أبي طالب عليه السلام ولى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثم عزله.فقال له:لم عزلتني فو الله ما خنت و لا خونت؟.قال عليه السلام :«بلغني أن كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك». [٢٠]

فعلى الولاة و رؤساء القضاء في الحكومات الإسلامية الاقتداء بهدي إمامهم علي عليه السلام و السير بسيرته، و أن يراقبوا جهاز القضاء مراقبة دقيقة، و يتحروا عن القائمين عليه، كي لا يتعسفوا

في الحكم على المتخاصمين و لا يرهبوا المراجعين أو يعنفوهم، و إذا علموا بتخلف موظفيهم، و نجوهم أو عزلوهم لكي تحافظ الحكومة على مسير الحق و العدل.

حكى الشعبي، قال:اشترى شريح القاضي دارا بثمانين دينار، فبلغ ذلك عليا عليه السلام، فاستدعاه، فقال له:يابن الحارث، بلغني أنك اشتريت دارا بكذا و كذ، و أشهدت على نفسك شهود، و كتبت كتابا؟ فقال:قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فنظر إليه نظر المغضب، ثم قال:يا شريح، إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك حتى يخرجك منها شاخص، و يسلمك إلى قرارك خالص، فاحذر أن تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فاذن خسرت الدنيا و الآخرة...الحديث . [٢١]

علي عليه السلام و قضاياه في مدى عمره الشريف

لقد قضى علي عليه السلام في مدى عمره الشريف الميمون بقضايا كثيرة و لم نشر إلا إلى نزر منه، و لكي لا تختلط على القارىء الكريم، فقد سعينا إلى فصلها و تقسيمها إلى أربعة مباحث:

١ ـ قضاؤه في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله.

٢ ـ قضاؤه في عهد عمر بن الخطاب.

٣ ـ قضاؤه في عهد عثمان بن عفان.

٤ ـ قضاؤه في خلافته.

قضاؤه في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله

قضاؤه عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله حتى مع حضوره، من أدل الشواهد على أن عليا عليه السلام مؤيدا من عند الله، و أنه يليق بإمامة الامة بعد النبي صلى الله عليه و آله، بل إنه أليق من جميع الصحابة بالخلافة و الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.

و قد روى العلامة محب الدين الطبري و القندوزي و الأمر تسري، عن حميد بن عبد الله بن يزيد، قال:ذكر عند النبي صلى الله عليه و آله قضاء قضى به علي بن أبي طالب، فأعجب النبي صلى الله عليه و آله فقال:«الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت». [٢٢]

و قد بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله قاضيا على اليمن ثقة في قضائه، لأنه أقضى الأمة و أعلمه، ففي رواية ابن المغازلي باسناده عن عمرو بن حبشي، عن علي عليه السلام، قال:«بعثني رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت:يا رسول الله، تبعثني إلى قوم شيوخ ذوي أسنان، و إني أخاف أن لا اصيب، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:إن الله يثبت لسانك و يهدي قلبك».

و بالاسناد عن أبي البختري، عن علي عليه السلام، قال:«بعثني رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن لأقضي بينهم.قال:فقلت:يا رسول الله، إني لا علم لي بالقضاء، فضرب يده على صدري و قال:اللهم اهد قلبه، و ثبت لسانه.قال:فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا». [٢٣]

إعجاب النبي صلى الله عليه و آله بقضاء علي

روى الطبراني في (المعجم الكبير) بالاسناد عن زيد بن أرقم، قال:كنت عندالنبي صلى الله عليه و آله، إذ جاءه كتاب من علي عليه السلام فيه:أن ثلاثة نفر أتوني يختصمون في غلام وطئوا أمه في الجاهلية في طهر واحد، كلهم يدعيه أنه ابنه، فقضيت بينهم أن أقرعت بينهم، و جعلته للقارع منهم على أن يغرم للآخرين ثلثي الدية، فضحك النبي صلى الله عليه و آله حتى بدانا جذاه، ثم قال:«لا أعلم فيها إلا ما قضى علي». [٢٤]

قضاؤه في واقعة ثلاثة سقطوا عن الزبية [٢٥]

روى أحمد بن حنبل في (المسند) و غيره، بالاسناد عن سماك، عن حنش، عن علي عليه السلام، قال :بعثني رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زبية للأسد فبينا هم كذلك يتدافعون، إذ سقط رجل، فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله، و ماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلو، فأتاهم علي عليه السلام فقال:تريدون أن تقاتلوا و رسول الله صلى الله عليه و آله حي!إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، و إلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي صلى الله عليه و آله فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية، و ثلث الدية، و نصف الدية، و الدية كاملة، فللأول الربع لأنه هلك من خوفه، و للثاني ثلث الدية، و للثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا.

فأتوا النبي صلى الله عليه و آله و هو عند مقام إبراهيم، فقصوا عليه القصة، فقال:أنا أقضي بينكم، و احتبى.فقال رجل من القوم:إن عليا قضى فين، فقصوا عليه القصة، فأجازه رسول الله صلى الله عليه و آله. [٢٦]

قضاؤه عليه السلام في عهد عمر بن الخطاب

أما قضاياه عليه السلام في عهد خلافة عمر بن الخطاب فكثيرة جد، حيث كان عمر بن الخطاب يرجع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام عند ما يصعب عليه القضاء على مدى حكومته، و كثيرا ما نراه بعد كشف المعضلة يرفع صوته:لو لا علي لهلك عمر، لو لا علي لافتضحنا.

روى ابن عساكر الشافعي في تاريخه، عن سعيد بن المسيب، قال:قال عمر بن الخطاب:أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن علي بن أبي طالب. [٢٧]

و روى ابن عبد البر في (الاستيعاب) عن سعيد، نحوه. [٢٨]

و روى عن أبي سعيد الخدري أنه سمع عمر يقول لعلي عليه السلام، و قد سأله عن شيء فأجابه، فقال له عمر:نعوذ بالله من أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. [٢٩]

و فيما يلي بعض الموارد التي اخترناها كنماذج لقضائه عليه السلام في عهد عمر، و لو جمعناها كلها لأصبحت رسالة مستقلة.

امرأة معتوهة زنت

روى أحمد بن حنبل في باب فضائل علي عليه السلام و محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) بسنديهما عن أبي ظبيان الحبشي:أن عمر بن الخطاب اتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمه، فذهبوا ليرجموه، فرآهم علي في الطريق، فقال:«ما شأن هذه»فأخبروه فخلى سبيله، ثم جاء إلى عمر، فقال له عمر:لم رددتها؟

فقال:«لأنها معتوهة آل فلان [٣٠] ، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله:رفع القلم عن ثلاث:عن النائم حتى يستيقظ، و الصبي حتى يحتلم، و المجنون حتى يفيق».

فقال عمر:لو لا علي لهلك عمر. [٣١]

و روى العلامة الهندي في (كنز العمال) عن ابن عباس، نحوه. [٣٢]

امرأة تعترف بالزنى خوفا

روى الجويني و الخوارزمي بسندهما عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال:لما كان في ولاية عمر، اتي بامرأة حامل، سألها عمر عن ذلك، فاعترفت بالفجور، فأمر عمر أن ترجم، فلقيها علي بن أبي طالب، فقال:«ما بال هذه المرأة؟».

فقالوا:أمر بها عمر أن ترجم.فردها علي عليه السلام فقال له:«أمرت بها أن ترجم»؟فقال :نعم، اعترفت عندي بالفجور.

فقال:«هذا سلطانك عليه، فما سلطانك على ما في بطنها؟»ثم قال له علي عليه السلام:«فلعلك انتهرتها أو أخفتها؟».فقال عمر:قد كان ذلك.

قال علي عليه السلام«أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:لا حد على معترف بعد بلاء، إنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار لها» فخلى عمر سبيله، ثم قال: عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب، لو لا علي لهلك عمر. [٣٣]

امرأة زنت و هي حبلى

روى الحافظ محب الدين الطبري، و الكنجي:أنه دخل علي على عمر و إذا امرأةحبلى تقاد ترجم .فقال:«ما شأن هذه»، قالت:يذهبون بي ليرجموني.

فقال:«يا أمير المؤمنين، لأي شيء ترجم؟إن كان لك سلطان عليه، فما لك سلطان على ما في بطنها».

فقال عمر:كل أحد أفقه مني ـ ثلاث مرات ـ فضمنها علي عليه السلام حتى وضعت غلام، ثم ذهب بها إليه فرجمها. [٣٤]

امرأة تحتال على شاب من الأنصار

روى ابن القيم الجوزية بسنده:أنه اتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار و كانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرته، و صبت البياض على ثوبها و بين فخذيه، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت:هذا الرجل غلبني على نفسي و فضحني في أهلي، و هذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء فقلن له:إن ببدنها و ثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث و يقول:يا أمير المؤمنين، تثبت في أمري، فو الله ما أتيت فاحشة، و ما هممت به، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر:يا أبا الحسن، ما ترى في أمرهما؟فنظر علي عليه السلام إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه و اشتمه و ذاقه، فعرف طعم البيض و زجر المرأة فاعترفت. [٣٥]

امرأة زنت و هي مضطرة

روى ابن القيم الجوزية:أن عمر بن الخطاب اتي بامرأة زنت فأقرت، فأمر برجمه، فقال علي عليه السلام:«لعل بها عذرا».ثم قال لها:«ما حملك على الزنا؟».

قالت:كان لي خليط و في إبله ماء و لبن، و لم يكن في إبلي ماء و لا لبن، فظمئت فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفسي، فأبيت عليه ثلاث، فلما ظمئت و ظننت أن نفسي ستخرج، أعطيته الذي أراد، فسقاني.

فقال علي:«الله أكبر، فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه، إن الله غفور رحيم». [٣٦]

و في (كنز العمال) عن ام كلثوم ابنة أبي بكر، أن عمر بن الخطاب كان يعس [٣٧] بالمدينة ذات ليلة، فرأى رجلا و امرأة على فاحشة، فلما أصبح، قال للناس:أرأيتم أن إماما رأى رجلا و امرأة على فاحشة، فأقام عليهما الحد، ما كنتم فاعلين؟، قالوا:إنما أنت إمام، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام:ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء، ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم، فقال القوم مثل مقالتهم الاولى، و قال علي عليه السلام مثل مقالته. [٣٨]

رجل أقطع اليد و الرجل و قد سرق

روى البيهقي و العلامة الهندي عن عبد الرحمن بن عائذ، قال:اتي عمر بن الخطاب برجل أقطع اليد و الرجل قد سرق [٣٩] ، فأمر به عمر أن تقطع رجله.

فقال علي عليه السلام:«إنما قال الله عز و جل: (إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف) [٤٠] ، فقد قطعت يد هذا و رجله، فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليه، و السارق ليس أسوء حالا من المرتد إما أن تعزره و إما أن تستودعه السجن»فاستودعه عمر السجن. [٤١]

رجل أسود و امرأة سوداء و ولدهما أحمر

روى ابن القيم الجوزية بسنده:أنه اتي عمر بن الخطاب برجل أسود و معه امرأة سوداء، فقال :يا أمير المؤمنين، إني أغرس غرسا أسود، و هذه سوداء على ما ترى، فقد أتتني بولد أحمر.

فقالت المرأة:و الله يا أمير المؤمنين ما خنته، و إنه لولده.فبقي عمر لا يدري ما يقول :فسأل عن ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال للأسود:«إن سألتك عن شيء أتصدقني؟»قال :أجل، و الله.

قال:«هل واقعت امرأتك و هي حائض؟».قال:قد كان ذلك.

قال علي عليه السلام:«الله أكبر، إن النطفة إذا خلطت بالدم فخلق الله عز و جل منها خلقا كان أحمر، فلا تنكر ولدك فأنت جنيت على نفسك». [٤٢]

أمانة رجلين عند امرأة

روى ابن الجوزي و محب الدين الطبري و سبط ابن الجوزي و الخوارزمي، عن حنش بن المعتمر، قال :إن رجلين أتيا امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار، و قالا:لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حول، ثم جاء أحدهما إليه، و قال:إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير، فأبت، فثقل عليها بأهله، فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولا آخر فجاء الآخر فقال:ادفعي إلي الدنانير.فقالت:إن صاحبك جاءني، و زعم أنك قد مت فدفعتها إليه.فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليه، و قال لها:ما أراك إلا ضامنة، فقالت:أنشدك الله أنتقضي بينن، و ارفعنا إلى علي بن أبي طالب، فرفعها إلى علي، و عرف أنهما قد مكرا به، فقال:«أليس قلتما:لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟».قال:بلى.

قال:«فإن مالك عندن، اذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما»فبلغ ذلك عمر، فقال:لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب. [٤٣]

إلحاق الولد بأبيه رغم ولادته لسته أشهر

روى الجويني عن أبي الأسود الدؤلي:أن عمر اتي بامرأة وضعت لستة أشهر فهم برجمه، فبلغ ذلك علي، فقال:ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال علي عليه السلام: (و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) [٤٤] و قال عز و جل: (و حمله و فصاله ثلاثون شهرا) [٤٥] فستة أشهر حمله، و حولين [٤٦] تمام الرضاع، لا حد عليها».

قال:فخلى عنه، ثم ولدت بعد ذلك نساء لستة أشهر. [٤٧]

قضاؤه في عهد عثمان بن عفان

أخرج العاصمي من طريق شيخة أبي بكر محمد بن إسحاق، يرفعه:أن رجلا أتى عثمان بن عفان و هو أمير المؤمنين و بيده جمجمة إنسان ميت، فقال:إنكم تزعمون أن النار تعرض على هذ، و أنه يعذب في القبر، و أنا قد وضعت عليها يدي فلاأحس منها حرارة النار؟فسكت عنه عثمان، و أرسل إلى علي بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلما أتاه و هو في ملأ من أصحابه، قال للرجل :«أعد المسألة»فأعاده، ثم قال عثمان بن عفان:أجب الرجل عنها يا أبا الحسن.

فقال علي عليه السلام:«إئتوني بزند و حجر»و الرجل السائل و الناس ينظرون إليه، فاتي بهما فأخذهما و قدح منهما النار، ثم قال للرجل:«ضع يدك على الحجر»فوضعها عليه، ثم قال:«ضع يدك على الزند»فوضعها عليه، فقال:«هل أحسست منهما حرارة النار»فبهت الرجل، فقال عثمان:لو لا علي لهلك عثمان.

قال العلامة الأميني (رحمة الله عليه) :نحن لا نرقب من عثمان وليد بيت امية الحيطة بأمثال هذه العلوم التي هي من أسرار الكون، و قد تقاعست عنها معرفة من هو أرقى منه في العلم، فكيف به؟و إنما تقلها عيبة العلوم الإلهية، المتلقاة من المبدأ الأعلى منشىء الكون، و ملقي أسراره فيه، و هو الذي أفحم السائل هاهنا و في كل معضلة أعوز القوم عرفانها. [٤٨]

و أخرج الحفاظ عن بعجة بن عبد الله الجهني، قال:تزوج رجل منا امرأة من جهينة، فولدت له تماما لستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فأمر بها أن ترجم، فبلغ عليا عليه السلام فأتاه، فقال :«ما تصنع؟ليس ذلك عليه، قال الله تبارك تعالى: (و حمله و فصاله ثلاثون شهرا) [٤٩] و قال: (و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) [٥٠] فالرضاعة أربعة و عشرون شهر، و الحمل ستة أشهر».

فقال عثمان:و الله ما فطنت لهذ، فأمر بها عثمان أن ترد، فوجدت قد رجمت، و كان من قولها لاختها:يا اخية لا تحزني فو الله ما كشف فرجي أحد قط غيره، قال:فشب الغلام بعد فاعترف الرجل به، و كان أشبه الناس به، و قال:فرأيت الرجلبعد يتساقط عضوا عضوا على فراشه. [٥١]

قضاياه في حكومته عليه السلام

قضاياه عليه السلام و أحكامه الغريبة التي قضى بها في أيام خلافته و التي لم يقض بها أحد قبله، كثيرة جدا ذكرها علماء الشيعة و أهل السنة، نقتصر هنا على بعض ما ورد من طرق أهل السنة:

قصة الأرغفة (قضاء رياضي)

روى الحافظ ابن عبد البر و كذا العلامة السيوطي و المولى علي المتقي الهندي و محب الدين الطبري و العلامة الصفوري الشافعي و ابن حجر العسقلاني و المحدث البدخشي و القندوزي كلهم بسندهم عن زر بن حبيش و كذا علماء الخاصة في كتبهم رووا بأسانيدهم قالوا:

جلس رجلان يتغديان، مع أحدهما خمسة أرغفة خبز، و مع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم، فقالا:اجلس للغداء، فجلس و أكل مهم، و استووا في أكلهم الأرغفة

الثمانية، فقام الرجل و طرح إليهما ثمانية دراهم، و قال:خذا هذا عوضا مما أكلت، منكم، و نلت من طعامكم، فتنازعا فقال صاحب الأرغفة الخمسة:لي خمسة دراهم، و لك ثلاثة.

فقال صاحب الأرغفة الثلاثة:لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقصا عليه قصتهم، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة :«قد عرض عليك صاحبك ما عرض، و خبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة».فقال:لا و الله لا رضيت منه إلا بمر الحق.فقال علي عليه السلام:«ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد و له سبعة» .

فقال الرجل:سبحان الله ـ يا أمير المؤمنين ـ هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض، و أشرت علي بأخذها فلم أرض، و تقول لي الآن:«إنه لا يجب لك في مر الحق إلا درهم واحد؟!»فقال له علي عليه السلام:«عرض عليك الثلاثة صلح، فقلت:لم أرض إلا بمر الحق، و لا يجب لك بمر الحق إلا واحد» .

فقال الرجل:فعرفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله.

فقال علي عليه السلام:«أليس للثمانية الأرغفة أربعة و عشرين ثلث، أكلتموها و أنتم ثلاثة أنفس، و لا يعلم الأكثر أكلا منكم و لا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء؟»قال:بلى.

قال:«فأكلت أنت ثمانية أثلاث، و إنما لك تسعة أثلاث، و أكل صاحبك ثمانية أثلاث و له خمسة عشر ثلث، أكل منها ثمانية، و يبقى له سبعة، و أكل لك واحدا من تسعة، فلك واحد بواحدك، و له سبعة بسبعته».

فقال الرجل:رضيت الآن. [٥٢]

فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة و الروية و أصاب فيها لكان له الفخر.

قضاؤه في مسألة رياضية اخرى

في كتاب (التكامل في الإسلام) لأحمد أمين:أن سبعة عشر جملا كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص، فجاؤوا عليا عليه السلام و قالوا:إن نصف هذه الجمال لأحدن، و ثلثهالآخر، و تسعها لثالثن، و نريد أن تقسمها بيننا على أن لا يبقى باق؟

فدعا علي عليه السلام بجمل له و أضافه إلى الجمال فكانت ١٨ جمل، فأعطى نصف الجمال:إلى من له النصف، أي أعطاه ٩ جمال، و أعطى ثلث الثمانية عشر إلى من كان له الثلث، أي اعطاه ٦ جمال،

و أعطى تسع الثمانية عشر إلى من كان له التسع، أي أعطاه جملين (٩+٦+١٧ ٢) ثم أرجع الجمل الذي أضافه إلى بيته. [٥٣]

أقول:قد يستغرب الشخص لأول و هلة عندما يلاحظ هذا الحل، و ذلك لأن من كان له النصف يستحق ٨/١/٢ من الجمال.و من كان له الثلث يستحق ٥/٢/٣ من الجمال.و من كان له التسع يستحق ١/٨/٩ من الجمال.و المجموع ١٦ جملا و جزء من ثمانية عشر جزءا من جمل: (٨/١/٢+٥/٢/٣+١٨/٨/٩ ١٦/١/١) فبقي إذن ١٧/١٨ من جمل واحد لم يوزع بين الشركاء، و لا يخفى و هو ١٧/١٨ من جمل واحد ـ يجب أن يوزع بين الشركاء أيضا. [٥٤]

في تفريق المتهمين

روى العلامة محمد بن طلحة الشافعي، قال:إن سبعة أنفس خرجوا من الكوفة مسافرين، فغابوا مدة، ثم عادوا و قد فقد منهم واحد، فجاءت امرأة إلى علي عليه السلام، فقالت:يا أمير المؤمنين، إن زوجي سافر هو و جماعة و عادوا دونه، فأتيتهم، و سألتهم عنه فلم يخبروني بحاله، و قد اتهمتهم بقتله، و أسألك إحضارهم و استكشاف حالهم، فاحضرهم عليه السلام و فرقهم، و أقام كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد، و وكل به رجلا يمنع أن يقرب منه أحد ليحادثه.

ثم استدعى واحدا فحدثه و سأله عن حال الرجل فأنكر، فلما أنكر رفععلي عليه السلام صوته بالتكبير، و قال:«الله أكبر»، فلما سمع الباقون صوت علي عليه السلام مرتفعا بالتكبير اعتقدوا أن رفيقهم قد أقر، و حكى لعلي عليه السلام صورة الحال.

ثم استدعاهم واحدا واحدا فأقروا بقتله بناء على أن صاحبهم قد أخبر عليا عليه السلام بما فعلوه، فلما أقروا بذلك، قال الأول:يا أمير المؤمنين، هؤلاء قد أقروا و ما أنا أقررت .

قال له عليه السلام:«هؤلاء رفاقك قد شهدوا عليك، فما ينفعك إنكارك بعد شهادتهم»فاعترف أنه شاركهم في قتله، فلما تكمل اعترافهم أقام عليهم حكم الله تعالى و قتلهم به، فكان ذلك من عجائب فهمه و غرائب علمه. [٥٥]

إلحاقه المرأة بالرجال

روى الخوارزمي و سبط ابن الجوزي و غيرهما بالاسناد عن شريح، قال:إنه تقدمت إليه أمرة فقالت، أيها القاضي، إني جئتك مخاصمة.فقال:فأين خصمك؟قالت:أنت، فأخلى لها المجلس، و قال لها:تكلمي، فقالت:أية امرأة لها إحليل و لها فرج؟

فقال:قد كان لأمير المؤمنين عليه السلام في ذا قصة، و ورث من حيث جاء البول ـ و كان شريح قاضي علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فقالت:إنه يجيء منهما جميعا؟

فقال لها:من أين يسبق البول؟فقالت:ليس شيء منهما يسبق، يخرجان في وقت و ينقطعان في وقت واحد.

فقال:إنك تخبرني بعجب!فقالت:أقول أعجب من ذلك، تزوجني ابن عم لي، و أخدمني خادمة فوطئتها فأولدته، و إنما جئتك لما أولدتها.

فقام شريح عن مجلس القضاء، فدخل على علي عليه السلام، فأخبره بما قالت المرأة، فأمر بها علي عليه السلام فأدخلت، فسألها عما قال القاضي، فقالت:يا أمير المؤمنين، هو الذيقال، فأحضر زوجه، فقال:هذه زوجتك و ابنة عمك؟قال:نعم يا أمير المؤمنين.

قال:أفعلمت ما كان؟قال:نعم، أخدمتها خادما فوطئتها فأولدته، و وطئتها بعد ذلك.

فقال له علي عليه السلام:لأنت أجسر من الأسد، جيئوني بدينار الخادم [٥٦] ـ و كان معدل ـ و امرأتين، فقال علي عليه السلام:خذوا هذه المرأة، فأدخلوها إلى بيت، فألبسوها ثياب، و جردوها من ثيابه، و عدوا أضلاع جنبيها.

ففعلوا ذلك ثم خرجوا إليه، فقالوا:يا أمير المؤمنين، عدد أضلاع الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلع، و عدد الجانب الأيسر سبعة عشر ضلع، فدعا الحجام فأخذ شعره، و أعطاها حذاء و رداء، و ألحقها بالرجال.

فقال الزوج:يا أمير المؤمنين، امرأتي ابنة عمي، ألحقتها بالرجال، ممن أخذت هذه القضية؟فقال له علي عليه السلام:إني ورثتها من أبي آدم، إن حواء خلقت من آدم، فأضلاع الرجال أقل من أضلاع النساء، و عدد أضلاعها أضلاع رجل، فاخرجوا. [٥٧]

تعليقات:

١.الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٣٤.

٢.أخبار القضاة، ج ١، ص ٨٨، و المعجم الصغير للطبراني، ص ١١٥، نقلا عن الاحقاق، ج ٤، ص ٣٢١.

٣.التبصير في الدين للاسفراييني، ص ١٦١ نقلا عن المصدر السابق.

٤.مصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٠٣ نقلا عن المصدر السابق.

٥.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، و ص ٢٨، ح ١٠٥٤، ص ٣٢، ح ١٠٦٢.

٦.المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥، ح ١٠٦٦.

٧.المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥، ح ١٠٦٧.

٨.المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨، ح ١٠٦٩.

٩.الطبقات لابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٩.

١٠.المستدرك للحاكم النيشابوري، ج ٣، ص ٣٥.

١١.في هامش مسند زيد، ص ٢٦١، قال:في سيرة صنعاء، كان نزول علي عليه السلام في اليمن على ام سعيد ابنة برزخ، و هي أول من أسلم من أهل اليمن و بنت مسجدا و سمته مسجد علي عليه السلام، و هذا المسجد موجود إلى يومنا هذ، مشهور في سوق الحلقة، و سمي الحلقة لأن أهل اليمن اجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا المحل و حلقوا عليه، و لبث علي عليه السلام بصنعاء أربعين يوم، و دخل أماكن اليمن منها عدن أبين و عدن لاعة من بلاد حجة.

١٢.السيرة النبوية لزيني دحلان الشافعي بهامش السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٣٤٥.

١٣.سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٠١، ح ٣٥٨٢، و روى عنه المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٦.

١٤.خصائص أمير المؤمنين للنسائي، ص ٤٢، ح ٣٢، و فضائل أحمد، ص ١٥٢، ح ٢٨٠.

١٥.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٤٨، رقم ٢٩٨.

١٦.و هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر - و الشتر:استرخاء الجفن الأسفل، و لعل ذلك صفته (ره) - و الأشتر أمير من كبار الشجعان، و كان رئيس قومه، شهد اليرموك و ذهبت عينه فيه، و شهد الجمل و صفين مع علي عليه السلام و أبلى فيهما بلاء حسن، و ولاه أمير المؤمنين عليه السلام مصر فقصدها بعد اضطراب الأمر على و اليه، و قد اختاره الإمام عليه السلام لحكومة مصر لماضي مصر العريق في العلم و الفلسفة سيما الفلسفة اليونانية التي كانت تدرس هناك، فهو الرجل المناسب لتطور المجتمع المصري آنذاك لأنه من العلماء الفصحاء، و قد سمه في الطريق إلى مصر (نافع) غلام عثمان بتخطيط من معاوية، إذ أن استقرار حكومته في مصر يعني تصفية الحساب مع و إلى الشام، قال علي عليه السلام حينما بلغه خبر شهادته :«رحم الله

مالك، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله»و قال:«إنا لله!مالك و ما مالك!و هل موجود مثل مالك؟لو كان حديدا لكان قيد، و لو كان حجرا لكان صلد، على مثله فلتبك البواكي» ....انظر:الإصابة، (٨٣٤٣) ، تهذيب التهذيب، ١٠: ١١.

١٧.انظر العهد كاملا في نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

١٨.انظر المصدر السابق.

١٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٦٥، و في فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٨، ح ٢٧٣ مع تفاوت في لفظه .

٢٠.معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٠٣، نقلا عن الإحقاق، ج ٨، ص ٥٤٨.

٢١.تذكرة الخواص، ص ١٤٩.

٢٢.ذخائر العقبى، ص ٨٥، و ينابيع المودة، ص ٧٥، و أرجح المطالب، ص ٣٢٨.

٢٣.المناقب لابن المغازلي، ص ٢٤٨، ح ٢٩٦ إلى ٢٩٨.

٢٤.المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢٥.الزبية:حفرة في موضع عال تغطى فوهته، فاذا وطئها الأسد وقع فيها.

٢٦.مسند أحمد، ج ١، ص ٧٧.

٢٧.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٩٣، ح ١٠٧٠ و ١٠٧١.

٢٨.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣٩.

٢٩.ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٩٣، ح ١٠٧٠ و ١٠٧١.

٣٠.معتوهة:مجنونة.

٣١.راجع ذخائر العقبى للطبري، ص ٨١، و الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٤، فضائل الصحابة ـ لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٧٠٧، ح ١٢٠٩.

٣٢.كنز العمال، ج ٥، ص ٤٥١، ح ١٣٥٨٤.

٣٣.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٠، رقم ٢٧٦، المناقب للخوارزمي، ص ٣٩، و في الغدير، ج ٦، ص ١١٠ ـ نقله بعينه عن (الرياض النضرة) و (ذخائر العقبى) و (مطالب السؤول) و (الأربعين) للفخر الرازي .

٣٤.الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٣، ذخائر العقبى، ص ٨١، الكفاية، ص ١٠٥.

٣٥.الطرق الحكمية لابن القيم، ص ٤٧، عن الغدير.

٣٦.الطرق الحكمية، ص ٥٣، نقلا عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٠، رواه في كنز العمال، ج ٥، ص ٤٥٧، ح ١٣٥٩٦ عن أبي الضحى مع اختلاف في بعض ألفاظه.

٣٧.يعس:يطوف بالليل يحرس الناس و يكشف أهل الريبة.

٣٨.كنز العمال، ج ٥، ص ٤٥٧، ح ١٣٥٩٧.

٣٩. (لعل هذه السرقة في«مرة»ثالثة) .

٤٠.المائدة، ٣٣.

٤١.في المغني لابن قدامة، ج ١٠، ص ٢٧٣، سنن البيهقي، ج ٨، ص ٢٧٤، كنز العمال، ج ٣، ص ١١٨ على ما في الغدير، ج ٦، ص ١٣٦.

٤٢.الطرق الحكمية، ص ٤٧، نقلا عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٠.

٤٣.الأذكياء لابن الجوزي، ص ١٨، أخبار الظراف لابن الجوزي، ص ١٩، نقلا عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٦، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٥، ذخائر العقبى، ص ٨٠، تذكرة الخواص، ص ١٤٨، مناقب الخوارزمي، ص ٥٣.

٤٤.البقرة، ٢٣٣.

٤٥.الاحقاف، ١٥.

٤٦.كذا و الصواب:حولان.

٤٧.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٦، ح ٢٦٩، و روى في كنز العمال، ج ٥، ص ٤٧٥، ح ١٣٥٩٨، نحوه.

٤٨.زين الفتى في شرح هل أتى، للحافظ العاصمي نقلا عن الغدير، ج ٨، ص ٢١٤.

٤٩.الاحقاف، ١٥.

٥٠.البقرة، ٢٣٣.

٥١.أخرجه مالك في الموط، ج ٢، ص ١٧٦، البيهقي في السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٤٢، السيوطي في الدر المنثور، ج ٦، ص ٤٠.

٥٢.الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤١، ذخائر العقبى للطبري، ص ٨٤، نزهة المجالس للصفوري، ج ٢، ص ٢١١، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٢، كنز العمال للعلامة الهندي، ج ٥، ص ٨٣٧، ح ١٤٥١٢ و غيرهم.

٥٣.التكامل في الاسلام لاحمد أمين، ج ٤، ص ١٥٩.

٥٤.ثم أوضح الاستاذ أحمد أمين هذا البحث في ١١ صفحة من كتابه في سلسلة مسائل رياضية، و هي خارجة عن إطار الكتاب، و لذا أعرضنا عن توضيحه، و من أراده فليراجع (التكامل في الإسلام لأحمد أمين، ج ٤، ص ١٥٩ ـ ١٧١.)

٥٥.مطالب السؤول، ص ٢٩، طبع طهران نقلا عن الاحقاق، ج ٨، ص ٧٨.

٥٦.دينار الخادم:رجل صالح من أهل الكوفة و كان خصيا.

٥٧.المناقب للخوارزمي، ص ١٠١، تذكرة الخواص، ص ١٤٨، نور الأبصار، ص ٧١، الفصول المهمة، ص ٣٥.

٥٧.المناقب للخوارزمي، ص ١٠١، تذكرة الخواص، ص ١٤٨، نور الأبصار، ص ٧١، الفصول المهمة، ص ٣٥.

الفصل السابع - في مظلوميته عليه السلام و شهادته

مظلومية علي عليه السلام

لم يحدثنا التاريخ عن مظلوم غصب حقه مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، فرغم كل التوصيات التي أوصى بها النبي صلى الله عليه و آله امته و التي يحثهم بها على الاقتداء بعلي عليه السلام، حتى أن ابن مردويه أخرج عن ابن مسعود، قال:كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله:«يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك أن عليا مولى المؤمنين و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس». [1]

رغم هذا و غيره نجد القوم قد تألبوا على الإمام (عليه السلام) بعد رحيل الرسول الأكرم و غصبوه حقه و آذوا زوجته البتول (سلام الله عليها) و انتزعوا منها إرث النبي صلى الله عليه و آله.و هكذا أصبح أسوة العلم و التقوى و الفضيلة و الكمال و هادي الامة بعد نبيها و دليلها إلى النور، جليس بيته لخمس و عشرين سنة، و لم يسمحوا له أن ينير المجتمع البشري بنوره، و أن يرسخ الإسلام المحمدي الأصيل.

نعم، لقد صبر أمير المؤمنين عليه السلام لله، و تحمل كل المظالم و المشاق لأجل بقاء الإسلام و القرآن، و الحافظ على وحدة الامة من التشتت و التمزق، فلنستمع إلى مظلوميته بلسان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و لسانه عليه السلام:

روى الحافظ البخاري، عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال:قال النبي صلى الله عليه و آله لعلي :«إن الامة ستغدر بك». [2]

روى الحاكم النيشابوري، عن حيان الأسدي، قال:سمعت عليا يقول:«قال ليرسول الله صلى الله عليه و آله:إن الامة ستغدر بك بعدي، و أنت تعيش على ملتي، و تقتل على سنتي، من أحبك أحبني، و من أبغضك أبغضني، و إن هذه ستخضب من هذا»يعني لحيته من رأسه [3]

و عنه أيضا بسنده عن زيد بن وهب، قال:قدم على علي عليه السلام وفد من أهل البصرة، و فيهم رجل من الخوارج يقال له:الجعد بن نعجة، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله، ثم قال:إتق الله يا علي!فإنك ميت، فقال علي عليه السلام:«ل، و لكني مقتول ضربة على هذا تخضب هذه - قال:و أشار علي إلى رأسه و لحيته بيده - قضاء مقضي و عهد معهود، و قد خاب من

افترى».ثم عاب عليا في لباسه، فقال:لو لبست لباسا خيرا من هذا.فقال عليه السلام :«إن لباسي هذا أبعد لي من الكبر، و أجدر أن يقتدي بي المسلمون». [٤]

المنافقون يصبون ما أضمروه من الضغائن أيام النبي على علي

قال ابن أبي الحديد:و اعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه و آله بسيف علي عليه السلام و بسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالب عليه السلام وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم و سنتهم و عادتهم أن تعصب به تلك الدماء إلا بعلي وحده [٥] ، و هذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذر عليها مطالبته، طالبت بها أمثل الناس من أهله.إلى أن قال:سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت له:إني لأعجبمن علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و كيف ما اغتيل و فتك به في جوف منزله، مع تلظي الأكباد عليه؟!

فقال:لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب، و وضع خده في حضيض الأرض لقتل، و لكنه أخمل نفسه و اشتغل بالعبادة و الصلاة و النظر في القرآن، و خرج عن ذلك الزي الأول، و ذلك الشعار، و نسي السيف، و صار كالفاتك يتوب و يصير سائحا في الأرض، أو راهبا في الجبال، و لما أطاع القوم الذين ولوا الأمر تركوه و سكتوا عنه، و لم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطأة من متولى الأمر، و باطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه، و لو لا ذلك لقتل، ثم أجل بعد معقل حصين. [٦]

في تفصيل مظلوميته عليه السلام

قال عليه السلام في خطبة له:«فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت على القذى، و شربت على الشجى، و صبرت على أخذ الكظم، و على أمر من طعم العلقم». [٧]

إن هذه الفقرات من كلامه عليه السلام حكاية لحاله الذي كان هو عليه بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله، و ما جرى عليه من الظلم و الجور في اغتصاب الحق الذي كان له عليه السلام.

فأشار إلى أنه فكر في أمر المقاومة و الدفاع عن الحق الذي يرى أنه أولى به، فرآى أنه لا ناصر له إلا أهل بيته، و هم قليلون بالنسبة إلى من لا يعينه، بل و يعين مخالفه.

فإنه لم يكن له إلا بنو هاشم كالعباس و بنيه، و أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و من يخصهم، و ضعفهم و قلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر، فضن بهم عن الموت، لعلمه أنه لو قاوم بهم لقتلو، ثم لا يحصل على مراده، و لذا قال ما قال في الخطبة.

مظلوميته عليه السلام بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه و آله

قال الشارح المعتزلي:إختلفت الروايات في قصة السقيفة، فالذي تقوله الشيعة ـ و قد قال قوم من المحدثين بعضه و رووه كثيرا منه ـ :إن عليا عليه السلام امتنع من البيعة حتى اخرج كره، و إن الزبير بن العوام امتنع من البيعة، و قال:لا ابايع إلا عليا عليه السلام، و كذلك أبو سفيان بن حرب، و خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس، و العباس بن عبد المطلب و بنوه، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و جميع بني هاشم.

و قالوا:إن الزبير شهر سيفه، فلما جاء عمر و معه جماعة من الأنصار و غيرهم، قال في جملة ما قال:خذوا سيف هذ، فاضربوا به الحجر.

و يقال:إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجرا فكسره، و ساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر، فحملهم على بيعته، و لم يتخلف إلا علي عليه السلام وحده، فإنه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام، فتحاموا إخراجه منه قسر، و قامت فاطمة إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه، فتفرقوا و علموا أنه بمفرده لا يضر شيئ، فتركوه.

و قيل:إنهم أخرجوه فيمن اخرج و حمل إلى أبي بكر فبايعه، إلى أن قال:فأما حديث التحريق و ما جرى مجراه من الامور الفظيعة، و قول من قال:إنهم أخذوا عليا عليه السلام يقاد بعمامته و الناس حوله، فأمر بعيد، و الشيعة تنفرد به، على أن جماعة من أهل الحديث قد رووه و سنذكر ذلك. [٨]

و قال في موضع آخر من كتابه:فأما الامور الشنيعة المستهجنة التي يذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، و إنه ضربها بالسوط فصار في عضدهاكالدملج، و بقي أثره إلى أن ماتت، و إن عمر ضغطها بين الباب و الجدار فصاحت:«يا أبتاه، يا رسول الله»و ألقت جنينا ميت، و جعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به، و هو يعتل، و فاطمة خلفه تصرخ و تنادي بالويل و الثبور، و ابناه حسن و حسين معهما يبكيان، و إن عليا لما احضر سلموه البيعة، فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال:«إذن تقتلون عبد الله، و أخا رسول الله!!».

فقالوا:أما عبد الله فنعم، و أما أخو رسول الله فل، و إنه طعن في أوجههم بالنفاق، و سطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليه، و بأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه و آله ليلة العقبة.

قال ابن أبي الحديد:فكله لا أصل له عند أصحابن، و لا يثبته أحد منهم، و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه، و إنما هو شي تنفرد الشيعة بنقله. (٩)

أقول:العجب من ابن أبي الحديد كيف ينكر حديث التحريق و ما بعده، و يزعم أنه مما انفردت به الشيعة، مع رواية الجوهري له، و كونه من الثقات المأمونين عند ابن أبي الحديد (١٠) ، و رواه غير واحد من رواتهم أيضا مطابقا لما روته الشيعة.

فممن رواه عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال:لما بويع لأبي بكر كان الزبير و المقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي عليه السلام، و هو في بيت فاطمة، فيتشاورون و يتراجعون امورهم، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام و قال:يا بنت رسول الله، ما من أحد من الخلق أحب إلينا منك بعد أبيك، و ايم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم. فلما خرج عمر جاؤوه، فقالت:«تعلمون أن عمر جاءني، و حلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت، و ايم الله ليمضين لما حلف له، فانصرفوا عنا راشدين»فلم يرجعوا إلى بيته، و ذهبوا فبايعوا لأبي بكر. (١١)

و روى ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري أيض، قال:و كثر الناس على أبي بكر، فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم، و اجتمعت بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب، و معهم الزبير، و كان يعد نفسه رجلا من بني هاشم، كان علي يقول:«ما زال الزبير منا أهل البيت، حتى نشأ بنوه، فصرفوه عنا».

و اجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان، و اجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبد الرحمن، فأقبل عمر إليهم و أبو عبيدة، فقال:مالي أراكم ملتاثين؟قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايع له الناس، و بايعه الأنصار.فقام عثمان و من معه، و قام سعد و عبد الرحمن و من معهم، فبايعوا أبا بكر .

و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حضير و سلمة بن أسلم، فقال لهم:انطلقوا فبايعو، فأبوا عليه، و خرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر:عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به و بعلي و معهما بنو هاشم، و علي يقول:أنا عبد الله و أخو رسول الله صلى الله عليه و آله، حتى انتهؤا به إلى أبي بكر، فقيل له:بايع، فقال:أنا أحق

بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، و سلموا إليكم الإمارة، و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار.فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، و إلا فبوؤا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال عمر:إنك لست متروكا حتى تبايع.فقال له علي:احلب يا عمر حلبا لك شطره!اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا!ألا و الله لا أقبل قولك و لا أبايعه.إلىأن قال:فقال علي:يا معشر المهاجرين، الله الله!لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه، فو الله يا معشر المهاجرين، لنحن ـ أهل البيت ـ أحق بهذا الأمر منكم.أما كان منا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية!و الله إنه لفين، فلا تتبعوا الهوى، فنردادوا من الحق بعدا.

فقال بشير بن سعد:لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبى بيكر، ما اختلف عليك اثنان، و لكنهم قد بايعوا.

و انصرف علي إلى منزله، و لم يبايع، و لزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع [١٢] .

و روى عن أحمد بن العزيز الجوهري أيضا:حدثنا أحمد و قال:حدثنا ابن عفير، قال:حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي رضى الله عنهم، أن عليا حمل فاطمة على حمار، و سار بها ليلا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، و تسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون:يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي:أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه، و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه!

و قالت فاطمة:ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، و صنعوا هم ما الله حسبهم عليه [١٣] .

و قال ابن عبد ربه في (العقد الفريد) في الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر:علي، و العباس، و الزبير، و سعد بن عبادة، فأما علي و العباس و الزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة و قال له:إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت:«يابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا؟».قال :نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة...الحديث [١٤] ثم نقل ابن عبد ربه، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت:لم يبايع علي

عليه السلام أبا بكر حتى ماتت فاطمة، و ذلك بعد ستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه و آله [١٥]

.

و قال ابن قتيبة الدينوري:و خرج علي عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، و كانوا يقولون:يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أن زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فيقول علي عليه السلام:«أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه و آله في بيته لم أدفنه و أخرج أنازع الناس سلطانه؟!».

فقالت فاطمة:«ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم»و ساق الكلام إلى أن قال ـ بعد ذكر عدم بيعة علي عليه السلام ـ :فأتى عمر أبا بكر، فقال له :ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟

فقال أبو بكر لقنفذ [١٦] ـ و هو مولى له ـ :اذهب فادع لي عليا.

قال:فذهب إلى علي عليه السلام فقال له:«ما حاجتك».

فقال (قنفذ) :يدعوك خليفة رسول الله.

فقال علي عليه السلام:«لسريع ما كذبتم على رسول الله»فرجع فأبلغ الرسالة، قال:فبكى أبو بكر طويل، فقال عمر الثانية:لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة.

فقال أبو بكر لقنفذ:عد إليه، فقل له:خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدى ما أمر به، فرفع علي عليه السلام صوته فقال:«سبحان الله!لقد ادعى ما ليس له»فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويل، ثم قام عمر فمشى و معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة عليها السلام فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها:«يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، و ابن أبي قحافة».

فلما سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين، و كادت قلوبهم تنصدع و أكبادهم تنفطر، و بقي عمر و معه قوم، فأخرجوا عليا عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له:بايع، فقال :«إن أنا لم أفعل فمه؟».

قالوا:إذا و الله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك.فقال:«إذا تقتلون عبد الله، و أخا رسوله !!».

قال عمر:أما عبد الله، فنعم، و أما أخو رسوله فل، و أبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر :ألا تأمر فيه بأمرك؟

فقال:لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه و آله يصيح و يبكي و ينادي:«يا ابن ام، إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني» .[١٧]

إذن فما رواه الشيعة لم ينفردوا به، بل هو مطابق لما رواه كثير من المؤرخين، هذا و لو استعرضنا جميع أقوالهم في هذا المجال لطال بنا المقام، لذا نكتفي بما ذكرناه، و نحيل القاري الكريم إلى المظان التاريخية التي تكفلت بذكر تلك الأحداث العظيمة من تاريخنا الاسلامي .[١٨]

مظلوميته عليه السلام في الشورى

إن مظلومية الإمام علي عليه السلام و شدة تأثره بعد عمر بن الخطاب في قضية الشوريظهر جليا في كلمات خطبته الشقشقية، حيث يقول:«أما و الله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، و لا يرقى إلي الطير»، إلى أن قال:«فصبرت على طول المدة و شدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم، فياالله و للشورى!متى اعترض الريب في مع الأول منهم؟حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكني أسففت إذ أسفو، و طرت إذ طارو، فصغا رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره مع هن و هن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه»الخطبة.[١٩]

و على هذا المنوال قال أيض ـ على ما نسب إليه عليه السلام من الحكم في شرح ابن أبي الحديد : ـ «كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله كجزء من رسول الله صلى الله عليه و آله، ينظر إلي الناس كما ينظر إلى الكواكب في افق السماء، ثم غض الدهر مني، فقرن بي فلان و فلان، ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلت:و اذفراه[٢٠] ، ثم لم يرض الدهر لي بذلك، حتى أرذلني، فجعلني نظيرا لابن هند و ابن النابغة!لقد استنت الفصال حتى القرعى».[٢١]

و في رسالته عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان:«فياعجبا للدهر، إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، و لم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثله، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، و لا أظن الله يعرفه، و الحمد لله على كل حال».[٢٢]

و فيما يلي قصة الشورى التي تظهر فيها مظلومية علي عليه السلام جلية.

قال ابن أبي الحديد في شرحه:إن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة و علم أنه ميت، استشار فيمن يوليه الأمر بعده، فاشير عليه بابنه عبد الله، فقال:لاها الله إذا لا يليها رجلان من ولد الخطاب، حسب عمر ما حمل!حسب عمر ما احتقب [٢٣] ، لاها الله!لا أتحملها حيا و ميتا!.

ثم قال:إن رسول الله صلى الله عليه و آله مات و هو راض عن هذه الستة من قريش:علي، و عثمان، و طلحة، و الزبير، و سعد، و عبد الرحمن بن عوف، و قد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم .

ثم قال:أدعوهم لي، فدعوهم، فدخلوا عليه و هو ملقى على فراشه يجود بنفسه، فنظر إليهم، فقال :اكلكم يطمع في الخلافة بعدي، فوجموا [٢٤] فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير، و قال:و ما الذي يبعدنا منها!وليتها أنت فقمت به، و لسنا دونك في قريش، و لا في السابقة، و لا في القرابة.

قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ:و الله لولا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذلك، لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة، و لا أن تنفس منه بلفظه، فقال عمر:أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ !قال:قل، فإنا لو استعفيناك لم تعفنا.

ثم أقبل عمر إلى كل واحد من الستة الحاضرين بين يديه، و خاطب القوم بكلمات جارحة، و ذمهم ذما شديدا إلا علي بن أبي طالب عليه السلام سوى قوله:لله أنت (يا علي) لولا دعابة [٢٥] فيك! [٢٦] أما و الله لنن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح و المحجة البيضاء ـ إلى أن قال ـ :أدعوا إلي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال:انظر يا أبا طلحة، اذا عدتم من حفرتي، فكن في خمسين رجلا من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر و تعجيله، و اجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا و يختاروا واحدا منهم، فإن اتفق خمسة و أبى واحد فاضرب عنقه، و إن اتفق أربعة و أبى أثنان فاضرب أعناقهم، و إن اتفق ثلاثة و خالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن، فارجع إلى ما قد اتفقتعليه، فإن أصرت الثلاثة الاخرى على خلافها فاضرب أعناقه، و إن مضت ثلاثة أيام و لم يتفقوا على أمر، فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر، جمعهم أبو طلحة، و وقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثم تكلم القوم و تنازعو، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان، و ذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به عليا و عثمان، و أن الخلافة لا تخلص له و

هذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان و إضعاف جانب علي عليه السلام بهبة أمر لا انتفاع له به، و لا تمكن له منه.

فقال الزبير في معارضته:و أنا أشهدكم على نفسي أني و قد وهبت حقي من الشورى لعلي، و إنما فعل ذلك لأنه لما رأى عليا قد ضعف و انخزل بهبة طلحة حقه لعثمان، دخلته حمية النسب، لأنه ابن عمة أمير المؤمنين عليه السلام و هي صفية بنت عبد المطلب، و أبو طالب خاله.

و إنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن علي عليه السلام باعتبار أنه تيمي و ابن عم أبي بكر، و قد كان حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، و كذلك صار في صدور تيم على بني هاشم، و هذا أمر مركوز في طبيعة البشر، و خصوصا طينة العرب و طباعها و التجربة إلى الآن تحقق ذلك، فبقي من الستة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقاص:و أنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمن، و ذلك لأنهما من بني زهرة، و لعلم سعد أن الأمر لا يتم له، فلما لم يبق إلا الثلاثة، قال عبد الرحمن لعلي و عثمان:أيكما يخرج نفسه من الخلافة، و يكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟

فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبد الرحمن:أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة، على أن أختار أحدهم، فأمسك، فبدأ بعلي عليه السلام و قال له:ابايعك على كتاب الله، و سنة رسول الله، و سيرة الشيخين:أبي بكر و عمر.فقال:«بل على كتاب الله، و سنة رسوله، و اجتهاد رأيي»فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك، عليه، فقال:نعم:فعاد إلى علي عليه السلام فأعاد قوله، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاث، فلما رأى أن عليا عليه السلام غير راجع عما قاله، و أن عثمان ينعم له [٢٧] بالاجابة، صفق على يد عثمان، و قال:السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال:إن عليا عليه السلام قال له:«و الله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم [٢٨] ».

قيل:ففسد بعد ذلك (بدعاء علي عليه السلام) بين عثمان و عبد الرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن. [٢٩]

قصة التحكيم و ظهور أمر الخوارج

و من أمر المظلومية أن يقف أعوان المرء في وجهه و هو على أعتاب الانتصار على العدو، و كان هذا ما واجهه علي عليه السلام، فلما أن أشرف على النصر يوم صفين أحدث معاوية خديعته برفع المصاحف، فوقف أصحاب الإمام علي عليه السلام يعارضون أميرهم.

قال الشارح المعتزلي:إن الذي دعا إليه طلب أهل الشام له و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق، فقد كانت أمارات القهر و الغلبة لاحت، و دلائل النصر و الظفر و ضحت، فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع، و كان ذلك برأي عمرو بن العاص، و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير [٣٠] ، و هي الليلة العظيمة التي يضرب‌بها المثل. [٣١]

قال ابن أبي الحديد في موضع آخر من شرحه على نهج البلاغة:لما بلغ معاوية أمارات القهر و الغلبة لجيش علي عليه السلام، فدعا عمرو بن العاص و قال:يا عمرو، إنما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل، فما ترى؟

قال:إن رجالك لا يقومون لرجاله، و لست مثله، هو يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون عليا إن ظفر بهم، و لكن ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفو، و إن ردوه اختلفو، ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك و بينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم، و إني لم أزل أوخر هذا الامر لوقت حاجتك إليه.فعرف معاوية ذلك، و قال له:صدقت. [٣٢]

رفع المصاحف

روى نصر باسناده عن جابر، قال:سمعت تميم بن حذيم يقول:لما أصبحنا من ليلة الهرير، نظرن، فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف علي عليه السلام و معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرماح، و هي عظام مصاحف العسكر، و قد شدوا ثلاثة أرماح جميع، و ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

و قال أبو جعفر و أبو الطفيل:استقبلوا عليا بمائة مصحف، و وضعوا في كل مجنبة [٣٣] مائتي مصحف، فكان جميعها خمسمائة مصحف. [٣٤]

بداية الخلاف في جيش علي عليه السلام

قال الشارح المعتزلي، عن أبي جعفر:ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي عليه السلام و قام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، و قام و رقاء بن المعمر حيال الميسرة، ثم نادوا:يا معشر العرب، الله الله في النساء و البنات و الأبناء من الروم و الأتراك و أهل فارس غدا إذا فنيتم، الله الله في دينكم!هذا كتاب الله بيننا و بينكم.

فقال علي عليه السلام:«أللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنك أنت الحكم الحق المبين».

فاختلف أصحاب علي عليه السلام في الرأي، فطائفة قالت:القتال، و طائفة قالت:المحاكمة إلى الكتاب، و لا يحل لنا الحرب، و قد دعينا إلى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب و وضعت أوزارها .[٣٥]

علي عليه السلام يطلع جيشه على المؤامرة لكنه يهدد بالقتل

فقال علي عليه السلام:«أيها الناس، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، و لكن معاوية، و عمرو بن العاص، و ابن أبي معيط، و ابن أبي سرح، و ابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا و رجال، فكانوا شر صغار و شر رجال، و يحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل!ما رفعوها أنهم يعرفونها و يعملون به، و لكنها الخديعة و الوهن و المكيدة!أعيروني سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، و لم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا» .

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد، شاكي سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودت جباهم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، و زيد بن حصين، و عصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرةالمؤمنين:يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم!.

فقال لهم:«ويحكم!أنا أول من دعا إلى كتاب الله، و أول من أجاب إليه، و ليس يحل لي، و لا يسعني في ديني أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا فيما أمرهم، و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون».

قالوا:فابعث إلى الأشتر ليأتينك، و قد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله.[٣٦]

إنتخاب الحكمين

و انصرف الأشعث إلى علي عليه السلام فأخبره[بما اتفق عليه مع معاوية في أن يبعث أهل العراق رجلا يرضون به، و يبعث أهل الشام رجلا]، فبعث علي عليه السلام قراء من أهل العراق، و بعث معاوية قراء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين و معهم المصحف، فنظروا فيه و تدارسو، و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، و يميتوا ما أمات القرآن، و رجع كل فريق إلى صاحبه، فقال

أهل الشام:إنا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص، و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد:قد رضينا نحن و اخترنا أبا موسى الأشعري.

فقال لهم علي عليه السلام:«فإني لا أرضى بأبي موسى، و لا أرى أن أوليه».

فقال الأشعث، و زيد بن حصين، و مسعر بن فدكي في عصابة من القراء:إنا لا نرضى إلا به، فإنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه.

فقال علي عليه السلام:«فإنه ليس لي برضى، و قد فارقني و خذل الناس عني، و هرب مني حتى أمنته بعد أشهر، و لكن هذا ابن عباس اوليه ذلك».قالوا:و الله ما نبالي، أكنت أنت أو ابن عباس، و لا نريد إلا رجلا هو منك و من معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر .

قال علي عليه السلام:«فإني أجعل الأشتر».

فقال الأشعث:و هل سعر الأرض علينا إلا الأشتر!و هل نحن إلا في حكم الأشتر.

قال علي عليه السلام:«و ما حكمه؟».

قال:حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ما أردت و ما أراد، و ساق الكلام إلى قوله :قال نصر:فقال علي عليه السلام:«قد أبيتم إلا أبا موسى!»

قالوا:نعم.

قال:«فاصنعوا ما شئتم»فبعثوا إلى أبي موسى ـ و هو بأرض من أرض الشام، يقال لها عرض [٣٧] ، قد اعتزل القتال ـ فأتاه مولى له، فقال:إن الناس قد اصطلحوا.فقال:الحمد لله رب العالمين .قال:و قد جعلوك حكما.فقال:إنا لله و إنا إليه راجعون. [٣٨]

قال نصر بن مزاحم:فلما رضي أهل الشام بعمرو بن العاص، و أهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب الموادعة...و كتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع و ثلاثين، و اتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين علي عليه السلام موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان، الحديث. [٣٩]

اجتماع الحكمين

و لما جاء وقت اجتماع الحكمين، أرسل علي عليه السلام أربعمائة رجل عليهم شريح بن‌هاني الحارثي، و بعث معهم عبد الله بن عباس و هو يصلي بهم ويلي امورهم و معهم أبو موسى الأشعري .

و كذا أرسل معاوية، عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح في شهر رمضان.

فلما اجتمع الحكمان و جرى بينهما ما جرى، و أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام، و كان مكرا و خديعة، حيث خلع أبو موسى عليا عليه السلام و معاوية، و أخل ابن العاص بالاتفاق فخلع عليا عليه السلام و أثبت معاوية، فقال له ابن عباس:و يحك!و الله إني لأظنه قد خدعك؟أما أبو موسى فكان مغفل، فقال:إنا قد اتفقنا. (٤٠)

و قال المسعودي في (مروج الذهب) :و وجدت في وجه آخر من الروايات أنهما اتفقا على خلع علي و معاوية، و أن يجعلا الأمر بعد ذلك شورى، يختار الناس رجلا يصلح لهم أمرهم فقدم عمرو أبا موسى. (٤١)

و فيه أيضا:قال عمرو:أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر و الخير للمسلمين فاخطب الناس، و اخلع صاحبينا[معا]و تكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه، فقال أبو موسى:بل أنت قم فاخطب، فأنت أحق بذلك، قال عمرو:ما احب أن أتقدمك، و ما قولي و قولك للناس إلا قول واحد، فقم راشدا .

فقام أبو موسى، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه صلى الله عليه و آله، ثم قال:

أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمرن، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن و الصلاح و لم الشعث و حقن الدماء و جمع الالفة، خلعنا عليا و معاوية، و قد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ـ ثم أهوى إلى عمامته فخلعه ـ و استخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه و آله بنفسه، و صحب أبوه النبي صلى الله عليه و آله، فبرز في سابقته ـ و هو عبد الله بن‌عمر ـ و أطراه، و رغب الناس فيه، ثم نزل.

فقام عمرو بن العاص، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم قال:أيها الناس، إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليا و أخرجه من هذا الأمر الذي يطلب و هو أعلم به، ألا و إني قد خلعت عليا معه، و أثبت معاوية علي و عليكم، و إن أبا موسى قد كتب في الصحيفة إن عثمان قد قتل مظلوما شهيد، و إن لوليه (سلطانا) أن يطلب بدمه حيث كان، و قد صحب معاوية، رسول الله بنفسه، و صحب أبوه النبي صلى الله عليه و آله (و أطراه، و رغب الناس فيه، و قال) :هو الخليفة علين، و له طاعتنا و بيعتنا على الطلب بدم عثمان.

فقال أبو موسى:كذب عمرو، لم نستخلف معاوية و لكنا خلعنا معاوية و عليا مع، فقال عمرو :بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع عليا و لم أخلع معاوية. [٤٢]

و فيه أيضا:و انخزل أبو موسى فاستوى على راحلته و لحق بمكة، و لم يعد إلى الكوفة، و قد كانت خطته و أهله و ولده به، وآلى أن لا ينظر إلى وجه علي عليه السلام ما بقي، و مضى ابن عمر و سعد إلى بيت المقدس، (فأحرما) . [٤٣]

خطبة الإمام علي عليه السلام بعد التحكيم

روي أن عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعري لما التقيا بدومة الجندل و قد حكما في أمر الناس، كان أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به، فلما تمت خدعة عمرو لأبي موسى، و بلغه عليه السلام ذلك، اغتم له غما شديدا و وجم منه، و قام فخطب الناس، فقال:

«الحمد لله، و إن أتى الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجليل، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، و أن محمدا عبده و رسوله.أما بعد:

فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة و تعقب الندامة، و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، و نخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة، و المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه، و ضن الزند بقدحه، فكنت أنا و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصح إلا صحى الغد» [٤٤]

و هذه الألفاظ من خطبة خطبها عليه السلام بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى و افتراقهم، لكاشفة عن مظلوميته في هذه الواقعة المؤلمة.

تثاقل أصحابه عن النصرة

إن المقصود بالخطبة الشريفة التالية ذم أصحابه عليه السلام و توبيخهم على تثاقلهم من جهاد معاوية و أصحابه، فقال:«و لئن أمهل الله الظالم و متعه في دار الدنيا فلن يفوته أخذه، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، و بموضع الشجى من مساغ ريقه، أما و الذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم اولى بالحق منكم.و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حقي، و لقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاته، و أصبحت أخاف ظلم رعيتي، أستنفرتكم للجهاد فلم

تنفرو، و أسمعتكم فلم تسمعو، و دعوتكم سرا و جهرا فلم تستجيبو، و نصحت لكم فلم تقبلوا»إلى أن قال - :

«أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصي الله و هم يطيعونه، لوددت و الله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم و أعطاني رجلا منهم»الخطبة. [٤٥]

الحث على الجهاد و ذم المتقاعسين

الخطبة التالية من مشاهير خطبه عليه السلام قد ذكرها كثير من المؤرخين و الرواة، و رواها أبو العباس المبرد، و أسقط من هذه الرواية ألفاظا:و زاد فيها ألفاظ، قال:فانتهى إلى علي عليه السلام أن خيلا وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملا له يقال له:حسان بن حسان، فخرج عليه السلام مغضبا يجر رداءه.حتى أتى النخيلة، و أتبعه الناس، فرقى ربوة من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه صلى الله عليه و آله ثم قال:«أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله الذل و سيم الخسف»إلى أن قال:«ألا و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهار، و سرا و إعلان، و قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلو، فتواكلتم و تخاذلتم، حتى شنت [٤٦] عليكم الغارات و ملكت عليكم الأوطان.

و هذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكري، و أزال خيلكم عن مسالحها [٤٧] ، و لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهدة [٤٨] فينتزع حجلها [٤٩] و قلبها [٥٠] و قلائدها و رعاثه، ما تمتنع منه إلا بالإسترجاع [٥١] و الإسترحام، ثم انصرفوا و افرين، ما نال رجلا منهم كلم [٥٢] ، و لا اريق لهم دم، لو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوم، بل كان به عندي جديرا.

إلى أن قال:إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم:هذه حمارة القيظ [٥٣] أمهلنا يسبخ عنا الحر [٥٤] ، و إذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم:هذه صبارة [٥٥] القر [٥٦] أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر و القر، فإذا كنتم من الحر و القر تفرون، فأنتم و الله من السيف أفر.

يا أشباه الرجال و لا رجال، حلوم الأطفال، و عقول ربات الحجال [٥٧] ، لوددت أني لم أركم و لم أعرفكم معرفة - و الله - جرت ندما و أعقبت سدم، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيح، و شحنتم صدري غيظ، و جر عتموني نغب التهام أنفاس، و أفسدتم علي رأيي بالعصيان و الخذلان، حتى قالت

قريش:إن ابن أبي طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، و هل أحد منهم أشد لها مراسا و أقدم فيها مقاما مني؟لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أنا ذا قد ذرفت على الستين، و لكن لا رأي لمن لا يطاع». [٥٨]

لقد خطب هذه الخطبة الشريفة في أواخر عمره الشريف، و ذلك بعد ما انقضت وقعة صفين، و استولى معاوية على البلاد، و أكثر القتل و الغارة في الأطراف، و أمر سفيان بن عوف الغامدي بالمسير إلى الأنبار، و قتل أهلها.

و تفصيل ذلك رواه ابن أبي الحديد المعتزلي عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي بسنده عن أبي الكنود، فراجعه. [٥٩]

مظلوميته عليه السلام بعد شهادته

و أجلى صور المظلومية أنه صارت المنابر في الشرق و الغرب في حكومة الأمويين على مدى أربعين سنة محلا لشتمه و سبه، و معرضا لإهانته و لعنه حتى صار ذلك سنة جارية بينهم، و قد أخبر عليه السلام بذلك حيث قال لأصحابه:

«أما إنه سيظهر [٦٠] عليكم بعدي رجل رحب البلعوم [٦١] مندحق [٦٢] البطن، يأكل ما يجد، و يطلب ما لا يجد، فاقتلوه و لن تقتلوه، ألا و إنه سيأمركم بسبي و البراءة مني، فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة و لكم نجاة، و أما البراءة فلا تتبروا مني، فإني ولدت على الفطرة، و سبقت إلى الإيمان و الهجرة». [٦٣]

في تسخير العملاء و شراء الذمم

لقد سخر معاوية عددا من العملاء ممن أعمت قلوبهم المادة و تمسكوا بحطام الدنيا و آثروه على رضا الخالق العزيز، و قد بذل لهم معاوية الأموال الطائلة و المناصب العالية، مستغلا كونهم ممن أدرك عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أو أنهم مقربون لأحد صحابته، و ذلك لكي يختلقوا الأحاديث و ينتحلوها على رسول الله صلى الله عليه و آله مدعين أنه صلى الله عليه و آله قالها ذما لعلي عليه السلام.

و إنما عمل معاوية لعنه الله ذلك كي يدوم حكمه لبضعة أيام اخرى، و لكي يتقرب إلى قلوب الناس، لأن ماضيه الذي لا يحسد عليه ليس فيه ميزة أو خصلة تجذب الجماهير إليه، كما أنه لم يسجل و لا موقفا واحدا في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آلهيجعله ذا بال أو ممن يشار إليه بالبنان، بل

إنه كان و أبوه من رؤوس الكفر و الإلحاد، لذا لم يجد له ما يقربه إلى قلوب الناس سوى هذه الفعلة التي بقيت لعنة له و لمن تمسك به على طول التاريخ .

لقد كانت القلوب متوجهة صوب علي عليه السلام سيما بعد الثورة التي أطاحت بعثمان، و ذلك لأن فضائل علي عليه السلام و مناقبه كانت قد ملأت العيون و المشاهد و الأسماع و ثبتت في قلوب المؤمنين قبل أن تسجلها أقلامهم، لذا لم يجد معاوية بدا إلا أن يسعى لأجل انتزاع هذا التوجه و هذه المحبة من قلوب الناس، و أن يجعل من نفسه رجلا محبوبا مقربا إلى نفوس الجماهير بشتى الوسائل و الأساليب.

نقل الشارح المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الإسكافي [٦٤] أنه قال:إن معاوية وضع قوما من الصحابة و قوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير . [٦٥]

أقول:لكن الشمس لا تحجب بغربال، فشمس علي عليه السلام أبت إلا أن تخرج من الظلام الذي اصطنعه النواصب على مدى التاريخ، و بقيت أشعة فضائله و مناقبه عليه السلام تشرق على الدنيا في كل العصور لتغطيها بمكارم الأخلاق، و لعل المقارنة بين قبره عليه السلام و قبر معاوية خير شاهد على ما نقول.

و سنشير إلى نماذج من الأخبار الموضوعة من قبل معاوية و أتباعه لنتبين من خلالها على مظلومية أمير المؤمنين علي عليه السلام.

جملة من الوضاعين و أخبارهم

ما رواه أبو هريرة

روى أبو هريرة الحديث الذي معناه أن عليا عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله، فأسخطه، فخطب على المنبر، و قال:«لاها الله!لا تجتمع ابنة ولي الله، و ابنة عدو الله أبي جهل، إن فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيه، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي و ليفعل ما يريد؟!»أو كلاما هذا معناه. [٦٦]

عن الأعمش، قال:لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرار، و قال:يا أهل العراق،

أتزعمون أني أكذب على الله و على رسوله، و أحرق نفسي بالنار!و الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«إن لكل نبي حرم، و إن حرمي بالمدينة، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين»و أشهد بالله أن عليا أحدث فيه، فلما بلغ معاوية قوله أجازه و أكرمه، و ولاه إمارة المدينة. [٦٧]

قال الشارح المعتزلي:فأما قول أبي هريرة:إن عليا عليه السلام (أحدث في المدينة) فحاش لله!كان علي عليه السلام أتقى لله من ذلك، و الله لقد نصر عثمان نصرا لو كان المحصور جعفر بن أبي طالب لم يبذل له إلا مثله. [٦٨]

و قال أبو جعفر الإسكافي:أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بن الخطاب بالدرة، و قال:قد أكثرت من الرواية و أحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله صلى الله عليه و آله [٦٩] .

رواية عمرو بن العاص

قال عمرو:سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله و صالح المؤمنين»! [٧٠]

رواية عروة بن الزبير

روى الزهري أن عروة بن الزبير قال:حدثتني عائشة، قالت:كنت عند رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أقبل العباس و علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه و آله:«يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي - أو قال:على غير ديني»؟! [٧١] .

رواية عليه السلام سمرة بن جندب

قال أبو جعفر الاسكافي:و قد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: (و من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو ألد الخصام و إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد) . [٧٢]

و أن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، و هي قوله تعالى: (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) [٧٣] ، فلم يقبل، فبذل مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل. [٧٤]

و قد صارت ـ أي سبة أمير المؤمنين عليه السلام ـ سنة جارية، و كانت في أيامالامويين سبعون ألف منبر يلعن عليها أمير المؤمنين عليه السلام [٧٥] و اتخذوا ذلك كعقيدة راسخة، أو فريضة ثابتة، أو سنة متبعة يرغب فيها بكل شوق و توق حتى أن عمر بن عبد العزيز لما منع عنها لحكمة عملية أو لسياسة وقتية، حسبوه كأنه جاء بطامة كبرى أو اقترف إثما عظيما.

روى ابن الأثير في (اسد الغابة) عن شهر بن حوشب، أنه قال:أقام فلان خطباء يشتمون عليا عليه السلام و يقعون فيه حتى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم، يقال له:أنيس، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:إنكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل و شتمه، و إني اقسم بالله إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:«إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من مدر و شجر»و أقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل إليكم و تعجز عن أهل بيته؟!. [٧٦]

سبب منع عمر بن عبد العزيز عن سب علي عليه السلام

قال الشارح المعتزلي:فأما عمر بن عبد العزيز فإنه قال:كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوما و أنا ألعب مع الصبيان، و نحن نلعن علي، فكره ذلك و دخل المسجد، فتركت الصبيان و جئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلى و أطال في الصلاة ـ شبه المعرض عني ـ حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي فقلت له:ما بال الشيخ؟فقال لي:يا بني، أنت اللاعن عليا منذ اليوم؟!قلت:نعم.

قال:فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟فقلت:يا أبت، و هل كان علي عليه السلام من أهل بدر؟

فقال:ويحك!و هل كانت بدر كلها إلا له.فقلت:لا أعود.فقال:و الله إنك لا تعود!قلت:نعم، فلم ألعنه بعدها.ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة و أبي يخطب يوم الجمعة، و هو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم، و يعرض له من الفهاهة و الحصر ما الله عالم به، فكنت أعجت من ذلك، فقلت له يوما:يا أبت، أنت أفصح الناس و أخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن عييا؟!

فقال:يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري،

فأعطيت الله عهد، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لاغيرنه، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك و جعلت مكانه (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون) [٧٧] و كتبت به إلى الآفاق فصار سنة. [٧٨]

وصيته بإخفاء قبره

و كفى في مظلوميته عليه السلام وصيته بإخفاء قبره عن الناس حذرا من أن يهتك الخوارج لعنهم الله حرمته مع كونه أمير المؤمنين و سيد الوصيين، و لم يزل مخفيا إلى زمان هارون العباسي حيث دل عليه أهل البيت عليهم السلام.

تعليقات:

١.تفسير الدر المنثور للسيوطي، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢.التاريخ الكبير، ج ١، قسم ٢، ص ١٧٤.

٣.المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١٤٢.

٤.المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٣.

٥.قال رسول الله صلى الله عليه و آله في خبر:«يا علي، اتق الضغائن التي في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي، اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون»ثم بكى النبي صلى الله عليه و آله فقيل:مم بكاؤك يا رسول الله؟قال:«أخبرني جبرئيل أنهم يظلمونه و يمنعونه حقه، و يقاتلونه، و يقتلون ولده، و يظلمونهم بعده»، بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٤٥.

٦.شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٣٠٠.

٧.نهج البلاغة، ص ٨٣، الخطبة ٢٦، العلقم:شجر بالغ المرارة، و يطلق عند العرب على كل مر.

٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢١.

٩.المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٠.

١٠.المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠.

١١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٥.

١٢.شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١ - ١٢.

١٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٣.

١٤.راجع العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٩.

١٥.المصدر السابق.

١٦.قنفذ:رجل فظ غليظ، جاف، من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب ـ كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥.

١٧.الإمامة و السياسة، ج ١، ص ١٣.

١٨.راجع كتاب الغدير للشيخ الأميني، و كتاب إحراق بيت فاطمة عليها السلام للشيخ حسين غيب غلامي الذي يحتوي على دراسة مفصلة في مصادر و اسناد قضية احراق بيت الزهراء عليها السلام من الكتب المعتبرة عند أهل السنة.

١٩.الخطبة المعروفة بالشقشقية، نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢٠.الذفر:الرائحة الخبيثة.

٢١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٣٢٦.

٢٢.نهج البلاغة، الكتاب ٩.

٢٣.احتقب الاثم:جمعه، و احتقب الشي:حمله خلفه.

٢٤.وجم وجما و وجوما:سكت على غيظ.

٢٥.الدعابة بالضم:المزاح و اللعب.

٢٦.من أراد تفصيل الحديث فليلاحظه في شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٥.

٢٧.أنعم له:إذا قال مجيبا«نعم».

٢٨.منشم بكسر الشين:اسم أمرأة كانت بمكة عطارة، و كانت خزاعة و جرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبه، و كانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال:أشأم من عطر منشم، فصار مثلا.

٢٩.شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٨، و راجع الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٩، و تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٢.

٣٠.من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع، و هو صوت دون النباح.

٣١.شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٦.

٣٢.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٩.

٣٣.المجنبة بكسر النون المشددة:ميمنة الجيش أو ميسرته.

٣٤.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١١.

٣٥.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٢.

٣٦.المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٦.

٣٧.عرض:بلد بين تدمر و رصافة الشام.

٣٨.راجع المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٨.

٣٩.و تفصيلها في شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٣٢، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٨٩، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٦٢.

٤٠.راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٩٤، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٩٤، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٤٤.

٤١.مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠٩.

٤٢.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٨.

٤٣.المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٠.

٤٤.نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.

٤٥.المصدر السابق، الخطبة ٩٦.

٤٦.شنت عليكم الغارات:فرقت.

٤٧.المسالح:جمع مسلحة و هي كالثغر و المرقب.

٤٨.المعاهدة:الذمية.

٤٩.الحجل:الخلخال.

٥٠.القلب:السوار المصمت.

٥١.أي بقولها:إنا لله و إنا إليه راجعون.

٥٢.الكلم:الجراح.

٥٣.يسبح عنا الحر:يخف.

٥٤.يسبح عنا الحر:يخف.

٥٥.صبارة الشتاء:شدة برده.

٥٦.القر:البرد.

٥٧.ربات الحجال:النساء.

٥٨.نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٥٩.شرح ابن أبي الحديد ج ٢، ص ٨٥ الى ٨٧.

٦٠.سيظهر عليكم:سيغلب.

٦١.رحب البلعوم، واسعه.

٦٢.مندحق البطن:عظيم البطن، بارزه.

٦٣.نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

٦٤.من متكلمي المعتزلة و أحد أئمتهم.

٦٥.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣.

٦٦.المصدر السابق، ص ٦٤.

٦٧.المصدر السابق، ص ٦٧.

٦٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٧.

٦٩.المصدر السابق، ص ٦٨.

٧٠.المصدر السابق، ص ٦٤.

٧١.المصدر السابق، ص ٦٣.

٧٢.البقرة، ٢٠٤ و ٢٠٥.

٧٣.البقرة، ٢٠٧.

٧٤.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٣.

٧٥.راجع الغدير، ج ٢، ص ١٠٣ و ١٠٢.

٧٦.اسد الغابة، ج ١، ص ١٣٤.

٧٧.النحل، ٩٠.

٧٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٨.

٧٨.شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٨.

شهادته عليه السلام كلمة في تاريخ شهادته عليه السلام و عمره المبارك

من الوقائع المسلمة تاريخي، أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في محراب الصلاة بمسجد الكوفة، و كان عليه السلام صائما يصلي الصبح، مما أدى إلى شق هامته عليه السلام، و قد التحقت روحه المقدسة بالرفيق الأعلى، إلى جوار الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بعد يومين من الضربة.

قال ابن الأثير:و في هذه السنة (سنة ٤٠) قتل علي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، و قيل :لإحدى عشرة، و قيل:لثلاث عشرة بقيت منه، و قيل:في شهر ربيع الآخر سنة أربعين، و الأول أصح [١] .

و روى الطبري بسنده عن محمد بن عمر قال:قتل علي عليه السلام و هو ابن ثلاث و ستين سنة، صبيحة ليلة خلت من شهر رمضان سنة (٤٠) ، و دفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة. [٢]

و روى ابن عساكر الشافعي، عن محمد بن عثمان، قال:قال أبي:و ولي علي بن أبي طالب خمس سنين، و قبض هو ابن سبع و خمسين، قال أبي:و أهل بيته يقولون:قبض و هو ابن ثلاث و ستين. [٣]

و روى الكليني في الكافي، ج ١، ص ٤٥٢:ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة، و قتل في شهر رمضان لتسع بقين منه، ليلة الأحد و قيل:الجمعة سنةأربعين من الهجرة، و هو ابن ثلاث و ستين سنة، بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه و آله ثلاثين سنة، و امه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و روى الشيخ المفيد في الارشاد الفصل ٢ من باب ٢، ص ١٣:و كانت وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قبل الفجر ليلة الجمعة إحدى و عشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة و مضى عليه السلام قتيلا بالسيف، قتله ابن ملجم المرادي لعنه الله في مسجد الكوفة، و قد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تاسع عشر من شهر رمضان، و قد كان ارتصده من أول الليل لذلك، فلما مر به في المسجد و هو مستخف بأمره، مماكر بإظهار النوم في جملة النيام، ثار إليه فضربه على ام رأسه بالسيف و كان مسموم، فمكث يوم تسعة عشر و ليلة عشرين و يومها و ليلة إحدى و عشرين إلى نحو الثلث الأول من الليل، ثم قضى نحبه عليه السلام شهيدا و لقي ربه تعالى مظولم، و قد كان عليه السلام يعلم ذلك قبل أوانه، و يخبر به الناس قبل زمانه، و تولى غسله و تكفينه و دفنه

ابناه الحسن و الحسين عليهما السلام بأمره، و حملاه إلى الغري من نجف الكوفة، فدفناه هناك، و عفيا موضع قبره بوصية كانت منه إليهما في ذلك، لما كان يعلمه من دولة بني امية بعده.

مداراته ابن ملجم قبل شهادته عليه السلام

روى الحافظ ابن عبد البر المالكي، في (الاستيعاب) عن ابن سيرين بن عبيدة، قال:كان علي عليه السلام إذا رأى ابن ملجم، قال:

«اريد حياته و يريد قتلي *** عذيرك من خليلك من مراد»

و كان علي عليه السلام:كثيرا ما يقول:«ما يمنع أشقاه ـ أو ما ينتظر أشقاه ـ أن يخضب هذه من دم هذا».يقول:«و الله لتخضبن هذه من دم هذا»و يشير إلى لحيته و رأسه [٤] .

و روى فيه عن سكين بن عبد العزيز العبدي، أنه سمع أباه يقول:جاء عبد الرحمن بن ملجم يستحمل عليا عليه السلام فحمله، ثم قال:

«اريد حياته و يريد قتلي *** عذيرك من خليلك من مراد

أما إن هذا قاتلي»، قيل:فما يمنعك منه؟قال:«إنه لم يقتلني بعد». [٥]

قال:و أتى علي عليه السلام فقيل له:إن ابن ملجم يسم سيفه، و يقول:إنه سيفتك بك فتكة يتحدث بها العرب، فبعث علي عليه السلام إليه، فقال له:«لم تسم سيفك؟»قال:لعدوي و عدوك، فخلى عنه و قال:«ما قتلني بعد».

ما جاء في سبب قتله عليه السلام

في سنة أربعين من الهجرة اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس، و ما هم فيه من الحرب و القتل و الفتنة، فعابوا ذاك على ولاتهم، ثم أنهم ذكروا أهل النهروان و ترحموا عليهم، فقال بعضهم لبعض:ما نصنع بالحياة بعدهم، اولئك كانوا دعاة الناس إلى ربهم لا يخافون في الله لومة لائم!فلو شرينا أنفسنا قاتلنا أئمة الضلال، فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد و العباد، و ثأرنا بهم إخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاقدوا على ذلك عند انقضاء الحج.

فقال عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله:أنا أكفيكم عليا.و قال البرك ابن عبد الله التميمي :أنا أكفيكم معاوية.و قال عمرو بن بكر التميمي:أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا و تعاقدوا و تواثقوا على الوفاء، و ألا ينكل واحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فاتعدوا بينهم

ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، فأخذوا سيوفهم فشحذوه، ثم سقوها السم، و توجه كل واحد منهم إلى جهة صاحبه الذي تكفل به، و تواعدوا على أن يكون و ثوبهم عليهم فيليلة واحدة. [٦]

تواطؤ ابن ملجم و قطام

روى أبو الفرج في المقاتل:فأقبل ابن ملجم حتى قدم الكوفة، فلقي بها جماعة من أصحابه ـ أهل النهروان ـ و كتمهم أمره، و طوى عنهم ما تعاقد هو و أصحابه عليه بمكة من قتل امراء المسلمين، مخافة أن ينشر منه شيء، و إنه زار رجلا من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، و كان علي عليه السلام قتل أباها و أخاها بالنهروان، و كانت من أجمل نساء أهل زمانه، فلما رآها ابن ملجم لعنه الله شغف بها و اشتد إعجابه، فخبر خبرها فخطبه، فقالت له:ما الذي تسمي لي من الصداق؟فقال لها:احتكمي ما بدالك، فقالت:أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم، و وصيفا و خادم، و قتل علي بن أبي طالب!!

فقال لها:لك جميع ما سألت، فأما قتل علي بن أبي طالب، فأنى لي بذلك؟فقالت:تلتمس غرته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي و هنأك العيش معي، و إن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا؟! [٧] .

و في الفصول المهمة:فمر في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس، فخرج منها نسوة، فرأى فيهن امرأة جميلة فائقة في حسنه، يقال لها:قطام بنت الأصبغ التميمي لعنها الله، فهواها و وقعت في قلبه محبته، فقال لها:يا جارية، أيم أنت أم ذات بعل؟فقالت:بل أيم.فقال لها :هل لك في زوج لا تذم خلائقه، فقالت:نعم، و لكن لي أولياء اشاورهم.فتبعها فدخلت دارا ثم خرجت إليه، فقالت:يا هذ، إن أوليائي أبوا أن يزوجوني إلا على ثلاثة آلاف درهم و عبد وقينة . [٨] قال:لك ذلك.

قالت:و شريطة اخرى.قال:و ما هي؟قالت:قتل علي بن أبي طالب، فإنه قتل أبي و أخي يوم النهروان !!قال:ويحك و من يقدر على قتل علي و هو فارس الفرسان و واحد الشجعان!فقالت:لا تكثر، فذلك أحب إلينا من المال، إن كنت تفعل ذلك و تقدر عليه، و إلا فاذهب إلى سبيلك؟

فقال لها:أما علي بن أبي طالب عليه السلام فل، و لكن إن رضيتي ضربته بسيفي ضربة واحدة و انظري ماذا يكون؟

قالت:رضيت، و لكن التمس غرته لضربتك، فإن أصبته، انتفعت بنفسك و بي، و إن هلكت، فما عند الله خير و أبقى من الدنيا و زينة أهلها؟!

فقال لها:و الله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب!!

قالت:فإذا كان الأمر على ما ذكرت، دعني أطلب لك من يشد ظهرك و يساعدك؟فقال لها:افعلي .

فبعثت إلى رجل من أهلها يقال له:وردان، من تيم الرباب، فكلمته فأجابه، و خرج ابن ملجم من عندها و هو يقول:

ثلاثة آلاف و عبد وقينة *** و قتل علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي و إن غلا *** و لا فتك إلا دون فتك ابن ملجم [٩]

و جاء ابن ملجم إلى رجل من أشجع، يقال له:شبيب بن بجرة من الخوارج، فقال له:هل لك في شرف الدنيا و الآخرة؟قال:و كيف ذلك، قال:قتل علي بن أبي طالب، فقال له:ثكلتك امك لقد جئت شيئا إد، كيف تقدر على ذلك؟

قال:أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجينا شفينا أنفسنا و أدركنا ثأرن، و إن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا و ما فيه، و لنا أسوة في أصحابنا الذين سبقونا.

فقال له:ويحك لو كان غير علي، و قد عرفت بلاءه في الإسلام و سابقته مع النبي صلى الله عليه و آله، و ما أجد نفسي تنشرح لقتله.

قال:ألم تعلم أنه قتل أهل النهروان العباد المصلين؟قال بلى، قال:فنقتله بمن قتل من إخوانن، فأجابه إلى ذلك، فجاءوا إلى قطام و هي في المسجد الأعظم معتكفة، و كان ذلك في شهر رمضان، فقالوا لها:قد صممن، أجمع رأينا على قتل علي بن أبي طالب. [١٠]

قال أبو الفرج:فقالت قطام لهما:فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها فلبثا أيام، ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين. [١١]

و قال المسعودي في تاريخه:فدعت قطام لهما بحرير فعصبتهم، و أخذوا أسيافهم و قعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي عليه السلام للمسجد، و كان علي عليه السلام يخرج كل غداة أول الأذان يوقظ الناس للصلاة، و كان ابن ملجم مر به الأشعث و هو في المسجد، فقال له:فضحك الصبح، فسمعها حجر ابن عدي، فقال:قتلته يا أعور قتلك الله. [١٢]

و في (شرح ابن أبي الحديد) عن أبي مخنف، عن عبد الله بن محمد الأزدي، قال:إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر، كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبا منالسدة قياما و قعود، و ركوع، و سجود، ما يسأمون، إذ خرج عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام الفجر، فأقبل ينادي:«الصلاة الصلاة»، فرأيت بريق

السيف، و سمعت قائلا يقول:الحكم لله يا علي لا لك.ثم رأيت بريق سيف آخر، و سمعت صوت علي عليه السلام يقول:«لا يفوتنكم الرجل». [١٣]

فزت و رب الكعبة

روى كثير من المؤرخين أنه عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال:«فزت و رب الكعبة» .

قال ابن عبد البر ـ في حديث ـ قال:فضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه عليه السلام و قال :الحكم لله يا علي، لا لك، و لا لأصحابك.فقال علي عليه السلام:«فزت و رب الكعبة، لا يفوتنكم الكلب»فشد الناس من كل جانب فأخذوه. [١٤]

و عن ابن عساكر و ابن الأثير، بسندهما عن هارون بن أبي يحيى، عن شيخ من قريش:أن عليا عليه السلام لما ضربه ابن ملجم قال:«فزت و رب الكعبة». [١٥]

و عن الدينوري في (الإمامة و السياسة) قال:و ضربه على قرنه بالسيف، فقال علي عليه السلام«فزت و رب الكعبة». [١٦]

وصية علي عليه السلام بالرفق بقاتله

في (شرح ابن أبي الحديد) و (مقاتل الطالبيين) باسناده عن عبد الله بن محمد الأزدي، قال :فلما دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام، نظر إليه ثم قال:«النفس‌بالنفس، فإن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، و إن أنا عشت رأيت فيه رأيي».

فقال ابن ملجم لعنه الله:و الله و الله لقد ابتعته ـ يعني سيفه ـ بألف، و سممته بألف، فإن خانني فأبعده الله.

قال:و نادته ام كلثوم:يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين؟قال:إنما قتلت أباك.

قالت:يا عدو الله، إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها:فأراك إنما تبكين علي إذن؟لقد و الله ضربته ضربة لو قسمت على أهل الأرض لأهلكتهم. [١٧]

قال أبو الفرج:و أخرج ابن ملجم من بين يديه عليه السلام و انصرف الناس من صلاة الصبح، فأحدقوا بابن ملجم، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، و هم يقولون:يا عدو الله، ماذا فعلت؟أهلكت أمة محمد، و قتلت خير الناس، و إنه لصامت ما ينطق، فذهب به إلى الحبس؟. [١٨]

و روى ابن الصباغ المالكي:قال علي عليه السلام للحسن:«يا حسن، أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، و اسقوه من شرابي، فإن أنا عشت فأنا أولى بحقي و إن مت فاضربوه ضربة، و لا تمثلوا به، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور» .

ثم قال:«يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تريقون دماء المسلمين بعدي، تقولون:قتلتم أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي»ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض. (١٩)

وصيته للحسن عليهما السلام

روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عقبة بن أبي الصهباء، قال:لما ضرب ابنملجم عليا عليه السلام دخل عليه الحسن و هو باك، فقال له:«ما يبكيك، يا بني؟»قال:«و مالي لا أبكي و أنت في أول يوم من الآخرة، و آخر يوم من الدنيا».

فقال:«يا بني احفظ أربعا و أربع، لا يضرك ما عملت معهن».

قال:«و ما هن، يا أبه؟».

قال:«إن أغنى العقل، و أكبر الفقر الحمق، و أوحش الوحشة العجب، و أكرم الحسب الكرم (و) حسن الخلق».

قال الحسن:«قلت:يا أبه، هذه الأربع، فأعطني الأربع الاخر».

قال:«إياك و مصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، و إياك و مصادقة الكذاب، فإنه يقرب إليك البعيد، و يبعد عليك القريب، و إياك و مصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، و إياك و مصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه». (٢٠)

مع الطبيب المعالج

أخرج أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبين) بإسناده عن أبي مخنف، قال:حدثني عطية بن الحرب، عن عمر بن تميم، و عمرو بن أبي بكار، قالا:إن عليا عليه السلام لما ضرب جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو ابن هاني السكوني، و كان متطببا صاحب كرسي يعالج الجراحات، و كان من الأربعين غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم، و إن أثيرا لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام، دعا برئة شاة حارة، و استخرج عرقا منها فأدخله في الجرح، ثم استخرجه، فإذا عليه بياض الدماغ، فقال له:يا أمير المؤمنين، اعهد

عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى ام رأسك، فدعا علي عليه السلام عند ذلك بصحيفة و دواة و كتب وصيته [٢١] .

آخر وصيته عليه السلام

فيما يلي آخر وصية كتبها أمير المؤمنين عليه السلام قبل شهادته، و قد ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) و كذا الطبري في (تأريخه) و ثقة الإسلام الكليني (رحمة الله عليه) في (الكافي) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، و نحن نذكر عين ما رواه أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين) :

«بسم الله الرحمن الرحيم:هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون، صلوات الله و بركاته عليه، إن صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له، و بذلك امرت و أنا أول المسلمين.

اوصيك يا حسن، و جميع ولدي و أهل بيتي، و من بلغه كتابي هذ، بتقوى الله ربنا و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون، و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقو، فإني سمعت رسول الله يقول :إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام، و إن المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم بجفوتكم.

و الله الله في جيرانكم، فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه و آله، فما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

و الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم.

و الله الله في الصلاة، فإنها عماد دينكم.

و الله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظرو، و إنه إن خلا منكم لم تنظروا.

و الله الله في صيام شهر رمضان، فإنه جنة من النار.

و الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم.

و الله الله في زكاة أموالكم، فإنها تطفىء غضب ربكم.

و الله الله في امة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم.

و الله الله في أصحاب (امة) نبيكم، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله أوصى بهم.

و الله الله في الفقراء و المساكين، فأشركوهم في معائشكم.

و الله الله في ما ملكت أيمانكم، فإنها كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه و آله إذ قال:اوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم».

ثم قال:«الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم، فإنه يكفيكم من بغى عليكم و أرادكم بسوء، قولوا للناس حسنا كما أمركم الله، و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فيولي الأمر عنكم [٢٢] و تدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواضع و التباذل و التبار، و إياكم و التقاطع و التفرق و التدابر (و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب) . [٢٣]

حفظكم الله من أهل بيت و حفظ فيكم نبيه، استودعكم الله خير مستودع، و أقرأ عليكم سلام الله و رحمته». [٢٤]

في الآية التي ظهرت صباح شهادته عليه السلام

في (فرائد السمطين) بسنده عن ابن شهاب، قال:قدمت دمشق و أنا اريد الغزو، فأتيت عبد الملك بن مروان لاسلم عليه، قال:فوجدته في قبة على عرش يقرب القائم - أو يفوق القائم - و الناس تحته سماطين، فسلمت ثم جلست، فقال لي:يا ابن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل علي بن أبي طالب عليه السلام؟

فقلت:نعم، فقال:هلم، فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة فحول إليوجهه فأحنى [٢٥] علي، فقال:ما كان؟فقلت:لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم!!فقال:لم يبق أحد يعلم هذا غيري و غيرك و لا يسمعن منك أحد [٢٦] .

و روى في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن شهاب مثله إلا أنه زاد في ذيله فما حدثت به حتى توفي [٢٧] .

و في (تاريخ دمشق) روى هذا الحديث مع اختلاف في اللفظ [٢٨] .

و في (فرائد السمطين) أيضا بسنده عن الزهري:أن أسماء الأنصارية قالت:ما رفع حجر بإيلي - يعني حين قتل علي بن أبي طالب - إلا وجد تحته دم عبيط [٢٩] .

معاوية يشهد بفضله عليه السلام

في (تاريخ دمشق) عن المغيرة، قال:جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية، و هو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة، فقعد باكيا مسترجعا!!!فقالت له فاختة:أنت بالأمس تطعن عليه و اليوم تبكي عليه؟فقال:ويحك أنا أبكي لما فقد الناس من حلمه و علمه!! [٣٠].

و فيه أيضا عن المغيرة قال:لما جيء معاوية بنعي علي عليه السلام و هو قائل مع امرأته بنت قرظة في يوم صائف قال:إنا لله و إنا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم و الحلم و الفضل و الفقه، فقالت امرأته:أنت بالأمس تطعن في عينيه، و تسترجع اليوم عليه؟قال:ويلك لا تدرين ماذا فقدوا من علمه و فضله و سوابقه [٣١].

في رثاؤه عليه السلام

قالت سودة بنت عمارة في رثاء مولاها أمير المؤمنين عليه السلام:

صلى الإله على جسم تضمنه*قبر فأصبح فيه الجود مدفوناقد حالف الحق لا يبغي به بدلا*فصار بالحق و الإيمان مقرونا [٣٢]

و ممن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلي، قال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب*فلا قرت عيون الشامتينا أفي شهر الصيام فجعتمونا*بخير الناس طرا أجمعيناقتلتم خير من ركب المطايا*و ذللها و من ركب السفيناو من لبس النعال و من حذاها*و من قرأ المثاني و المبيناإذا استقبلت وجه أبي حسين*رأيت النور فوق الناظرينالقد علمت قريش حيث كانت*بأنك خيرهم حسبا و دينا [٣٣]

في كيفيته قتل ابن ملجم

في تاريخ الطبري، و كذا الكامل في التاريخ:فلما قبض أمير المؤمنين عليه السلام، بعث الحسن إلى ابن ملجم فقال للحسن:هل لك في خصلة؟إني و الله ما أعطيت الله عهدا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدا عند الحطيم [٣٤] أن أقتل عليا و معاوية، أو أموت دونهم، فإن شئت خليت بيني و بينه، و لك الله علي إن لم أقتله أوقتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن:«أما و الله حتى تعاين النار، فلا»، ثم قدمه فقتله [٣٥].

خطبة الحسن عليه السلام بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

روى ابن عساكر عن عمرو بن حبشي، قال:خطبنا الحسن بن علي عليه السلام بعد قتل علي عليه السلام، فقال:«لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأولون بعلم، و لا أدركه الآخرون، إن كان[رسول

الله صلى الله عليه و آله]ليبعثه و يعطيه الراية فلا ينصرف حتى يفتح له، ما ترك من صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم، فضلت من عطائه، كان يرصدها لخادم لأهله». [٣٦]

و عنه أيضا:عن هبيرة بن يريم مثله، إلا أنه قال:«و إن جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، ما ترك صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادما». [٣٧]

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) :إنه ثبت عن الحسن بن علي عليه السلام من وجوه، أنه عليه السلام قال:«لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم ـ أو سبعمائة درهم ـ فضلت من عطائه، كان يعدها لخادم يشتريه لأهله». [٣٨]

و قال المسعودي في (تاريخه) :قال الحسن عليه السلام:«و الله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة، و لا يدركه الآخرون، و إن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه». [٣٩] ثم قال المسعودي:و لم يترك صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادما لأهله.

و قال بعضهم:ترك لأهله مائتين و خمسين درهما و مصحفه و سيفه. [٤٠]

و روى أبو الفرج الأصفهاني في (المقاتل) ، قال:خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال:«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، و لقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، و ما خلف صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما لأهله»ثم خنقته العبرة فبكى، و بكى الناس معه، ثم قال:«أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه و آله أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز و جل بإذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهير، و الذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت». [٤١]

قال أبو مخنف عن رجاله:ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له و قالوا:ما أحبه إلينا و أحقه بالخلافة فبايعوه، ثم نزل عن المنبر.

تعليقات:

١.الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٣.

٢.تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٦.

٣.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣١٨، ح ١٤٢٩.

٤.الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٢، ص ١٠.

٥.المصدر السابق.

٦.انظر الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٤، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٠، مروج الذهب للمسعودي، ج ٢، ص ٤٢٣، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٣٢، مقاتل الطالبيين، ص ١٧، شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٣.

٧.مقاتل الطالبيين، ص ١٩، رواه عنه ابن أبي الحديد في الشرح، ج ٦، ص ١١٥.

٨.القينة:الأمة.

٩.البيتان في مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٣.

١٠.الفصول المهمة، ص ١٣٣.

١١.مقاتل الطالبيين، ص ١٩.

١٢.مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٤.

١٣.شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٧.

١٤.الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٥٩.

١٥.اسد الغابة، ج ٤، ص ٣٨، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠٣.

١٦.الامامة و السياسة، ج ١، ص ١٦٠.

١٧.شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٨، مقاتل الطالبيين، ص ٢٢.

١٨.مقاتل الطالبيين، ص ٢٢.

١٩.الفصول المهمة، ص ١٣٦.

٢٠.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠٤، ح ١٤٠٤.

٢١.مقاتل الطالبيين ص ٢٣، و شرح ابن أبي الحديد ج ٦، ص ١١٩ مع اختلاف يسير.

٢٢.في تاريخ الطبري«فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

٢٣.المائدة، ٢.

٢٤.مقاتل الطالبيين، ص ٢٤، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٢٠.

٢٥.في بعض النسخ (فانحنى) .

٢٦.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٩، رقم ٣٢٥.

٢٧.مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١١٣.

٢٨.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج، ص ٣١٦، رقم ١٤٢٤.

٢٩.فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٩، رقم ٣٣٦.

٣٠.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٣٦، ح ١٤٨٣.

٣١.المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٩، رقم ١٤٨٤.

٣٢.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٤٥، رقم ١٠٥٣.

٣٣.تاريخ مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٨، روى في الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٨، و تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٦ نحوه.

٣٤.الحطيم:جدار حجر الكعبة، و قيل:ما بين الركن و زمزم و المقام، سمي بذلك لانحطام الناس عليه، أي لازدحامهم.

٣٥.تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٤، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٦.

٣٦.ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٣٠، رقم ١٤٧٤.

٣٧.المصدر السابق، ص ٣٣١، رقم ١٤٧٥.

٣٨.الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٣٩.مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٦.

٤٠.المصدر السابق.

٤١.مقاتل الطالبيين، ص ٣٢.

٤١.مقاتل الطالبيين، ص ٣٢.

الفصل الثامن - نبذة من أقواله و حكمه

كلمات من نور

إن فصاحة أمير المؤمنين عليه السلام و قوة بيانه هي فيض من العناية الإلهية التي خص بها تعالى أولياءه المنتجبين، و هي أيضا فيض من العناية النبوية، فقد درج علي عليه السلام في حجر الرسالة و تغذى بلبان النبوة منذ نعومة أظفاره.

يقول السيد الرضي (ره) :كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة و مورده، و منشأ البلاغة و مولده، و منه عليه السلام ظهر مكنونه، و عنه أخذت قوانينه، و على أمثلته حذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كل واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصرو، و قد تقدم و تأخرو، لأن كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي، و فيه عبقة من الكلام النبوي. [1]

فيما يلي نقدم نخبة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم و المواعظ، لما لهذه الحكم من أهمية بالغة في تهذيب الأخلاق و النفوس و توجيه الخلق إلى المعارف الالهية و السنن النبوية باقصر كلام و أوفر معنى، و لقد قال عليه السلام:«المواعظ حياة القلوب» . [2]

أولا:ما نقلناه من كتاب الاعجاز و الايجاز لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ ه [3]

قال عليه السلام:

١ - قيمة كل امرىء ما يحسن.

٢ - استغن عمن شئت تكن نظيره، و احتج إلى من شئت فأنت أسيره، و أحسنإلى من شئت تكن أميره .

٣ - لا ترجون إلا ربك، و لا تخافن إلا ذنبك.

٤ - لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

٥ - الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا.

٦ - بشر مال البخيل بحادث أو وارث.

٧ - رحم الله امرأ عرف قدره، و لم يتعد طوره.

٨ - إذا تم العقل نقص الكلام.

٩ - الجزع أتعب من الصبر.

١٠ - الاحسان يقطع اللسان.

١١ ـ الشرف بالعقل و الأدب، لا بالأصل و النسب.

١٢ ـ أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

١٣ ـ قلب الأحمق وراء لسانه، و لسان العاقل وراء قلبه.

١٤ ـ من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

١٥ ـ إذا تواصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفروها بقلة الشكر.

١٦ ـ إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه.

١٧ ـ ما أضمر الانسان شيئا إلا ظهر منه في صفحات وجهه و فلتات لسانه.

١٨ ـ كل نعيم دون الجنة محقور، و كل بلاء دون النار عافية.

١٩ ـ من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره.

٢٠ ـ من سل سيف البغي قتل به.

٢١ ـ من أعجب برأيه ضل، و من استغنى بعقله زل، و من تكبر على الناس ذل.

٢٢ ـ العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله تعالى، و واحدة في ترك مجالسة السفهاء.

٢٣ ـ من كنوز الايمان الصبر على المصائب.

٢٤ ـ من كثر كلامه كثر خطؤه، و من كثر خطؤه قل حياؤه، و من قل حياؤه قلورعه، و من قل ورعه مات قلبه، و من مات قلبه دخل النار.

٢٥ ـ بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد.

ثانيا:ما نقلناه من كتاب المناقب للخطيب الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ ه[٤] قال عليه السلام:

٢٦ ـ ألا إن الدنيا قدولت مدبرة، و الآخرة أتت مقبلة، و لكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدني، فان اليوم عمل و لا حساب، و غدا حساب و لا عمل.

٢٧ ـ إن للنكبات نهايات لا بد لأحد إذا نكب من أن ينتهي إليه، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدته، فان في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها.

٢٨ ـ التوفيق خير قائد، و حسن الخلق خير قرين، و العقل خير صاحب، و الأدب ٢٩ ـ التوفيق خير قائد، و حسن الخلق خير قرين، و العقل خير صاحب، و الأدب خير ميراث، و لا وحشة أشد من العجب .

٣٠ ـ أحبب حبيبك هونا م، فعسى أن يكون بغيضك يوما م، و ابغض بغيضك هونا م، فعسى أن يكون حبيبك يوما ما.

٣١ ـ قوام الدين بأربعة:عالم مستعمل لعلمه، و جاهل لا يستنكف أن يتعلمه، و غني جواد بمعروفه، و فقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا عطل العالم علمه، استنكف الجاهل أن يتعلمه، و إذا بخل الغني بمعروفه، باع الفقير آخرته بدنياه، و إذا كان ذلك فالويل ثم الويل.

٣٢ ـ لا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، و لا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول:الله أعلم.

٣٣ ـ إن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، إذا ذهب الصبر ذهبالايمان، و إذا ذهب الرأس ذهب الجسد.

٣٤ ـ إذا أتاك الله في الدنيا شيئا فلا تكثرن به فرح، و إذا فاتك منها شيء فلا تكثرن عليه حزن، و ليكن همك لما بعد الموت.

٣٥ ـ الجزع عند البلاء تمام المحنة.

٣٦ ـ لا صواب مع ترك المشورة.

٣٧ ـ لا شرف أعز من الاسلام.

٣٨ ـ لا معقل أحرز من الورع.

٣٩ ـ لا شفيع أنجح من التوبة.

٤٠ ـ لا لباس أجمل من السلامة.

٤١ ـ لا داء أعياء من الجهل.

٤٢ ـ لا حرض أضنى من قلة العقل.

٤٣ ـ إعادة الاعتذار تذكير للذنب.

٤٤ ـ النصح بين الملأ تقريع.

٤٥ ـ أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة.

٤٦ ـ من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

٤٧ ـ السامع للغيبة أحد المغتابين.

٤٨ ـ الذل مع الطمع.

٤٩ ـ الراحة مع اليأس.

٥٠ ـ الحرمان مع الحرص.

٥١ ـ عبد الشهوة أذل من عبد الرق.

ثالثا:ما نقلناه عن سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ ه في التذكرة [٥] ، قال عليه السلام: ـ ليس الخير أن يكثر ماك و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك، و يعظم حلمك، فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين:رجل أذنب ذنوبا فهو يتدراك ذلك بتوبة، و رجل يسارع في الخيرات .

٥٣ ـ الدنيا دار ممر، و الأخرى دار مقر، فخذوا من ممركم لمقركم.

٥٤ ـ لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم.

٥٥ ـ أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و لغيرها خلقتم .

٥٦ ـ إن الجنازة إذا حملت قال الناس:ما ترك، و قالت الملائكة:ما قدم، فقدموا بعضا يكن لكم، و لا تؤخروا كلا يكن عليكم.

٥٧ ـ إذا رأيتم الله تعالى يتابع نعمه عليكم و أنتم تعصونه فاحذروه.

٥٨ ـ من كفارة الذنوب العظام إغاثه الملهوف و التنفيس عن المكروب.

٥٩ ـ إذا كنت في إدبار، و الموت في إقبال، فما أسرع الملتقى!

٦٠ ـ من أطال الأمل أساء العمل.

٦١ ـ سيئة تسؤوك خير من حسنة تسرك و تعجبك.

٦٢ ـ الدهر يخلق الأبدان، و يجدد الامال، و يقرب المنية، و يباعد الأمنية، من ظفر به تعب، و من فاته نصب.

٦٣ ـ عجبت لمن يقنط و معه الاستغفار.

٦٤ ـ من أصلح ما بينه و بين الله، أصلح الله ما بينه و بين الناس، و من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، و من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

٦٥ ـ كم من مستدرج بالاحسان إليه، و مغرور بالستر عليه، و مفتون بحسن القول فيه.

٦٦ ـ شتان بين عملين، عمل تذهب لذته و تبقى تبعته، و عمل تذهب مؤنته و يبقى أجره.

٦٧ ـ استنزلوا الرزق بالصدقة، فمن أيقن بالخلف جاد بالعطاء. ـ من أعطي أربعا لم يحرم أربع، من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة، و من أعطي التوبة لم يحرم القبول، و من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، و من أعطي الشكر لم يحرم الزيادة.

٦٩ ـ لا تكن ممن يريد الآخرة بغير عمل، و يؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، و يعمل فيها عمل الراغبين، إن اعطي منها القليل لم يشبع و إن ملك الكثير لم يقنع.

٧٠ ـ من أصبح يشكو مصيبة نزلت به إلى مخلوق مثله، فانما يشكو ربه.

٧١ ـ من أتى غنيا يتواضع لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه.

٧٢ ـ إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، و إن قوما عبدوه رهبه فتلك عبادة العبيد، و إن قوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار.

٧٣ ـ أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك.

٧٤ ـ ما أكثر العبر و ما أقل المعتبر.

٧٥ ـ أقل ما يلزمكم لله تعالى أن تستعينوا بنعمه على معاصيه.

٧٦ ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم.

هذا قبس من نور عظاته و حكمه عليه السلام، و لو أوردنا المزيد لطال بنا المقام، و في ذلك كفاية للمعتبر، و قد قال عليه السلام:«من لم ينفعه اليسير لم ينفعه الكثير».

تم الكتاب بتوفيق الله تعالى و حسن منه في العشرين من شهر رمضان سنة ١٤١٨ ه.ق الموافق ١٣٧٦ ه.ش في بلدة قم المقدسة و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلوات و أتم التسليم على حبيبه المصطفى و آله الطيبين الطاهرين عليهم السلام

تعليقات:

١.مقدمة النهج، ص ٣٤، صبحي الصالح.

٢.غرر الحكم، ج ١، ص ٢٣، ح ٣٧٣.

٣.نشر دار الغصون، بيروت، ص ٢٧ الى ٣٦.

٤.نشر جماعة المدرسين، قم، ص ٣٦٣ الى ٣٧٧.

٥.طبع و إصدار نينوى الحديثة، طهران، ص ١٣١ الى ١٣٧.

٥.طبع و إصدار نينوى الحديثة، طهران، ص ١٣١ الى ١٣٧.